قمبيز

بين الفردوسي وشوقي

(الأسطورة والتاريخ)

تأليف

د. سميرة عبد السلام عاشور

الأستاذ المساعد بكلية الآداب

جامعة الإسكندرية

فهرس

تقديـــم(*)

إن إعادة بناء الأسطورة في شكل أدبي من الموضوعات التي استحوذت على اهتمام الأدبـاء منـذ أقـدم العصور الأدبية، وهذا مما يعين على تقديم أكثر من رؤية للعمل الأدبي وللأديـب نفسـه الـذي يسـتوحي الأسطورة. واستلهام الحكاية أو الأسطورة - كما يذكر طه وادي - أكثر تأثيرا في الفن؛ حيث يتجادل الواقع مع التراث فتبدو الأسطورة في شكل واقعي، أو يصور الواقع على أنه أسطورة.

وهذا البحث (قمبيز بين الفردوسي وشوقي) يدور حول شاعرين حرصا على استلهام الأساطير التاريخيـة في أعمالهما الفنية: أما "الفردوسي" (ت سنة ٤١١ هـ) فهو ناظم ملحمة الفُرس الكبرى "الشـاهنامة" التـي صاغ فيها تاريخ الفرس منذ أقدم العهود الأسطورية إلى نهاية عصر الساسانيين. تلك الملحمة التي ما زالـت تلقى كل حفاوة بين الملاحم العالمية، كما صارت مصدرا أساسيا عند الدارسين يستمدون منها معلوماتهم عن الفرس القدامى وعن عاداتهم ومعتقداتهم من ناحية، ومن ناحية ثانية لما تـزل مصـدرا للتـاريخ الفارسـي الأسطوري وفقًا لما تصوره معتقدات الإيرانيين أنفسهم.

بينما "أحمد شوقي" أمير شعراء العربية في العصر الحديث، وأول من أدخل فن المسرحية الشعرية إلـى الأدب العربي واستلهم هو أيضا – التاريخ والأساطير التاريخية في أكثر من عمل شعري مسرحي له فـنظم مسرحية "كليوباترا" مستمدا موضوعها من تاريخ مصر في عصر البطالمة. ونظم مسرحية "علي بك الكبير" مستمدا موضوعها من تاريخ مصر في عصر المماليك، كما استلهم التاريخ الممتزج بالأسـاطير موضـوعا لبعض مسرحياته مثل مسرحية "مجنون ليلى" ومسرحية "قمبيز" (موضوع هذا البحث) والتي تقف بين التاريخ والأسطورة أيضا من بعض نواحيها.

وشخصية قمبيز التي استلهمها الشاعران مادة لعمل كل منهما الفني، وهي أيضا شخصية تاريخية تمـزج في سيرتها الأسطورة بالتاريخ، بل وفي كثير من الأحيان تتغلب الأسطورة على التاريخ حتـى يبـدو مـن الصعب تمييز ما هو أسطوري مما هو تاريخي. وأكثر من هذا أنها صارت ملتقًى لأساطير عديد من الأمـم المختلفة من فرس ومصريين ويونانيين تتجمع خيوطها لتنسج لنا ملامح هذه الشخصية في الأدبين الفارسـي والعربي.

ففي الأدب الفارسي القديم ولا سيما شاهنامة الفردوسي هناك ملامح معينة تتسم بها شخصية قمبيز ويسمى في الشاهنامة باسم "كيكاوس" حيث تتغلب الأساطير في سيرته لتصبح هي العنصر المسـيطر علـى بـاقي العناصر.

(*) د. طه وادي: **شعر شوقي الغنائي والمسرحي**: ص ٩٥. الطبعة الثالثة دار المعارف سنة ١٩٨٥ م.

أما "قمبيز" في أدبنا العربي وبالتحديد في مسرحية "أحمد شوقي" فلـه كثيـر مـن الملامـح الشخصـية لـ"كيكاوس" لكن التفاصيل تختلف، والأساطير التي تدخل في صياغة تاريخه أيضا تختلف. فإذا كانت قصـة "قمبيز" (كيكاوس) عند الفردوسي هي أساطير - في أغلبها - تمازجها بعض الحقائق التاريخية فإنهـا عنـد شوقي تاريخ تمازجه بعض الأساطير.

وهدفي من هذا البحث أن أميز بين الأسطورة والتاريخ عند الفردوسي وعند شوقي، وقـد توقفـت أثنـاء بحثي هذا عند جهود من سبقوني أتلمس منهم العون في هذا الدرب؛ فوجدت بحوثًا حاولت أن تـدرس كـل شاعر على حده: ففي الفارسية هناك د. ذبيح الله صفا في كتابه المتميز "حماسة سرائي در إيران" وقد أوضح فيه أصل أساطير الشاهنامة كما جاءت في المصادر الدينية القديمة من أفستاور ڤايداو من بندهش ودينكرت. كما حاول أن يفسر بعض هذه الأساطير في دراسة جادة هادفة. أما في العربية فقد انصبت معظم الدراسـات التي تحدثت عن هذه المسرحية – عند شوقي – على نقد وتحليل المسرحية من الناحية الفنية". ولـم أر مـن حاول أن يميز الجانب التاريخي والأسطوري فيها إلا "العقاد" في كتابه "قمبيز في الميزان" وكان في كتابه هذا – والحق يقال – شديد التجني على شوقي، فلم ينصفه في أغاب ما كتب، وعامله على أنه مـؤرخ لا مبـدع ولقد أشرت إلى هذا في مواضعه من البحث. كما لم توجد في دراسات من سبقني من حاول المقارنـة بـين العملين لبيان أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف عند الأديبين. وهذا ما أحاول القيام به أيضا في هـذا البحـث. وللوصول إلى هذا الغرض قسمته إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول عن: قمبيز (كيكاوس) في شاهنامة الفردوسي وخصصت الفصل الأول منـه للحـديث عـن مصادر الشاهنامة سواء أكانت مصادر عامة للشاهنامات كلها أم كانت مصادر خاصة لشاهنامة الفردوسي.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب عرضت لقصة قمبيز (كيكاوس) كما جاءت في الشاهنامة، وبسبب غلبـة الأساطير عليها فقد رأيت من الأوفق أن أقارن بين القصة كما جاءت في الشاهنامة وبين أصلها الذي جاءت عليه في المصادر الدينية القديمة وفي كتب التواريخ الإسلامية، كما حاولت أيضا تفسير بعض هذه الأساطير، وردها إلى ما تشير إليه في الواقع.

أما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن قمبيز عند شوقي؛ ففي الفصل الأول منه عرضت لمصادر شوقي. أما الفصل الثاني فجعلته للأسطورة والتاريخ في مسرحية شوقي، وعرضت فيه لموقف شوقي عموما من التاريخ والأسطورة، ثم بينت موقفه منهما في هذه المسرحية خصوصا.

وخصصت الباب الثالث للدراسة الأدبية النقدية المقارنة. فقارنت في الفصل الأول منه بين قمبيز وكيكـاوس لأبين أوجه التشابه بين الشخصيتين والتي رجحت لدي أنهما شخصية واحدة. وفي الفصل الثاني قارنـت بـين الفردوسي وشوقي لأبين أوجه التشابه والاختلاف بينهما. ثم ختمت بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع وفي الدراسة، وإلا فعذري أنها محاولة على الطريق:

والله ولي التوفيق،،،

الباب الأول

قمبيز (كيكاوس) عند الفردوسي

الفصل الأول : مصادر الشاهنامة

الفصل الثاني : القصة في الشاهنامة

الفصل الأول

مصادر الشاهنامة

مصادر الشاهنامة

تَغَنى الفردوسي [(١)] في ملحمته الخالدة (الشاهنامة) بتاريخ أمته وأساطيرها. وقد ضمت الشاهنامة في مادتها الأساسية مزيجا من الأساطير الدينية، والخرافات الشعبية، والقصص التاريخي، ونُعنَى في هذا الفصل بالتعريف بأهم المصادر التي استمدت منها كتب الحماسة الفارسية مادتها. كما كانت مصدرا أيضا لكتب التواريخ الإسلامية [(٢)] في معلوماتها عن الفرس القدماء وأهم هذه المصادر هي:

١- الأفستا (الأبستاق):

وهو كتاب زرادشت المقدس، ويقول عنه المسعودي (ت سنة ٣٤٦ هـ): إن هذا الكتاب الذي أتى به زرادشت مكتوب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب، وفيه وعد ووعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من الشرائع والعبادات، وكانت الملوك تعمل بما في هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر الذي أحرق بعضا منه، وعندما صار الملك إلى أردشير جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إستاد؛ فالفرس (المجوس) إلى هذا الوقت لا يقرأون غيرها، والكتاب الأول يسمى "يسناه" [(٣)].

وينقسم الأفستا اليوم إلى خمسة أقسام هي:

١- وندیدا.

٢- يسنا.

٣- يشتها.

٤- خرده أفستا.

٥- ويسبرد.

---

(١) هو أبو القاسم الفردوسي، من دهاقين طوس من قرية تُسمى "باز" كان له في قريته مكانة، وكان مستغنيا بدخل ضياعه (في بعض الآراء) وقد اشتغل خمسا وعشرين سنة في نظم الشاهنامة، وقد ولد حوالي سنة ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠ م وتوفي (سنة ٤١١ هـ/ ١٠٢٠ م)، ويقال إنه سمع أن الدقيقي الشاعر كان ينظم الشاهنامة قبل أن يقتل، وكان هو متطلعًا لنظمها، ولم يكن لديه كتاب الملوك، فاستشار صديقًا له فرغبه وحرضه على ما تصدى له، وأخبره أن الكتاب كامل لديه، فبدأ بنظم حرب أفريدون والضحاك فأولع الناس بنظمه، وكافأه والي طوس أبو منصور، وتقع الشاهنامة في حوالي ستين ألف بيت، وتعد في أغلب الآراء أعظم الآثار الأدبية عند الإيرانيين. وتعتبر مرجعا أساسيا للمعلومات عن الفرس القدماء ومعتقداتهم. (راجع: عروضي سمرقندي: چهار مقاله: انتشارات كتابفروشي زوار تهران؛ نولدكه: حماسة ملي إيران، ترجمة: بزرك علوي تهران؛ براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة د. أحمد كمال الدين، ط الكويت سنة ١٩٨٤، عبد الوهاب عزام: مقدمة الشاهنامة العربية، دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢ م ؛ د. طه ندا "دراسات في الشاهنامة" الدار المصرية سنة ١٩٥٤ م).

(٢) أشهر المؤرخين المسلمين الذين اعتمدوا هذه المصادر في تدوين تاريخ الفرس: الطبري ت سنة ٣١٠ هـ) والمسعودي (ت سنة ٣٤٦ هـ) وحمزة الأصفهاني (ت قبل سنة ٣٦٠ هـ) والبيروني (ت ٤٤٠ هـ) واليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) والثعالبي (ت ٤٤٩ هـ).

(٣) المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: جـ ١ ص ٢٢٩ – ٢٣٠ ط بيروت.

ويعتبر القسم الثالث (يشتها) أهم أقسام الأفستا – كما يذكر ذبيح الله صفا – من حيث تدوين وحفظ الروايات القومية والأساطير الدينية [٤]. وقد حفظ الأفستا روايات أمة قديمة نُسجت حول أبطال تدل أسماؤهم أنهم كانوا من بقايا قوى الخير والشر في الدين الآري القديم، الذي قام على عبادة الطبيعة [5]. وقد اشتركت الفيدا الهندية في حفظ هؤلاء الأبطال، وقد جاء ذلك – كما يذكر ذبيح الله صفا – من اشتراك القوم الهنود والإيرانيين في موطن واحد قبل الهجرة من الهند، و في تلك الأيام كان لهم أبطال مشتركون مثل: جم، هو في الفيدا (يم) وفي الأفستا (ييم) ومثل غيره من الأبطال الذين كان لكل منهم سيرته وأسطورته الخاصة به عند قومه[٦].

٢- كتاب الدينكرت:

وهو من أهم الكتب الدينية البهلوية، وتعود أهميته لأنه قد حفظ معظم الروايات القومية الإيرانية وحفظ بعض أجزاء مفقودة من الأفستا، وهو أيضا من أكثر الكتب البهلوية تفصيلاً؛ ويقع في تسعة مجلدات فُقِد منها المجلدان الأول والثاني، ويحتوي هذا الكتاب على مجموعة عظيمة من المعلومات الدينية والعادات والعقائد والروايات والتاريخ والآداب المزدية. أما مؤلف هذا الكتاب فهو آذر فرنبغ سن فرخزاد، وكان معاصرا للخليفة المأمون، أي أنه كان يعيش حتى القرن الثالث الهجري [٧].

٣- كتاب البندهشن (يعني: الخليقة):

ويعد ثاني الكتب الدينية البهلوية المهمة والمشهورة. وفيه معلومات عن بدء الخليقة وعن المسائل الدينية الأخرى وفيه أيضا بعض المعلومات التاريخية والجغرافية، وفي هذا الكتاب تاريخ إيران منذ أقدم العصور الأسطورية إلى نهاية العصر الساساني، وله تأثير كبير في الآداب الفارسية [٨].

٤- آيين نامه:

وهو - كما يذكر المسعودي - كتاب الرسوم، وهو عظيم؛ فيه الألوف من الأوراق، ولا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوي الرياسات [٩]، وفيه القواعد التي سارت عليها الدولة وأنواع الرياضات الخاصة بالإشراف [١٠]، وقد ترجمه ابن المقفع إلى العربية [١١].

---

[٤] ذبيح الله صفا: حماسة سرائي درايران: ص ٢٩ – ٣٠ – خود كارايران سنة ١٣٢٤ هـ.

[5] مقدمة الشاهنامة العربية: ص ٢٧.

[٦] حماسة سرائي: ص ٢٧.

[٧] المرجع السابق: ص ٤٨.

[٨] حماسه سرائي: ص ٥٠ – ٥١.

[٩] المسعودي: التنبيه والإشراف: ص ١٠٤. ط ليدن سنة ١٨٩٤ م.

[١٠] كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين (ترجمة د. يحيى الخشاب) ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩٥٧ م.

[١١] ابن النديم: الفهرست، ص ٣٤٢ – المطبعة الرحمانية – سنة ١٣٤٨ هـ.

الكاهنامة:

وهو جزء من الآيين وفيه مراتب عظماء فارس وأنها ستمائة مرتبة [١٢].

٥- الكارنامج:

وقد ذكره المسعودي بهذا الشكل، وورد في بعض النسخ أنه الـ"كاريامخ" وأعتقد أن التسمية الأولى أصح وعليها يكون المقصود به الكتاب البهلوي المعروف باسم "كارنامك أي ارتخشتراي بابكان" أي كتاب "كارنامه ارد شير بابكان"، ويحتوي على أخبار "أردشير" (مؤسس الدولة الساسانية) وحروبه وسيره في الأرض [١٣]. وقد ذكر براون أنه طابق بين ما جاء في الشاهنامة عن أرد شير بن بابك، وما جاء فـي الكتـاب البلهـوي "كارنامك ارتخشتر بابكان" فوجد تطابقًا بين أحداث القصة كما جاءت في المصدرين، وقد خاص من هـذا أن الفردوسي كان وفيا أمينًا في محاكاة الأصل البهلوي [١٤].

٦- "تاج نامه":

كتاب التاج: ويقول عنه كريستنسن: إنه خاص بذكر أحاديث ملوك إيران وتعاليمهم ومراسمهم وما يشـبه هذه المسائل، ويسميه بعضهم: كتاب الصور؛ اعتمادا على ما قاله المسعودي عنه؛ حيث يقول: "رأيـت فـي مدينة اصطخر في أرض فارس عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتابا عظيما يشتمل على علـوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم لم أجدها في شيء من كتب الفرس كخداي ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها، مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكًا منهم خمسة وعشـرون رجلاً وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخًا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخـط لحيتـه، وصـورة وجهه... وأن تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سـنة ١١٣ هـ ونُقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية [١٥].

---

[١٢] التنبيه والإشراف: ص ١٠٤.

[١٣] مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٤٨.

[١٤] براون: تاريخ الأدب في إيران. ترجمة د. أحمد كمال الدين حلمي: جـ ١ ص ٢٣٥ – جامعة.

[١٥] التنبيه والإشراف: ص ١٠٦.

٧- خداي نامه:

أصل اسمه في البهلوية (خوتاي نامك) أي كتاب الملوك، وهو كتاب في سير ملوك الفـرس منـذ عهـد "كيومرت" أول ملوك البيشداديين إلى "يزدجرد الثالث" (٦٣٢ – ٦٥٢ م). ويعتبر أهم الكتب السـابقة، وقـد ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف [١٦]، كما تحدث عنه حمزة الأصفهاني (ت قبل سنة ٣٦٠ هـ) وقـال إنه وجد ثماني نسخ لهذا الكتاب، منها نسخة من ترجمة ابن المقفع، وأخرى من ترجمة محمـد بـن الجهـم البرمكي، وثالثة من ترجمة زادويه بن شاهويه الأصفهاني، ورابعة من ترجمة محمد بن بهرام بـن مطيـار الأصبهاني... إلخ. ويضيف إلى هذا أنه لما اجتمعت له هذه النسخ ضرب بعضها ببعض حتى استوفى منهـا حق هذا الكتاب [١٧]. وأساس التعدد في الترجمات تعدد في الأصل المترجم عنه، يتضح ذلك من قول موسى بن عيسى الكسروي الذي نقل عنه حمزة قوله: "إني نظرت في الكتاب المسمى خداي نامه، وهو الكتاب الذي لما نُقل من الفارسية إلى العربية سمي (كتاب ملوك الفرس) فكررت النظر في نسخ هذا الكتاب وبحثتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين، وذلك كان لاشتباه الأمر على النـاقلين لهـذا الكتاب من لسان إلى لسان" [١٨]. وفي هذا الكتاب اختلاطات القصص والروايات والأساطير القومية والدينيـة بالحقائق التاريخية. ومصدر تلك الروايات والأساطير هي الأفستا والروايات الشفاهية عن الأيـام الماضـية [١٩]، ويقول عنه عبد الوهاب عزام: إن الفرس قد خلطوا بالبقية القليلة التي وعوها عن ملـوكهم الأقـدمين، وبما عرفوا عن تاريخ الأشكانيين ما رواه لهم كتاب دينهم، فانقلب الأبطال وأشباه الآلهة في الأبستاق ملوكـًا قدماء سيطروا على إيران، وأضيف إلى هذا الخليط ما عرفه الفـرس مـن عـداء الآشـوريين والعـرب والتورانيين من أساطير قديمة أو وقائع حديثة ردوها إلى عهد قديم، وزيد على هذا وذاك ما اخترعته خيالات الجماهير، فصار هذا كله قصصا حماسيا احتفظ بها الدهاقين وحدثوا بها، وأنشـدها النـاس فـي محـافلهم وأعيادهم، أضيف إلى هذا تاريخ الساسانيين، ودون هذا كله في كتاب سمي باستان نامه أو خداي نامـه [٢٠]، ويضيف نولدكه، إلى هذه المصادر مصدرا آخر يذكر أن الفردوسي استفاد منه وهو كتاب "يادكار زريـران" ويقول إنه من أقدم قصص البطولة وأنه في شرح حال البطل "زرير" [٢١]. وهناك أيضا كتاب (مزدك نامـه) وهو كتاب عن مزدك الشيوعي وصلته بالملك قباد وقد ترجم "ابن المقفع" هذا الكتاب نثرا وترجمه "اللاحقي" شعرا [٢٢].

---

[١٦] نفس المرجع السابق: ص ١٠٦.

[١٧] حمزة الأصفهاني: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٩ – ١٠ ط برلين.

[١٨] تاريخ سنى ملوك الأرض: ص ١٥.

[١٩] حماسة سرائي: ص ٦٣.

[٢٠] مقدمة الشاهنامة العربية: ص ٢٧.

[٢١] حماسة ملي: ص ٨.

[٢٢] الفهرست: ص ٣٤٢.

وهناك أيضا كتاب "وهرام چوبين نامك" عن قصة الغاصب بهرام چوبين [٢٣]. وقد ترجمه "جبلة بن سالم" إلى العربية [٢٤]. وقد ضاعت الأغلبية العظمى من هذه المؤلفات، ولم يجد الفرس عندما أرادوا نقل تراثهم القديم إلى الفارسية الحديثة في عصر الدولة السامانية (٢٧٩ – ٣٢٨٩) لم يجدوا بدا من الرجوع إلى الترجمات العربية فنقلوها إلى لغتهم.

وكانت هناك وسيلة أخرى للاحتفاظ بهذه الثقافة كما يحدثنا د. علي الشابي، وهي:

الموابدة والدهاقين:

وقد احتفظوا بغيرتهم على ثقافة القوم وتراثهم، وكانوا الرواة الحفظة للتواريخ والذكريات، ولم ينقطعوا عن هذا الصنيع بل ارتبطوا بها، وقد وجد فيهم التراجمة إلى الفارسية الإسلامية حين قاموا بالنقل بالإضافة إلى الترجمات العربية، مما سهل أمامهم عملهم، فأكملوا الناقص، ورتبوا المضطرب وأضافوا الجديد. وحين ظهرت الشاهنامات كانت تستمد من هذه الأصول، تَتَغَنى بالبطولة، وتمزج بين الخيال والواقع، وتُمجد الماضي وتعيش على ذكراه [٢٥].

شاهنامة أبي منصور:

من المصادر التي رجح معظم دارسي الفردوسي [٢٦] أنه استفاد منها شاهنامة أبي منصور هذه، وهي شاهنامة نثرية ُألفت سنة ٣٤٦ هـ بأمر "أبي منصور محمد بن عبد الرازق" وكان من أعيان طوس ورؤسائها وقد أمر "أبو منصور المعمري" باستقدام أرباب الكتب من الدهاقنة، والحكماء من المدن، فاجتمع له:

"شاج بن خراساني" من هراة. و"يزدان دار بن شابور" من سجستان و"ماهوي خورشيد بن بهرام" من نيشابور و"شاذان ابن برزين" من طوس، وألفوا هذه الشاهنامة [٢٧]. وقد أشار الفردوسي نفسه في مقدمة شاهنامته إلى قصة تشبه القصة السابقة تماما فقال [٢٨]:

---

[٢٣] إيران في عهد إلى الساسانيين: ص ٥٦.

[٢٤] الفهرست: ص ٤٢٤.

[٢٥] د. علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي: ص ١٢٠ – ١٢١ تونس سنة ١٩٦٥.

[٢٦] راجع: حماسة سرائي: ص ١٠٣؛ الأدب في العصر الغزنوي: ص ١٢٥؛ دراسات في الشاهنامة: ص؛ مقدمة الشاهنامة العربية: ص ٢٧.

[٢٧] مقدمة شاهنامة أبو منصوري، نقلاً عن هزار سال نثرپار: ص ٤١.

[٢٨] شاهنامة فردوس: جـ ١ ص ٨ ط بروخيم طهران سنة ١٣١٣ س. الأبيات بالفارسية:

- كان هناك كتاب قديم، به الكثير من القصص.
- كانت متفرقة في أيدي الموابدة، فكان كل عاقل يحصل منها على نفع.
- وكان هناك بطل منتسب إلى الدهقان، شجاع عظيم وعاقل كريم.
- باحث عن التاريخ القديم، وجد في هذا الكتاب السير الماضية.
- فأحضر من كل إقليم موبدا مسنا، و جمع الكتاب.
- وسألهم عن أصل الكيانيين، وعن حياة أولئك المشهورين المسعدين.
- وعما عندهم عن أصل الدنيا، ليعلمونا به.
- فتحدثوا أمامه واحدا واحدا من العظماء، عن الملوك وتغير الأيام.
- وعندما سمع منهم الحاكم هذا الكلام، وضع كتابا مشهورا.
- وهكذا صارت له هذه الذكرى في العالم، وأثنى عليه الكبار والصغار.

ولعل طريقة تأليف هذه الشاهنامة توضح الاهتمام الزائد فيها بالقصص الشعبي والأبطال القوميين، ويتضح هذا بالذات في شاهنامة الثعالبي وشاهنامة الفردوسي. وقد رجعا لنفس المصدر – كما يذكر النقاد أيضا – وهو شاهنامة المنصوري[٢٩]. فهؤلاء الدهاقنة وموابدة الفرس الذين استقدمهم "أبو منصور" لكتابة هذه الشاهنامة حرص كل منهم – فيما أرى – على تسجيل الأبطال الذين اشتهروا من إقليمه أو أسرته، ويؤكد هذا قول نولدكه: إن وجود أسماء أصحاب مقامات عالية في الشاهنامة من أمثال "كودرز" و"كيو" و"طوس" و"بيزن" – وهم لم يكونوا من الملوك – أثر من آثار نفوذ الأسر الكبيرة ذات الأصل الإشكاني والتي كانت ذات شوكة وشأن كبير في عصر الساسانيين، وكانوا يعدون أجدادهم من الأبطال القوميين [٣٠].

یکی نامه بود از که باستان	فراوان بدو اندرون داستان
برا کنده دردست هر موبدي	ازو بهره ای برده هر بخردي
یکی پهلوان بود دهقان نزاد	دلیر وبزرك وخردمنده وداد
بزوهنده روزکار نخست	گذشته سخنها همه باجست
زهر کشوري موبدي سالخورد	بیاورد کاین نامه راکزد کرد
بپرسید شان از نزاد کیان	وزان نامداران فرخ کوان
که کیتی بآغاز چون داشتند	که ایدر بما خوار بکذا شتند
بگفتند بیشش یکایك مهان	سخنهاي شاهان وگشت جهان
چو بشنید زیشان سپهبد سخن	یکي نامور نامه افکند بن
چنان یادگاري شد اندر جهان	برو آخرين ازكهان ومهان

[٢٩] راجع ذبيح الله صفا؛ يراون؛ نولد كه؛ علي الشابي.

[٣٠] حماسة ملي: ص ٢٢.

شاهنامة الدقيقي:

قد يكون مفيدا في هذا المقام أيضا أن نشير إلى أحد الأعمال الملحمية التـي سـبقت الفردوسـي، وهـي شاهنامة الدقيقي (ت قبل سنة ٣٧٠ هـ) أي قبل أن يشرع الفردوسي في نظم شاهنامته، ويقال إن نوح بـن منصور بن نوح الساماني (٣٦٥ – ٣٨٧ هـ) هو الذي أمره بنظم الشاهنامة، وقد نظم ألف بيت منها – كما يصرح الفردوسي – في الشاهنامة عن ظهور زرادشت وحرب كشتاسب وأرجاسب، وقد أدرجها الفردوسـي – في شاهنامته استجابةً لرغبة الدقيقي في الحلم، وبعد أن نقلها في الشاهنامة يتخلص قائلاً [٣١].

- فأوصل الدقيقي الكلام إلى هذا الحد، وقضى الزمان على جذر عمره.
- واسترق روحه من الدنيا الفانية، بعد أن تألم كثيرا.
- فلم يبق منه في الدنيا أثر، إلا هذا الكلام.
- ولم يكمل الكتاب الذي بدأه، وأجرى قلمه فيه.

وبهذا نكون قد أتينا على معظم المصادر التي استقت منها الشاهنامات عمومـا، وشـاهنامة الفردوسـي خصوصا مادتها الأسطورية والتاريخية على السواء.

---

[٣١] شاهنامة فردوسي: جـ ٦ ص ١٥٥٤، الأبيات بالفارسية:

دقيقـــي رســـانيد اينجـــا ســـخن — زمانـــه بـــرآورد عمـــرش بـــبن
ربـــودش روان ازســـراى ســـپنج — از آن بس كـه بنمـود بسـيار رنـج
بكيتـــي نماندســـت ازود يادكـــار — مكـــر ايـــن ســـخنهاي نابايـــدار
نمانـــدي كـــه بـــردي ســـرنامه را — برانـــدي بـــراو سربســـر خامـــه را

الفصل الثاني

القصـــة في الشـــاهنامة

أولاً: ملخص القصة كما جاءت في الشاهنامة[٣٢]:

ذكر الفردوسي أنه بعد كيقباد تولى الملك ابنه "كيكاوس" وقد اتجه في البداية إلى فتح مازندران، ولم يقبل نصح "زال" [٣٣] فأغار على تلك البلاد مع مجموعة من قادته من أبطال إيران، فاستعان "ارزنك" ملك مازندران بالـ"ديوسپيد" الجني الأبيض الذي أغار على معسكر "كيكاوس" وجنوده فأعماهم وأوقعهم جميعا في الأسر، فأرسل "كيكاوس" واحدا من جنوده نجا من العمى إلى "زال" – طالبا عونه ومبديا ندمه لعدم استماعه إلى نصيحته فقام "زال" بإرسال ابنه "رستم" البطل الإيراني، وبعد مغامرات عديدة في الطريق وعبور السبع منازل وصل رستم إلى مازندران، وقد أسر واحدا من ملوك الجن "أولاد" وهو في الطريق وقد ساعده هذا الجني على معرفة بعض أسرار الجن المسيطرين على مازندران، وخاصة الـ"ديوسپيد" فاستطاع رستم أن يقتله ويشق عن خاصرته ويأخذ كبده فيقطر قطرات من دمه في أعين "كيكاوس" ليستعيد بصره هو وكل الإيرانيين، وبعد صراع شديد مع ملك مازندران يتم التخلص منه، وتسند مملكة "مازندران" لـ"أولاد" ويعود "كيكاوس" مظفرا إلى إيران، وبعد حين يتجه "كيكاوس" لفتح توران والصين ومكران، وقد قبل ملوك هذه البلاد جميعا دفع الجزية والخراج له. ثم حمل على البربر فاستعان ملك البربر عليه بملك مصر وملك هاماوران فهزم ثلاثتهم، وقبلوا هم أيضا الجزية والخراج، ثم تزوج "كيكاوس" من "سودابة" ابنه ملك "هاما وران" الذي احتال بعدها على "كيكاوس" وجنوده فأوقعهم في الأسر. وعندما شاع خبر وقوع "كيكاوس" في الأسر أغار العرب والترك على إيران طمعا في عرشها. وقد تحارب "أفراسياب" ملك توران مع العرب حربا شديدة حتى أجلاهم عن إيران، واستولى هو على ملك تلك الديار. وقد أسرع رستم إلى "هاما وران" وفك أسر "كيكاوس" وعاد به ومعه سوذابه وأبطال إيران فأجلوا "أفراسياب" عن إيران بمساعدة ملك الروم. وقد ابتنى "كيكاوس" بمساعدة الجن قصرا معجبا على قمة جبل "البرز" ثم ذهب لحرب السماء بعد أن خدعه أحد الجن بذلك لرغبتهم في التخلص من سيطرته، وقد سقط في ناحية بالصين وسقط على الأرض متجرعا كأس الندم. فذهب إليه أبطال إيران ووبخوه على فعلته، وبعد عودته إلى إيران ظل محتجبا عنهم فترة من خجله، وفي هذه الفترة كان معتكفًا يطلب من الخالق العفو والمغفرة فقبل الله منه ذلك؛ فظهر لهم وجلس على عرشه وأعاد رسم السلطنة إلى ما كان عليه. أما عن "**سياوش**" ابنه فيقول الفردوسي، إنه في البداية ضمه "رستم" البطل الإيراني إليه وأخذه إلى "زابلستان" ليعلمه فنون الحرب والقتال، وفنون الحكم والمجالس وما إليها، فلما تكاملت فيه هذه الفنون عاد إلى أبيه، فتدلهت في حبه "سودابة" زوجة أبيه الساحرة وحاولت أن تراوده عن نفسه فلما امتنع عليها أخذت تكيد له عند أبيه المرة تلو المرة. فلما ضاق بها طلب من والده أن ينفذه لحرب "أفراسياب" الذي كان قد أغار على إيران فضم أبوه إليه "رستم بن دستان" على رأس جيش قوي لمحاربة "أفراسياب" ثم جرت مناوشات بينهما واستقرا على التصالح وأرسل "سياوش" رستم برسالة لـ"كيكاوس" يعلمه بما جرى فثار "كيكاوس" ونَحى رستم عن الجيوش وأرسل ردا شديدا "لسياوش"، فضاق صدر

---

[٣٢] راجع شاهنامة فردوسي: جـ ٢، جـ ٣.

[٣٣] زال: والد رستم في الأساطير الفارسية.

"لسياوش" من أفعال أبيه فالتجأ إلى "أفراسياب" الذي رحب بمقدمه في البداية و قابله بما يليق فتزوج من ابنة "بيران" قائد جيوش "أفراسياب" ثم تزوج من ابنة أفراسياب نفسه الذي أقطعه مقاطعة قريبة من الصين رحـل إليها هو وزوجه، إلا أن "كرسيوز" أخا أفراسياب أوغر صدره عليه، وانتهت المؤامرة التي حاكها إلى مقتـل "سياوش" وكانت امرأته حاملاً في ابنه "كيخسرو" وعندما علم الإيرانيون بما جرى لسياوش، أسـرعوا إلـى توران بقيادة "رستم" أخذًا بثأره. وقد أرسلوا "جيو" البطل الإيراني لإحضار "كيخسرو" وأمه إلى إيران ونجح في ذلك بعد عدة مغامرات. ثم تنازل له "كيكاوس" عن ملك إيران.

هذا هو ملخص القصة كما جاءت في الشاهنامة وهي قصة طويلة فيها مغامرات عديدة وصراعات كثيرة واستطرادات إلى قصص مختلفة مثل قصة رستم وسهراب، وتقع أحداث قصة ملك كيكاوس في أكثـر مـن سبعة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر.

فإذا انتقلنا إلى تفاصيل هذه القصة لنرى أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين ما جاء في المصادر الدينيـة القديمة مثل "الأفستا" أو المصادر الدينية البهلوية مثل الـ"بندهشن" والـ"دينكرت"، وكذا المصادر الإسـلامية التاريخية مثل تاريخ الطبري (ت ٣١٠ هـ) ومروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) وقد ذكرنا قبلاً أنهـا اعتمدت على مصادر دينية فارسية قديمة ومصادر تاريخية قديمة مثل كتب "خداي نامه".

إذا قارنا بين ما جاء عند "الفردوسي" وما جاء في هذه المصادر نلاحظ أن "الفردوسي" يخالفهـا جميعـا عندما يذكر أن "كيكاوس" تولى الملك خلفًا لأبيه "كيقباد" يقول الفردوسي[٣٤]:

چو بگرفت كـاؤس گـاه پـدر　　مراورا جهان بنده شد سربسـر

أي عندما جلس كيكاوس مكان أبيه، صارت الدنيا كلها مطيعة له، أما كيكاوس في المصادر البهلوية فهو ابن "كي ابيوه" ابن "كيقباد" [٣٥] وعلى هذا يكون حفيد كيقباد وليس ابنه كما يذكر الفردوسـي، وكمـا يـذكر الثعالبي أيضا في الغرر الذي يقول: إن كيقباد استخلف على الملك بعده ابنه الأكبر "كيقاوس" [٣٦] أما الطبري فيذكر أن كيكاوس هو ابن كيفيه ابن كيقباد [٣٧] وهذا أقرب لما جاء في المصادر البهلوية.

[٣٤] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣١٦.

[٣٥] نقلاً عن حماسة سرائي درايران: ص ٤٦٣.

[٣٦] الثعالبي: العزر في أخبار ملوك الفرس: ص ١٥٣ زوتنبرج – باريس.

[٣٧] أبو جرير الطبري: تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠١. دار المعارف الطبعة الرابعة.

قصة حرب مازندران:

ذكر الفردوسي أن أول ما فعله "كيكاوس" بعد جلوسه على عرش إيران هو مسيره لحرب "مازنـدران" ويروي الفردوسي القصة على النحو التالي [٣٨]:

إن كيكاوس جلس يوما على عرشه، وحوله قادته وكبراؤه.

- فجاءه جني متخف في شكل مغنٍ يريد أن يهدي الملك أغنية.
- فقال إنني مطرب حسن الصوت من أهل مازندران.
- ثم أخرج عودا وسواه، وغنى على طريقة أهل مازندران.
- بالطيب هواء مازندران. ليت الرياح الطيبة تظل تهب عليها.
- رياضها دوما مزهرة، وجبالها مفروشة بالشقائق والسنبل.
- هواؤها معتدل وأرضها مزهرة، لا صيف فيها ولا شتاء بل ربيع دائم.
- وعندما سمع منه كيكاوس هذا الكلام، تاقت نفسه لتلك الفكرة الجديدة.
- وانشغل قلبه بالرغبة في الحرب، عقد العزم على الإغارة على مازندران.
- فقال لقواده، لقد ركنا للهو.
- وقبيح بالفارس أن يركن للبطالة والكسل.

وقد حاول القادة أن يثنوه عن تلك الفكرة، لكنهم لم يستطيعوا فأرسلوا إلى "زال" ليحضر من زابلستان لعله يستطيع إقناعه بالعدول عنها، لكن كيكاوس لم يقبل منه النصيحة، وقال له [٣٩]:

---

[٣٨] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤١٦ – ٤١٧ الأبيات بالفارسية.

چو ـرا مشكري ديـوزي بـرده دار	بيامــد كــه خواهــد برشــاه بــار
چنين كفـت كـز شـهر مازنـدران	يكــى خــوش نــوازم زرامشــكران
ببربط چو بايست بـر مسـاخت رود	بــــر آورد مازنــدراني ســـرود
كه مازنـدران شـهر مـا يـاد بـاد	هميشــه بــرو بــومش آبــاد بــاد
كه در بوسـتانش هميشـه كِلسـت	بكــوه انــدرون لا لــه وسنبلســت
هـوا خوشـكوار وزمـين برنكـار	نه كـرم نـه سـرد وهميشـه بهـار
چو كـاؤس بشـتيد ازايـن سـخن	يكــى تــازه انديشــه افكنــدا بــن
دل رزم جــويش ببســت انــدران	كـه لشـكر كشـد سـوى مازنـدران
چنــين كفـــت باســرفرازان رزم	كــه مــادل نهــاديم يكســر ببــزم
اكــر كــاهلى بيشــه كيــرد دليــر	نكــردد زاســودان وكــاه ســير

[٣٩] المرجع السابق: جـ ٢ ص ٣٢٣ – ٣٢٤ الأبيات بالفارسية:

- لا غنى لي عن رأيك الصائب.
- لكنني أكثر من أفريدون وجمشيد مالاً ورجالاً وعظمة.
- وأنا أقوى من منوجهر وكيقباد، اللذين لم يفكرا في غزو مازندران.
- وجيوشي أقوى من جيوشهم وقلبي أشجع وكنوزي أكثر والدنيا تحت سيفي (حكمي).
- وإنني لصائر إليها، وموقع بها، ومنفذ فيها أمري.
- وفارض عليها خراجا ثقيلاً، وغير مبق فيها على أحد.
- وعليك أنت ورستم أن تبقيا هنا لحراسة مملكتنا وعليك باليقظة.
- فالله معيني، أما صيدي فهو رؤوس الشياطين الشرسة.
- وإنا لم نكلفك عناء مناصرتنا، فلا تشر علينا بالقعود عنها.
- وعندما سمع زال هذا الكلام منه، لم ير بادرة لرجوعه عما في رأسه.
- فقال له أنت الملك وما نحن إلا العبيد الناصحون لك.
- ويجب علينا اتباع ما تأمر به، سواء أكنت على حق أم على باطل.

أما عن مسير "كيكاوس" مع أبطال إيران أمثال "جودرز" و"طوس" إلى مازندران، فقد انتصروا في البداية على الجن الموكلين بحفظها، واستولوا على المدينة، إلا أن ملكها عندما وصلته هذه الأنباء أرسل إلى الجني الأبيض "سپيدديو" يستعين به، فقصد هذا الجني في الليل إلى "كيكاوس" وجنوده، وملأ الأرض عليهم بالظلمات. فعموا وأصبحوا لا يبصرون، وهكذا تركهم ثم [٤٠]:

چنين ياسخ آورد؟ كاؤس باز   كز انديشة تو نيم بي نياز
وليكن مرا فريدون وجم   فزونست مردى وفر ودرم
همان از منوچهر واز كيقباد   كه مازندران رانكردند باد
سباه ودل، كنجم افزونترست   جهان زير شمشير تيز اندرست
شوم شان يكايك بدام آورم   كر آيين شمشيز ونام آورم
اكر برنهم ساو وباز كران   وكر كس نمانم بمازندران
تو بارستم اكنون جهاندرا باش   نكهبان ايران وپيدار باش
جهان افرينده يارمنست   سرنزه ديوان شكار منست
كر ايدون كه يارم نباشي مجنك   مغرماي بركاه كردن درنك
چو ازشاه بشنيد زال اين سخن   نديد ايچ بيدا سرش از بن
بدو كفت شاهى وما بنده ايم   بدلسوزكي باتو كوينده ايم
اكر داد كوئى همى يا ستم   براى تو بايد زدن كام ودم

(٤٠) راجع شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٣٠، والأبيات بالفارسية:

- أوكل بهم اثنى عشر ألفًا من مردة الشياطين المحاربين.
- وحمل كل كنوز الملك والجيش، من تاج وياقوت وفيروز.
- وأرسل كل هذه الأحمال والأثقال إلى أرزنك قائد مازندران.
- وقال له قل للملك، ولا تبحث عن خدمة من الجني الآن.
- فقد أديت كل ما وجب، ومرغت جيش إيران في الوحل.
- فأصبح كل جيش إيران وأبطاله، لا يرون شمسا ولا قمرا.
- لم نقتلهم ولكن أفزعناهم، ليعرفوا أقدارهم.
- وليعتبر ذو العقل بما أصابهم، فلا يعِر أحدهم أذنه لمثل هذا العمل.

أما "زال" فعندما علم بما حدث لكيكاوس والإيرانيين معه أمر ابنه "رسـتم" بالمسـير إلـى "مازنـدران" لإنقاذهم، فسار "رستم" ولاقى الكثير من الصعاب، وقطع السبع منازل "هفت خوان" إلى مازندران، وفي أحد المنازل استطاع أن يأسر ملكًا من ملوك الجن اسمه "أولاد" بعد صراع شديد بينهما، وكان هذا الجـن خيـر معين لرستم على معرفة بعض أسرار الجن وأماكن تواجدهم، فقتل الجن الموكلين بحراسة مازندران ثم ذهب إلى المغارة التي بها مستقر الجني "ديوسبيد" وبعد صراع عنيف مع الجن الذين يحرسون المغارة قتلهم رستم ودخل إلى أعماق المغارة المليئة بالظلمات، هبط رستم بعد أن غسل وجهه بالماء إلى حيث يوجد ملك الجـن "ديوسبيد" وبعد صراع بينهما [٤١]:

- غلبه رستم ورماه على الأرض، فكان كالأسد الهصور عندما تفارقه الروح.
- ثم شق قلبه بالخنجر، وأخرج كبده من الجسد الأسود.
- فامتلأت بجثته المغارة، وصارت الدنيا كبحر الدماء.
- وجاء إلى أولاد وحل وثاقه، من ذلك السرج الذي أوثقه به.
- وأعطى أولاد كبد الجني، وأمره أن يتجه إلى كيكاوس.

وزان نَـره ديـوان خنجـر كـذار   گـزين كـرد جنگـى ده ودو هـزار
وزان پس همه كـنج شـاه وسـباه   چـه ازتـاج يـاقوت وبيـروزه كـاه
سبرد آنجـه ديـد ازكـران تـاكران   بـه إرزنـك سـالار مازنـدران
برشـاه بركفـت واورا بكـوي   كـز آهـرمن اكنـون بهانـه مجـوي
كه من هرجه بايسـت كـردم همـه   بخـاك أوريـدم سراسـر رمـه
همـه بهلوانـان إيـران سـباه   نه خورشيد بيننـد روشـن نـه مـاه
بكشـتن نكـردم بـرو برنهيـب   بـدان تابدانـد فـراز نشـيب
بزارى وسـختي برايـدش آهـوش   كسى نيـز ننهـد بـرين كـار كـوش

[٤١] راجع الشاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٥٤ ونص الأبيات بالفارسية:

زدش برزمين همچـو شـير زيـان   جنان كزسـن وى بـرون كـرد جـان
فـرو بـرد خنجـر دلـش بردريـد   جگـرش ازتـن تيـره بيـرون كشـيد
همه غار يكسـر تـن كسـته بـود   جهان همجو درياي خون كشـته بـود
بيامـد زاولاد بكشـاد بنـد   بفتـراك بسـت آن كيـاني كمنـد
بـاولاد داد آن كشـيده جكـر   سـوى شـاه كـاؤس بنيـاد سـر

أما "أولاد" فوجد الفرصة مناسبة ليذكر "رستم" بالوعد الذي قطعه على نفسه بتوليته ملـك "مازنـدران" فقال لرستم[٤٢]:

- أيها الأسد الهصور، يا من سخرت العالم بسيفك.
- لقد منيتني بأمنية يتمناها قلبي، وإنني أسألك إياها.
- فقال له رستم: سأسلم لك جميع ممالك مازندران.
- ولكن ينبغي علي "أولاً" أن أقتلع ملك مازندران من مكانه وألقيه في البئر.
- وأن أقطع بحد الخنجر، رؤوس آلاف السحرة والجن،
- لن أرجع عن عهدي أبدا، إلا إذا وارانى التراب.

وهكذا تبدأ الحلقة الأخيرة من الصراع مع ملك مازندران، وقد بدأوها بإرسال الرسل إليه طالبين منه قبول الجزية والخراج، وإلا فليأذن بحرب لا قبل له بها، وعندما رد بالرفض اقترح رسـتم علـى "كيكـاوس" أن يرسله بالرسالة التالية حتى تكون فرصة لاختبار القوى بينهم، وقد أظهر رستم من علامات القوة والرجولة؛ مما دعا ملك "مازندران" أن يلقاه بالاحترام، ويسأله قائلاً [٤٣]:

- أأنت رستم الشديد، ذو السواعد القوية.
- فأجاب إنني خادم، إذا ما قبل خدمتي فإنني أسعد بها.
- أين أنا منه فهو الفلك العالي والبطل والإسوار.

---

[٤٢] شاهنامه فردوس: جـ ٢ ص ٣٥٥، والأبيات بالفارسية:

كـــف أولاد كـــاي نــــره شــــير   جهـــانرا بتيـــغ آويـــدي بزيـــر
بجيـــزى كـــه دادى دلمـــرا نويـــد   همـــى بـــاز خواهـــد نويـــدم اميـــد
بـــدو كفـــت رســـتم كـــه مـــازران   ســـبارم بتـــو ازكـــران تـــاكران
همـــى شـــاه مازنـــدران رازكـــاه   بيايـــد ربـــودن فكنـــدن بچـــاه
ســـر ديـــو جـــادو هـــزاران هـــزار   بيفكنـــد بـــاير بخنجـــر بـــراز
وزان بـــس مكـــر خـــاكرا بســـبرم   وكرنـــه زبيمـــان تـــو نكـــذرم

[٤٣] شاهنامه فردوسي: جـ ٢ ص ٣٦٣، الأبيات بالفارسية:

وازن بس بدو كفـــت رســـتم تـــوبي   كـــه دارى بـــرو بـــازوي بهلـــوي
جنين داد باسخ كه مـــن چـــا كـــرم   اكر چـــاكرى را خـــور انـــدر خـــورم
كجـــا او بـــود مـــن نيـــايم بكـــار   كـــه أو بهلوانـــت وكـــرد وســـوار

وفي النهاية وقعت بينهم وبينه (ملك مازندران) حربا شديدة انتهت بأن أسره رستم فحول نفسه إلى صخرة عن طريق السحر، لكن رستم [٤٤]:

- حمل تلك الصخرة، وجميع الجيش متعجبين منه.
- ومشى وهو يحمل قطعة الجبل تلك على رأسه، والخلق وراءه يتعالى صياحهم.
- وأخذوا يهتفون له، وينثرون عليه الذهب والجوهر.
- فحمله إلى سرادق الملك كيكاوس، وألقاه أمام الإيرانيين.
- وقل له إن لم تخرج من هذه الصورة، وتخلع السحر والحيل.
- فإنني سوف أحطمك بالسيف البتار، وأهيل كل الأحجار على رأسك.
- وها قد رجع إلى هيئته الأولى، عندما سمع أنهم سيقطعون رأسه بالسيف ويحطمون جسمه بالحجر.
- وضحك رستم البطل وأخذه من يده واتجه للملك.
- فأمر الملك "دزخيم" أن يقطعه بسيفه الحاد إربا إربا.

وبمقتل ملك "مازندران"، تنتهي قصة صراع كيكاوس للسيطرة عليها فيعود الجميع إلى إيران بعد إسنادها للملك أولاد.

والملاحظ أن الخطوط الرئيسية لهذه القصة – كما أوردها الفردوسي – يدور الصراع فيها بين الجن والشياطين والسحرة في تلك المملكة فالطريق إليها مليء بهم، كما أنهم موكلون بحمايتها وحراستها، وملكها قد عقد معاهدة مع ملك الجن "ديوسبيد" لحمايته، بل هو نفسه يستخدم السحر في حروبه.

والقصة بهذا الشكل الذي جاءت به عند الفردوسي تتفق في خطوطها الرئيسية مع ما جاء عن "كيكاوس" في المصادر الدينية القديمة والبهلوية أيضا؛ فكل الروايات التي رويت عن "كيكاوس" تربط بينه وبين الشياطين بصورة من الصور، ففي الأوستا أن "كوي اوسن" قرب القرابين لأناهيتا وطلب منها أن تجعله مسيطرا على كل الممالك بما فيها من إنس وجن، وأنها استجابت له [٤٥] فهنا إشارة لسيطرته على الجن، وفي الڤيدا الهندية أنه صنع (المقمعة) التي قتل بها الإله (اندرا) الشيطان (فرتوه) [٤٦] وفي هذه الأسطورة كان سببا في مقتل هذا الشيطان أيضا.

---

[٤٤] نفس المرجع والجزء: ص ٣٧٣ – ٣٧٤ الأبيات بالفارسية:

بران كونه آن سنك رابر كرفت	**كزو ماند لشكر سراسر شكفت**
بياده همى رفت بركتف كوه	**خرو شان پس بشت او در كروه**
ابر كردكار اخزين خواندند	**برستم زر وكوهر افشاندند**
بپيش سرابرده شاه برد	**بيفكند وايرانيانرا سپرد**
بدو كفت ازايدون كه پيدا شوى	**بكردى ازين تنبل وجادو سي**
وكرنه بپولاد تيز وتبر	**ببرم همه سنك را سربسر**
چو بشنيد شد همچو يكباره ابر	**بسر برش پولاد ود رتنش كبر**
تهتمن گرفت آن زمان دست أوى	**بخنديد وزى شاه بنهاد روى**
بدزخيم فرمود تاتيغ تيز	**بكيرد تنش راكند ريز ريز**

[٤٥] نقلاً عن حماسة سرائي درايران: ص ٤٩٧.

[٤٦] نقلاً عن هامش الشاهنامة العربية: جـ ١ ص ١٠٥.

أما المصادر البهلوية فتذكر صراحة علاقته بشياطين مازندران فقد جاء في الدينكرت: أنـه بنـى قلعـة عجيبة ومنها كان يحكم شياطين مازندران، ويمنعها من أفساد العالم [٤٧]، وهنا تصريح بعلاقتـه بشـياطين مازندران.

وجاء عند الطبري أيضا أن الجن كانت تُسخر له بأمر سليمان بن داود [٤٨] هنا أيضا إشارة إلى علاقتـه بالجن.

أما شياطين مازندران بوجه خاص فلها شهرة في الأساطير الدينية الفارسية، فكلمة شيطان "ديـو" تطلـق بوجه عام على شياطين مازندران – كما يذكر د. ذبيح الله صفا – وشياطين تلك الناحية ليسـت مخلوقـات خبيثة فقط، لكنها مجموعة من المخلوقات الخطيرة الشيطانية. وقد وصفت في الأفستا أنها مخلوقات عجيبـة عظيمة الجثة تسكن في المغارات، وأن أكبر شياطينها هو "استوويدات" وهو شيطان الموت [٤٩]. وفي الأفستا أيضا أن الملك (سروش) يحارب كل يوم وكل ليلة جن مازندران، ويذكر أن الملك "هو شنك" أيضا قرب إلى بعض الآلهة لتعينه على تحطيم ثلثي شياطين مازندران [٥٠].

لعل هذا يوضح سر ربط الأساطير الدينية البهلوية بين "كيكاوس" الذي وصف في الأفستا بالقوة والمقدرة، والذي سيطر على جميع الممالك بما فيها من إنس وجن وبين "جن مازندران" بالذات التي وصفت هي أيضـا بالقوة والشراسة والضخامة والتي تجنبها من قبله "أفريدون" "وجمشيد" "ومنوجهر" "وكيقباد"، فيقول "كيكاوس" في رده على زال الذي حاول أن يثنيه عن غزوها فقال له [٥١]:

- ولكنني أكثر من افريدون وجمشيد مالاً ورجالاً وعظمة.
- وأنا أقوى من منوجهر وكيقباد اللذين لم يفكرا في غزو مازندران.

أما عن صفات هؤلاء الشياطين أو الجن – التي جاءت عند الفردوسي – فهي صفات أقرب إلى صـفات البشر – كما يذكر ذبيح الله صفا، وأوافقه على ذلك – فهم يتجمعون في جماعات مثل البشر ولهم قائد وملك، ويذهبون للحرب، ويعرفون فنونها – ويتكلمون، ويعرفون السحر والحيل، كما أنهـم ينـامون، ويجرحـون، ويقتلون وتسيل دماؤهم ويخافون، ويفرون، كل هذا يتضح من خلال تحارب رستم معهـم، فقـد جـاء فـي الشاهنامة عن مقتل الجني ارزنك على يد رستم [٥٢]:

---

[٤٧] نقلاً عن حماسة سرائي: ٤٩٧.

[٤٨] تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٧.

[٤٩] حماسة سرائي: ص ٥٦٦.

[٥٠] نقلاً عن هامش الشاهنامة العربية: جـ ١ ص ١٠٨.

[٥١] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٢٣، الأبيات بالفارسية:

ولـيكن مـرا از فريـدون وجـم   فزونسـت مـردي وفـر ودرم

همـان ازمنـوچهر وازكيقبـاد   كـه مازنـدرانرا نكردنـد يـاد

[٥٢] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٢٨، الأبيات بالفارسية:

- وقد قصد القائد إلى "ارزنك" (الجني) كما يقصد المحارب الميدان.
- فصرخ صرخة هائلة بين عسكره، كما لو كان البحر والجبل قد انشقا.
- فخرج الجني "ارزنك" من خيمته، عندما وصله صياح إنسي.
- فلما رآه رستم حمل عليه بالحصان، ووقع عليه وقوع النار.
- وأمسك البطل برأسه وأذنيه وأنشب أظفاره في عنقه، فاقتلع كالأسد، رأسه من جسده.
- وألقى الجسد المنزوع الرأس مضرجا بدمائه، أمام الجماعة السيئة.
- وعندما رأت الجن جسده الفاره، تمزقت قلوبهم خوفًا من قبضته.

هذه الصفات التي أوردها الفردوسي عن الجن وقتالهم مع بني الإنسان لو لم يذكر في بدايتها أنها معركـة بين رستم و"ارزنك ديو" لخلناها حربا بين اثنين من الأبطال أو المتحاربين – ولعل هـذا جعـل المستشـرق "دارمستتر" يرجح أن المقصود بشياطين مازندران هم أهل الحدود في مازندران، ويقول إنهم ينتسبون إلـى قبائل وحشية غير إيرانية، ويؤيده ذبيح الله صفا في هذا التصور فيقول إن مازندران في الأساطير الدينيـة لا تعد كأي ناحية في إيران، كما أن أهلها يعتبرون من أب وأم غير إيرانيين [٥٣]. وقد تحدثت الشاهنامة عـنهم كما لو كانوا من أصول غير إيرانية، يقول الفردوسي على لسان ملك مازندران، مخاطبا رسول كيكاوس[٥٤]:

- قل لكيكاوس إن كنت ملك إيران، ولك قلب الأسد وقبضته.
- فأنا ملك مازندران وقائد جيشها، الجالس على عرشها والمتوج بتاجها الذهبي.
- ومن الضلال أن يستدعى مثلي إلى حضرته، فهذا ليس من رسم العظماء وطريقهم.
- فتفكر في مقامك؛ ولا تتطلع لعرش العظماء؛ فنتيجة هذا الطمع الهلاك لك.

بـه ارزنـك سـالار بنهـاد روي   چـو آمـد بلشـكر كـه جنگجـوي
يكـى نعـره زد درميـان كـروه   كـه كفتـى بدريـد دريـا وكـوه
برون جست ازان خيمه ارزنك ديـو   چـوا آمـد بكوشـش ازانـان غريـو
چو رستم بديدسى برانكيخـت اسـپا   بيامـد بـرار چـو آذر كشسـب
سرو كوش بكرفـت ويـالش دليـر   سـر ازتـن بكنـدش بكـردار شـير
پـر ازخـون سـرديو كنـده زتـن   بيند اخـت زانسـو كـه بـد انجمـن
چـو ديـوان بديدنـد كوبـال اوي   بدريـد دل شـان زچنكـال اوي

(٥٣) حماسة سرائي: ص ٥٤٧.

(٥٤) شاهنامه فردوسي: جـ ٢ ص ٣٦٤، الأبيات بالفارسية:

بكويش كـه سـالار إيـران تـويي   اگـر چـه وچنـك شـيران تـويي
مـنم شـاه مازنـدران باسـپاه   براورنـك زريـن وبرسـر كـلاه
مرا بيهده خوانـدن بـيش خـويش   نـه رسـم كيـان باشـد وراه كـيش
براندیش وتخـت بزركـان مجـوى   كزين جسـتنت خـوارى آيـد بـروى

ويفسر الدكتور عبد الوهاب عزام سبب إطلاق الأساطير الإيرانية على أهل مازندران اسم الجن، أو الـ ـ "ديوسبيد" الجن الأبيض أن هواء البطائخ في مازندران يبيض أجسامهم لهذا سموا باسم الجن الأبيض. كمـا يضيف إلى هذا أن الطريق من إيران إلى مازندران شعاب قليلة وعرة ضيقة عالية، وهو عبارة عن شـعب سعته أذرع قليلة ويسيل الماء على جوانبه، وينفسح أحيانًا عن أودية ومغارات، وفيها كثير من السباع مثـل النمر والفهد والدب والذئب؛ وبسبب وعورة طريقها امتنعت "مازندران" على الفاتحين [55]. حدث هذا بالنسبة للمهاجرين الآريين القدماء الذين خاضوا حروبا شديدة مع سكان هذه الحدود الذين كانوا نصـف متوحشـين، ويرتدون جلود الحيوانات، وكانوا أيضا أقوياء أشداء، وقد استمرت هذه الحروب فترة من الزمن؛ لهذا السبب أصبح لها في الأساطير الدينية الإيرانية مكانة كبيرة – كما يذكر د. ذبيح الله صفا [٥٦] – وحدث هذا أيضـا بعد الإسلام فامتنعت بلاد مازندران على المسلمين زهاء مائتي عام من الفتح العربي لإيران. وقد سار إليهـا جيش مصقلة بن هبيرة في زمان معاوية بن أبي سفيان ومعه عشرون ألف رجل، فأوغل بهم في البلد، فلمـا تجاوز المضيق والعقاب أخذها عليه وعلى جنوده العدو عند انصرافه للخروج، فدهـدهوا عليـه الحجـارة والصخور من الجبال حتى هلك أكثر الجيش، وهلك مصقلة ولعل قصة حبس "كيكاوس" وجيشه في مازندران في الظلمات، وإمطار الحجارة عليهم من السماء – كما جاءت عند الفردوسي – تشبه ما حدث للقائد المسـلم مصقلة بن هبيرة وجنوده [٥٧]، كما أن الطرق التي سلكها رستم إلى مازندران والمنازل السبعة التي قطعهـا إليها تشبه تلك الأوصاف المذكورة المؤدية إلى مازندران عبر جبال البرز.

وقصة حرب "كيكاوس" في مازندران لم تذكر عند الطبري ولا عند المسعودي، كما لم يذكرها الثعالبي في الغرر أيضا.

فإذا تركنا قصة مازندران وشياطينها، فإننا ننتقل إلى قصة.

حرب كيكاوس في هاماوران:

والإشارة لهذه الحرب مذكورة في جميع المصادر من بهلوية وإسلامية مع اختلاف في اسم البلـد واسـم مليكها، فيذكر الفردوسي في الشاهنامة أنها هاماوران، وأن ملكها هو ملك "هاماوران" أما المصادر البهلويـة فتذكر أنه ذهب لمحاربة "شميران" وقد رجح ذبيح الله صفا أن المقصود بهاماوران أو "شميران" بلاد الـيمن [٥٨]. بينما يذكر الطبري والمسعودي الثعالبي أنه ذهب لحرب ملك اليمن مع اختلاف في اسمه، أما الطبـري والثعالبي فيتفقان على أن اسمه ذو الأذعار ويذكر الطبري أنه ذو الأذعـار بـن أبرهـه ذي المنـار ابـن الرائش[٥٩] كما أن الثعالبي فيقول إنه ذو الأذعار ذي المنار بن الرائش الحميري [٦٠] أما المسعودي فيخـالف

---

[55] هامش الشاهنامة العربية: جـ ١ ص ١٠٧ – ١٠٨.

[٥٦] حماسة سرائي: ص ٥٦٣.

[٥٧] الشاهنامة العربية: جـ ١ ص ١٠٨.

[٥٨] حماسة سرائي: ص ٣٤٧١.

[٥٩] تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٧.

تلك الرواية ويذكر أنه شمر بن فريقس [٦١]؛ لهذا يرى ذبيح الله صفا – أن رواية المسعودي تتفق مع ما جاء في البندهشن التي تذكر أنه ذهب لمحاربة شميران أي بلاد شمير والألف والنون المضافة في آخرهـا همـا للنسبة وفقًا لما كان مستعملاً في البهلوية. يكون معناها بلاد شمير [٦٢].

فإذا تركنا هذه الاختلافات حول الاسم، ورجعنا إلى الشاهنامة لنرى كيف تحدثت عن مسـير كيكـاوس لحرب "هاماوران" (حمير) أو اليمن، فإنه يرويها على النحو التالي[٦٣]:

- ثم عرض لكيكاوس رأي، ففارق ملكه.
- ومضى من إيران إلى توران والصين، وعبرهما إلى مكران.
- ومن مكران مضى مزدانا إلى زره، ولم ير فيها مشكلة ولا ضائقة.
- وقد قبل الجميع دفع الخراج والجزية، ولم يجربوا قوة الأسد الشجاع.
- هكذا وصلوا متبخترين إلى البربر، مع الملك الفاتح ذي التاج والإكليل.
- واستعد ملك البربر للمحاربة، فضاق صدر العالم من خشيتها.
- وتدافعت الجيوش من البربر للحرب فتهلل جيش الملك من الفرح.
- وثار الغبار فلا يرى الفارس كفه ولا عنان فرسه، ومن غبار الجيش لا يظهر الفيل.
- وقد جاءوا للحرب فوجا وراء الآخر، كما تتدافع الأمواج في البحر.
- وعندما رأى جودرز ذلك، سحب عموده الثقيل من السرج.

---

(٦٠) الغرر في أخبار ملوك الفرس: ص ١٥٨.

(٦١) مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٢٧.

(٦٢) حماسة سرائي: ص ٤٧١.

(٦٣) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٧٩، الأبيات بالفارسية:

كز ان پس چنان كـرد كـاؤس راي　　　كـه در پـاد شـاهى بجنبـد زجـاي
از ايـران بشـد تـابتوران وچـين　　　كذر كـرد ازان پـس بمكـران زمـين
زمكـران شـد آراسـته تـا زره　　　ميانهـا نديـد نـد بنـد وكـره
بيـذيرفت هرمهتـرى بـاز وسـاو　　　نكـرد آزمـون كـاو باشـير تـاو
چنان هـم كـرازان ببربـر شـدند　　　جها نجـوى باتـاج برخاسـت شـدند
شـه بربـر بياراسـت جنـك　　　كزانبوه ايشـان جهـان كشـت تنـك
سـباهي بيامـد وبربـر بـرزم　　　كـه از لشكرشـاه برخاسـت بـزم
كس از خاك دسـت وعنـانرا نديـد　　　زكـرد سـپه بيـل شـد نايـدير
بزخم اندر آميد همـي فـوج فـوج　　　بران سان كـه برخيـزدا ازاب مـوج
چو كودرز كيتى بـران كونـه ديـد　　　زكوهـه عمـود كـران بركشـيد
بـزد سـپاه بانامـداران هـزار　　　ابـا نيـزه وتيـر جـوش كـذار
براويخـت بدريـد قلـب سـپاه　　　دمـان ازبـس او همـي رفـت شـاه
تو كفتـي ببربـر سـواري نمانـد　　　بكـرد انـدرون نيـزه داري يمانـد
بشهر اندرون هركـه سـال خـورد　　　چـو بركشـته ديدنـد بـاد نبـرد
همـه بـيش كـاؤس شـاه آمدنـد　　　جكـر خسـته وعـذر خـواه آألمدنـد
كـه ماشـاه راجـاكر بنـده ايـم　　　همـان بـاز را كـردن افكنـده ايـم
بخشـود كـاؤس وبنواخـت شـان　　　يكـي راه وآيـين نوسـاخت شـان

- وحمل مع ألف من الفرسان المشهورين، فضربوا بالسنان والنبل والدروع.
- وتصارع وشق قلب الجيش، ووراءه الملك كيكاوس مثيرا للفزع.
- فلم يبق من البربر فارس، وكأن لم يكن بينهم ذو رمح.
- وخرج الكهول من المدينة، لما رأوا دائرة الحرب عليهم تدور.
- ومثلوا أمام كيكاوس مهمومين، وأخذوا يعتذرون إليه.
- وقالوا نحن خدم الملك وعبيده، وقد قبلنا الجزية والخراج.
- فارتضى منهم الملك ذلك وسن لهم نمطًا وقانونًا جديدا.

تلك هي قصة محاربته الأولى مع ملك البربر، وبلاد البربر المذكورة في هذه القصة قريبة من بلاد مكران. وقريبة أيضا من أزابلستان. ووفقًا لما رواه الفردوسي فإن "كيكاوس"، لما فرغ من فرض الجزية على توران والصين عبر إلى مكران، ولما انتهى منها عطف إلى "بربر ستان" وبعد أن فرغ من أمرها على النحو الذي رأيناه اتجه إلى "زابلستان" وقضى شهرا في نيمروز في ضيافة "رستم بن دستان". وكل هذه المناطق قريبة من ناحية الهند، فإقليم "زابلستان" هذا يقع في شرق سيتان بين الهند وإيران، وثقافة أهلها خليط من الاثنين. أما مكران فتحد من الشمال بكابلستان وقندهار ومن الشرق بالسند ومن الغرب بكرمان ومن الجنوب ببحر الهند. وهي من حيث الثقافة تنسب للثقافة الهندوإيرانية أيضا، وهي على حدود سيتسان [٦٤].

من هنا – فإنني أعتقد – أن المقصود بالبربر ستان في هذه الحملة، مكان في الهند أو قريبا منها، وهو غير "بربر ستان" المذكورة في الحملة القادمة، وتقول الشاهنامة عنها، إن "كيكاوس" بعد أن قضى شهرا في "نيمروز" بزابلستان في ضيافة ابن دستان علم أن أحد الملوك من جهة مصر والشام قد رفع راية العصيان، وخلع ربقة الطاعة وعندما وصله هذا[٦٥]:

---

(٦٤) عباس پور محمد شوشتري، كارنامه إيرانيان: جـ ٢ ص ٦٠، ٧٨ تهران سنة ١٣٢١ هـ س ٨.

(٦٥) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨١ – ٣٨٣، الأبيات بالفارسية:

بزد كوس وبرداشت ازنيمروز	شده شاد دل شاه گيتي فروز
سبه برسيرها نبشتند نام	بجوشيد شمشيرها در نيام
سبه را زهامون بدريا كشيد	بدان سان كجا دشمن اورا نديد
بي اندازه كشتي وزورق بساخت	بياراست لشكر بدو در نشاخت
همي راند تادر ميان سه شهر	زكيتي برين كونه جوينده بهر
بدست جبش مصر وبربر براست	زره برميانه آنو كه خواست
بيش اندرون شهر هاماوران	بهر كثوري در سباهي كران
خبرشد بديشان كه كاؤس شاه	برآمد زآب زره باسياه
سبا هي كه دريا وصحرا وكوه	شد ازنعل اسبان ايشان ستوه
جهان كفتي ازدرع وازجوشن است	ستاره زنوك سنان روشن است
زبانك تبيره ببرستان	نو كفتى زمين كشت لشكر ستان
برآمد زايران سبه وبوق وكوس	برون رفت بهر ام وكركين وطوس
وزان سو كه كودرز كشواد بود	چو كيو وچو شيدوش وفرهاد بود
بجنيد كاؤس در قلب كاه	سباه اندر آمد بيش سباه
زچثم سنان آتش آمد برون	زمين شد بكردار درياي خون
سه لشكر چنان شد ازايرانيان	كه سرباز نشناختند از ميان

- قرع الطبول، ورحل عن نيمروز، واشتعل قلب ملك العالم المظفر بالسعادة.
- تمنطقت الجيوش بالدروع، وجاشت السيوف في الأغماد.
- وقد عبر بالجيش من الصحراء عن طريق البحر، حتى لا يراه العدو.
- وقد هيأ سفنًا وزوارق بلا عدد، وأجلس الجيش المظفر فيها.
- وأخذ يحث السير حتى وصل إلى مدينة بين ثلاثة مدن.
- عن اليسار مصر، والبربر عن اليمين، وأمامه بحر زره على ذلك النحو الذي يريده.
- وكان هذا بالقرب من مدينة هاماوران، وجاء جيش جرار من كل إقليم.
- وقد وصلهم أن "كيكاوس" قد جاء من بحر زره، مع جيشه.
- فضاقت الصحراء والجبال والبحار بالجيوش.
- وكأن الدنيا عبارة عن درع وجوشن، وكأن النجوم تستمد ضوءها من أسنة الرماح.
- كأن الدنيا قد صارت ميدان قتال، من دق الطبول في بربرستان.
- وعندما قرع الإيرانيون طبولهم ونفخوا البوق، برز بهرام وجرجين وطوس.
- ومن الجناح الآخر كان هناك جودرز الفاتح ومثل جيو وشيدوش وفرهاد.
- وتقدم كيكاوس إلى قلب الميدان، وتلاقت الجيوش.
- وتناثرت النيران من الأسنة، وصارت الدنيا مثل بحر الدماء.
- وقد أصبحت هذه الجيوش الإيرانية الثلاث، في صورة لم يعد يعرف فيها الجندي من غير الجندي.

وكانت نتيجة هذه المعركة كما يذكر الفردوسي هزيمة ملك هاماوران وما جرى له فقد (٦٦):

- ألقى ملك اليمن، سيفه وجرزه الثقيل أولاً.
- ثم طلب الأمان، بعد أن صار مغموما، وعرف أن هذا يوم البلاء.
- وتعهد بأن يدفع الجزية والخراج الثقيل عن مدينة هاماوران.
- وأرسل كثيرا من الخيل والأسلحة ومن التخت والتاج للملك كيكاوس.

وانتهت هذه الحرب بقبول ملك "هاماوران" أو اليمن لدفع الجزية والخراج وتعاهد مع "كيكاوس" على ذلك.

---

(٦٦) شاهنامة فردوسي: ص ٣٨٤ الأبيات بالفارسية:

نخســتين ســپهدار هامــاوران — بيفكنــد شمشــير وگــرز گــران
غمين كشت وازشاه زنهار خواسـت — بدانســت كــان روز روز بلاســت
بپيمــان كــه ازشــهر هامــاوران — ســبهبد دهــد ســاو وبــاز كــران
زاســب وســليح زتخــت وكــلاه — فــراوان فرســتد بكــاؤس شــاه

وما ذكره الفردوسي هنا عن هذه النهاية يتفق مع ما جاء في المصادر البهلوية التي تقول إنه ذهب لحرب اليمن، ثم سقط في الأسر نتيجة لوقوعه في مكيدة [٦٧]. أما مصادر التاريخ الإسلامية [٦٨] فتـذكر أن ملـك اليمن انتصر على "كيكاوس" في المعركة وأسره واستباح عسكره، وحبسه في أضيق محبس. هذا ما يـذكره الطبري والمسعودي أيضا أما الثعالبي فهو يذكر نفس الرواية التي يذكرها الفردوسي تقريبا عـن انتصـار "كيكاوس" على ملك اليمن، ثم وقوعه في الأسر بعد ذلك نتيجة للمكيدة التي دبرها له ملك اليمن.

أما عن قصة زواجه من سودابة ووقوعه في الأسر، فيرويهـا الفردوسـي علـى النحـو التـالي: إن "كيكاوس" وصفت إليه سودابة ابنة ملك "هاماوران" فتاقت نفسه إليها، وأرسل إلى أبيها من يقول [٦٩]:

- سمعت أن خاف ستورك فتاة تليق بعرشنا.
- صبيحة الوجه بديعة الجسم، ممدوحة في كل البلاد ومن كل الناس.
- فإن وجدت صهرا مثل ابن قباد، فاعلم أن الشمس قد أعطتك الأمان.

أما ملك هاماوران فإنه [٧٠]:

- عندما سمع هذا الكلام، امتلأ قلبه ألما ودارت رأسه.
- وقال لنفسه إن كل ما قاله الملك حق، فقد امتلك العالم وانتصر، وصار نافذ الأمر.
- أما أنا فليس لي في الدنيا غير هذه الابنة، وهي عندي أغلى من روحي.
- وصار مهموما، ونادى سودابة، وحدثها عن كاؤس.
- فقالت له سودابة: إن كان هذا ضروريا، فلا تهتم فلن تجد أحسن منه.
- فعلم ملك هاماوران، أن سودابة لا تستثقل هذا الأمر.
- فاشتغل بتجهيزها بما يليق، وأرسلها إلى حضرة كيكاوس.
- وعندما نظر إليها "كيكاوس" بهت، وسمى عليها باسم الله [٧١].

---

[٦٧] راجع ما جاء في حماسة سرائي نقلاً عن البندهشن: ص٤٧١.

[٦٨] راجع تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٦، مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٢٧ الغرر في أخبار ملوك الفرس: ص ١٥٨ – ١٥٩.

[٦٩] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٥ – ٢٣٦، الأبيات بالفارسية:

پـس بـرده تـو يكـي دخترسـت   شـنيدم كـه تخـت مـرا درخورسـت
كه باكيزه چهرسـت وبـاكيزه تـن   سـتوده بهـر شـهر وهـر انجمـن
تود أمـاد يـابي چـو پـور قبـاد   چنـان دان كـه خورشـيد داد تـو داد

[٧٠] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٥ – ٣٨٦ الأبيات بالفارسية:

چوبشـنيد سـالار هـاوران   دلش گشـت بـردرد وسرشـد گـران
بدل كفت هـر چنـد كـو باشاسـت   چها ندار وپيـروز وفرمـان رواسـت
مرا درجهان ايـن يكـي دخترسـت   كـه ازجـان شـيرين كراميتـر سـت
غميني كشت وسودابة رابيش خواند   زكـاؤس چنـدي سـخنها برانـد
بدو كفت وسودابة كرچـاره نيسـت   ازو بهتر امروز غـم خـواره نيسـت
بدانسـت سـالار هامـاوران   كـه سـودابة را آن نيامـد گـران
تكـه كـرد كـاؤس وخيـره بمانـد   بسـودابة برنـام يـزدان بخوانـد

هذا عن زواج "كيكاوس" من "سودابة" التي يصرح الفردوسي أنها ابنة ملك هاماوران، وهذا موجود أيضا في البندهشن، حيث جاء اسمها سوتاك، وصورة هذا الاسم قريبة مما ذكره المسعودي أن اسمها "سعدى" وأنها ابنة شمر ملك اليمن، وجاء هذا أيضا عند الثعالبي، أما الطبري فلم يذكر اسمها وقال إنها ابنة أفراسياب ملك الترك أو ابنة ملك اليمن.

أما عن وقوع "كيكاوس" في أسر ملك اليمن فيحكيها "الفردوسي، لنا على النحو التالي (٧٢):

- إن ملك هاماوران الخبيث صار مغموما، وأخذ يبحث عن حيلة.
- وقد أرسل رسولاً إلى الملك، بعد مضي أسبوع من الزواج.
- قال له: إن رأي الملك أن يشرفني بضيافته في منزلي.

---

(٧١) لمزيد من التفصيل راجع:

حماسه سرائي: ص ٤٧٢، مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٢٧، الغرر في أخبار ملوك الفرسي: ص ١٥٨؛ تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٧.

(٧٢) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٧ – ٣٨٨، الأبيات بالفارسية:

غمين بد بدل شاه هاماوران		زهر كونه چاره جست أندران
چو بك هفته بكذشت هشم يگاه		فرستاده آمد بنزديك شاه
كه كرشاه بيند مهمان من		بيايد خرامان سوي خان من
شود شهر هاماوران ارجمند		چو بينند رخسار شاه بلند
بران كونه با اوهمي چاره جست		نهانيش بد بود ورايش درست
بدانست سودابة راى بدر		كه باسور پرخاش درد بسر
بكاؤس كي كفت كين رأى نيست		ترا خود بمهمان اوجاى نيست
زسودابة كفتار باور نكرد		نميداشت زيشان كسيرا بمرد
بشد با دليران وكندآوران		بمهمانى شاه هاما وران
يكى شهر بد شاهرا شاهه نام		همان از در سور وجش وخرام
چو در شاهه شد شاه كردن فراز		همه شهر بردند بيشيش نماز
همي كوهر وزعفران ريختند		بمشك وبعنبر براميختند
چو ديدش سبهدار هاماوران		پياده شدش بيش بامهتران
ازايون سالار تاييش در		همه در وياقوت باريد وزر
بكاخ اندرون تخت زرين نهاد		نشست ازبرتخت كاؤس شاد
شب وروز دربيش چون كهتران		ميان بسته بد شاه هاماوران
بسته همه لشكرش راميان		پرستنده در پيش إيرانيان
بدين كونه تايكسرا يمن شدند		زچون وچرا وزبيم وكزند
سر هفته بودند آراسته		سكاليده وز جاي برخاسته
زبربر همه لشكر آكه شدند		سكالش چنين بود در ره شدند
زبربرستان چون بيامد سپاه		بهاماوران شاد دل كشت شاه
شِبى بانك بوق آمد وتاختن		كسيرا نبد آرزو ساختن
گرفتند ناكاه كاؤس را		همان كيو وكودرز وهم طوس را
چو كركين وچون زنكة شاوران		همه نامداران كنند أوران
كرفتند وبستند دربند سخت		نكونسار كشته همه فر وبخت
يكي دِز برآورده در كوهسار		توكفتي سپهر ستش إندر كنار
بدان دز فرستاد كاؤس را		همان كيو وكو درز وهم طوس را
همه مهران دكررا ببند		اباشاه كاؤس دردر فكند

- فيجيء إلى مدينة هاماوران، لتتفاخر برؤية محياه.
- وهو يحتال في كل ذلك، ليخفي سوء طويته وغرضه الحقيقي.
- أما سودابة فقد فهمت غرض والدها، الذي يضمر الشر.
- فقالت لكيكاوس ليس من الرأي الحصيف ذهابك لضيافته.
- فلم يلتفت لكلامها، ولم يكن هناك من ينصحه من الرجال.
- فذهب إلى ضيافة ملك هاماوران، مع أبطاله وقادة جيشه.
- وكان لهذا الملك السيئ مدينة اسمها "شاهه" زينها بالدر وزخرفها للحفل.
- وعندما دخلها كيكاوس، جاء الجميع وسجدوا أمامه.
- وأخذوا ينثرون الجوهر والزعفران. والمسك المختلط بالعنبر.
- أما ملك هاماوران فعندما رآه. ترجل أمامه مع كافة العظماء.
- وقد نثر الدر والياقوت والذهب، من إيوان الملك وإلى الباب.
- وقد جلس كيكاوس على تخت ذهبي وضع له في القصر.
- وقد تشمر ملك اليمن في خدمته صباح مساء مثل الخدم.
- وجعل كل جيشه كالعبيد بالنسبة للإيرانيين.
- وهكذا حتى أمنوا، وأبعدوا من رءوسهم جميع التساؤلات.
- وأول الأسبوع الثاني، كان مزينًا بمؤامرة تشمر لها.
- وعلم بها كل جيش البربر، ومضوا إليه.
- ولما جاء الجيش من بربرستان، ارتاح قلب ملك إيران.
- وذات ليلة نُفخ البوق، وبدأت الغارة، فلم يدبر أحد مؤامرة سيئة مثل هذه.
- فقبضوا على "كيكاوس" وعلى جيو وجودرز وطوس أيضا.
- كما أسروا كل المشهورين من أمثال كركين وزنجه شاوران.
- قيدوهم جميعا بقيود متينة، فانقلبت عنهم كل العظمة والتاج.
- وكان "لملك هاماوران" قلعة على جبل عالٍ، كأنها في أعنان السماء.
- فُأرسل كيكاوس إلى هذه القلعة، ومعه جيوو جودرز وطوس.
- وأرسل إليها كل العظماء الآخرين الذين وقعوا مع كيكاوس في الأسر وقد أرسل لسودابة عددا من صاحبات الخدور ليحملنها إليه لكنها [٧٣]:

---

[٧٣] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٠ الأبيات بالفارسية:

چو سـودابة بوشـيد كـانرا بديـد	**بـتن جامـة خسـروي بـر دريـد**
جـدايي نخـواهم زكـاؤس كفـت	**اكرچـه ور اخـاك باشـد نهفـت**
چـو كـاؤس رابنـد بايـد كشـيد	**مـرا بـي كنـه سـربيا بـد بريـد**
بكفتنـد كفتـار او بـا پـدر	**پر از كين شدش سر پراز خون جكـر**
بحصـنش فرسـتاد نزديـك شـوي	**جكر خسته ازغم زخـون شسـنه روي**

- عندما رأت صاحبات الخدور، مزقت ثوبها الخسروي على جسدها.
- وقالت لست أريد فراق كيكاوس، حتى وإن واراه التراب.
- فإذا كنتم قد أسرتم كيكاوس، فيجب أن تقطعوا رأسي أيضا.
- وقد نقلوا كلامها هذا لأبيها، فامتلأ قلبه حقدا وتملكه الضيق والحزن.
- فأرسلها عند كيكاوس في الحصن، وكبده بالغم محترق، ووجهه بالدم مخضب.

هذه هي قصة المؤامرة التي حاكها ملك اليمن للإيقاع بـ"كيكاوس" في أسره – كما جاءت في الشاهنامة – وهي في فكرتها الأساسية تتفق مع ما جاء في المصادر البهلوية التي ذكرت أن "كيكاوس" وقع فـي الأسـر نتيجة لمكيدة تعرض لها، وهذا يخالف ما جاء في المصادر الإسلامية – كما أشرنا من قبل – وقـد ذكـرت الشاهنامة أن "كيكاوس" حبس في قلعة على قمة جبل، أما الطبري والثعالبي فيذكران أنه حبس في بئـر [٧٤]، ولا يحدد المسعودي المكان الذي حبس فيه، وإن كان يقول إنه حبس في أضيق محبس، ويضيف إلى هذا أن سعدى كانت تحسن إليه في خفية من أبيها [٧٥]، وهذا يخالف ما جاء في الشاهنامة وما جاء عنـد الثعـالبي أيضا الذي يذكر أن "ملك اليمن عندما أراد أن يرد سودابة إلى قصره امتنعت عليه ومزقت ثيابهـا وقالـت: والله لئن منعتني من المسير كل يوم إلى رأس البئر، لأقتلن نفسي"، فكانت كل يوم تزور كيكاوس وتلقي إليه وإلى الذين معه ما يصلحهم ويمسك أرماقهم" [٧٦] ورواية الثعالبي هذه توافق ما جاء في الشاهنامة من ناحية أنها كانت تصير إليه بعلم أبيها، وتخالفها في أنه حبس في بئر.

أما عن حال "إيران" وما جرى لها بعد تناثر الأخبار بوقوع كيكاوس في الأسر، وخلو عرشها من الملك، فتذكر الشاهنامة [٧٧] أنه:

- عندما حبس هذا الملك صاحب التاج، مضت جيوشه إلى إيران.
- فعبروا البحر بالسفن والزوارق، وسلكوا طريقهم عبر الصحاري والجبال.
- وعندما وصلت جيوشه إلى إيران، تفرقت في كل البلاد.

ويضيف أيضا عن إغارة الأمم المجاورة لإيران عليها أنهم [٧٨].

---

(٧٤) تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٧، الغرر: ص ١٥٩.

(٧٥) مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٢٧.

(٧٦) الغرر: ص ١٥٩ – ١٦٠.

(٧٧) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٠ – ٣٩١، الأبيات بالفارسية:

چو بسته شد آن شاه ديهـيم جـوي	**سـ ـپاهش بـ ـإيران نهادنـ ـد روي**
زدريـ ـا بكشـ ـتي وزورق شـ ـدند	**وزيـ ـن رو بصـ ـحرا وهـ ـامون زدنـ ـد**
چو آمـ ـد بـ ـإيران زمـ ـين لشـ ـكرش	**پراكنـ ـده شـ ـد درهمـ ـه كشـ ـورش**

(٧٨) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩١: الأبيات بالفارسية:

- عندما لم يروا ملكًا جالسا على العرش الذهبي، وثبوا عليها لاغتصاب التاج.
- فجاءت جيوش جرارة من كل ناحية، من الترك ومن الصحراء جاء العرب.
- وتعالت الصيحات في كل إيران، وصارت المملكة الآمنة ميدان وغى.
- فهب جيش أفراسياب سريعا من بينهم، واشتبك مع جيش العرب.
- واستمر القتال بينهم ثلاثة أشهر، وقتل الكثيرون من أجل التاج.
- وانهزم العرب على يد الأتراك، وفروا سريعا، وقد خسروا.
- وقد تبعثر الجيش في إيران، وصار الجميع أسرى.

وهذه الحادثة التي ترويها الشاهنامة عن إغارة العرب والأتراك على إيران أثناء أسر كيكاوس في اليمن تتفق أيضا مع ما جاء في البندهشن الذي تقول روايته: إن هناك رجلاً اسمه رنكياب (ذو عين مسمومة) جاء من بلاد العرب ليستولي على ملك إيران [٧٩]، وفقًا لرواية البندهشن يعلم أن الفرس هم الذين استعانوا بأفراسياب لطرد العرب من إيران[٨٠]. أما الفردوسي فيذكر أن أفراسياب هب من نفسه لطرد العرب والاستيلاء على إيران.

فإذا جئنا إلى قصة فك أسر "كيكاوس" نجد الشاهنامة تذكرها على النحو التالي:

- إن الإيرانيين اتجهوا في مجموعتين إلى زابلستان، راغبين في لقاء ابن دستان.
- وقالوا إننا نحتمي بك من المصائب، فقد فقدنا الآن عظمة الملك كيكاوس.
- فيا حسرة على إيران التي خربت، وصارت وكرا للثعابين والأسود.

چـو برتخـت زريـن نديدنـد شـاه   بجسـتن كرفتنـد هـركس كـلاه
زتركـان وازدشـت نيـزه وران   زهـر سـو بيامـد سـپاهى كـران
ازايران برآمد بهـر سـو خـروش   شد آرام كيتـى پـر ازجنـك وجـوش
بشـد تنـد افراسـياب ازميـان   براويخـت بالشـكر تازيـان
بجنك اندرون بود لشـكر سـه مـاه   بدادنـد سـرها زبهبـر كـلاه
شكسـت أمـد ازتـرك برتازيـان   زجسـت فزونـي سـر آمـد زيـان
سـپاه انـدر إيـران پراكنـده شـد   زن ومرد وكـو دك همـه بنـده شـد

(٧٩) حماسة سرائي: ص ٤٧١.

(٨٠) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٢، الأبيات بالفارسية:

دو بهـره سـوي زابلسـتان شـدند   نجـواهش پـور دسـتان شـدند
كه مـارا زبـدها تـو باشـي ينـاه   چوكم شـد كنـون فـر كـاؤس شـاه
دريغست إيـران كـه ويـران شـود   كنـام پلنكـان وشـيران شـود

وعندما سمع رستم هذا الكلام [٨١]:

- أمطرت عيونه وابلاً من الدموع، واشتعل قلبه نارا، وامتلأت روحه ألما.
- وهكذا فقد أجابهم: إنني وجيشي قد عقدنا العزم على الأخذ بالثأر.
- وعندما أفرغ من أمر كيكاوس، سوف أُخلص إيران من الترك.
- وأرسل في كل أنحاء إيران، فجاءه جيش من كل إقليم.
- فتوافدت على البطل جيوش من زابل ومن كابل ومن الهند أيضا.

ثم أرسل رسولاً إلى كيكاوس يقول له [٨٢]:

- إنني آت بجيش جرار، لمحاربة ملك هاماوران.
- فاهنأ ولا تغتم، فها قد وصلت إلى حدود ذلك البلد.
- كما أرسل إلى ملك اليمن، واحدا من المشهورين الشجعان.
- وكتب رسالة محكمة، مليئة بالتهديد والوعيد.
- وقال إن أطلقت سراح الملك كيكاوس، فإنك تنجو من قبضة الثعابين.
- وإذا لم تفعل فهيا لمحاربتي، واستعد لملاقاة جيوشي.

أما ملك هاماوران فقد أجابه بقوله [٨٣]:

- إنك إن أتيت إلى بربرستان، سوف تحيط بك الفرسان من كل ناحية.
- وها هو القيد والسجن معدان لك، إذا كانت هذه رغبتك وهذا رأيك.

---

(٨١) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٢، الأبيات بالفرسية:

بباريد از ديد كان آب زرد	دلش كشت پرتاب وجان پرزدرد
چنين داد باسخ كه من باسپاه	ميان بسته أم جنك راكينه خواه
چو يابم زكاؤس كى أكهي	كنم شهر إيران زتركان تهي
فرستاد هرسوا بهر كشوري	بيامد بهر جايكه لشكري
ز زابل هم از كابل وهندوان	سپه جمله آمد بر بهلوان

(٨٢) شاهنامه فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٣: الأبيات بالفارسية:

كه من آمدم باسپاه كران	سوى رزم سالار هاماوران
تو دل شادمان دار وانده مخور	كه اينك رسيدم بدان بوم وبر
همان نزد سالار هاماوران	بشد نامداري زكند أوران
يكي نامة بنوشت باكرودار	براز كرز وشمشير وير كار زار
اكر شاه كاؤس يابد رها	تورستي زچنك بد اردها
وكرنه بياراي جنك مرا	بكردن پيماي هنك مرا

(٨٣) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٤، الأبيات بالفارسية:

تو هر كه آيى ببربر ستان	سواران همه كرد كرده عنان
همين وزندانت آراستست	اكررايت اين ارزو خواستست

وبعد هذه المراسلات لم يتبق إلا خوض غمار الحرب، وقد سار رستم في الطريق نفسها التي سار فيها "كيكاوس" ففضل طريق البحر كما تذكر الشاهنامة [٨٤]:

- فجاء من طريق البحر العميق، لبعد طريق البر.
- وعبر الجيش الجرار إلى هاماوران بالسفن والزوارق.
- وعندما علم ملك هاماوران بمجيء هذا الجيش ورغبة رستم في الثأر.
- فكان عليه وواجبه أن يستعد للحرب، فليس هذا أوان السكون والكسل.
- غضب وثار البلاد مليئًا بالجلبة، وأخذت الدنيا تغلي من الغارة وإسالة الدماء.
- وعندما خرج من المدينة مع جيشه، اسود النهار عليه وصار كالليل البهيم.
- وتراصت الجيوش عن اليمين وعن الشمال، يريدون حرب ذلك المشهور.
- وكأن البطل رستم قال أنا رجل الحرب، ورجل الجلبة والصياح.
- وارتدى درع الحرب، وامتطى رخشه السريع.
- وحمل على كتفه عموده الثقيل، وألهب فرسه، فجاء يفور.
- فلما رأى الجيش صدره وجسمه، والعمود بيده وقوة عضده.
- تفرقت الجماعات خوفًا منه، وطارت من الوجل قلوبهم.
- وفرت الجيوش الجرارة من أمام البطل، واحتموا بمدينة هاماوران.

وهكذا انتهت هذه المعركة كما تحدثنا الشاهنامة بهزيمة ملك هاماوران، وفرار جيوشه أمام رستم، وتحصنها بمدينة هاماوران.

ولم تكن هذه هي المعركة الوحيدة التي خاضها رستم لتخلص "كيكاوس" كما تحدثنا الشاهنامة، بل كانت هناك معركة أخرى أشد ضراوة، اجتمعت ضده فيها ثلاثة جيوش، فقد أرسل ملك "هاماوران" يطلب مساعدة ملك مصر وملك البربر، وهذه الممالك متجاورة كما تحدثنا الشاهنامة فتقول[٨٥].

---

[٨٤] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٥ – ٣٩٦: الأبيات بالفارسية:

سوي زرف دريا بيامد بجنك	**كه برخشك بربود ره بادرنك**
بكشتي وزورق سپاهي كران	**برفتند برسوي هاماوران**
چو سالار هاماوران زين سپاه	**شد آكاه واز رستم كينه خواه**
ببايست بركاهش آمد بجنك	**نبد روز كار سكون ودرنك**
براشفت زان مرز أپرشد خروش	**جهان آمد ازغارت وطون بجوش**
چو بيرون شد از شهر خود باسپاه	**برو روز همچون شب آمد سياه**
چپ وراست لشكر بيارا ستند	**بجنك اندرون نامور ساختند**
كو بيلتن كفت جنكي منسم	**بآورد كه بردرنكي منم**
بيوشيد بس جوشن كارزار	**برخش دمنده برآورد بار**
براورد كرز كرانرا بدوش	**برانكيخت آسب وبرآمد بجوش**
چو ديدند لشكر برويال اوي	**بدست اندرون كرز وكويال اوي**
تو كفتى كه دلشان برامد زتن	**زهوالش پراكنده كشت انجمن**
كريزان بيامد بهاماوران	**زبيش تهتمن سپاهى كران**

- عندما جلس ملك اليمن مع صاحب رأيه، طلب شابين من الجماعة.
- ليرسلهما بسرعة إلى ملك مصر والبربر، كأنهما الريح العاصفة.
- ويسلمان رسالة لكل منهما، مكتوبة بدم العين وحرقة القلب.
- فهذه الممالك ليست بعيدة عنهما، ولهما معاهدات معا في السلم والحرب.
- وقال لهما لو كنتما معي متحدين، فلن أخاف من رستم أبدا.
- وإذا لم تكونا فسيعم الهلاك على الجميع، وسوف تصل يد السوء إلى كل ناحية.
- وعندما وصلتهما الرسالة، بأن رستم قد أغار على هذا الوادي.
- نهضوا جميعا وقلوبهم وجلة، واستعدت جيوش البلدين للنزال.
- واتجهوا إلى هاماوران وصارت الأرض كالجبل من أولها إلى آخرها.

أما رستم فقد أرسل رسالة في السر إلى الملك "كيكاوس" قال فيها [٨٦]:

- لقد اجتمع ثلاثة ملوك في جيوشهم لمحاربتي.
- وإنني إذا حاربتهم لن أبقي من أبطالهم أحدا.
- لكنني لا أريد أن يلحق بك أذى، فمن أهل السوء يأتي السوء.
- وماذا أصنع بعرش البربر، إن لحقك أذى.
- وقد أجابه كيكاوس لا تفكر في هذا، فقد مهدت الأرض لملكي.

---

(٨٥) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٦ – ٣٩٧ الأبيات بالفارسية:

چـو بنشـت سـالار بـاراي زن	دو مرد جـو ان خواسـت از انجمـن
بدان تافر سـتد هـم انـدر زمـان	بمصـر وببربـر ر چـو بـاد دمـان
يكي نامـه هريـك بدسـت انـدرون	بنشـتـه بـ ـدرد دل آزاب خـون
كزين پادشـاهي بـدان نيسـت دور	بهم بـود نيـك وبـد وجنـك وسـور
كرايـدون كـه باشـيد بـامن يكـي	زر سـتم نترسـم بجنـك انـدكي
وكرنـه ازيـن برهمـة بدرسـد	دراز ست برهو سـو بـى دسـت بـد
چونامـه بنزديـك ايشـان رسـيد	كه رستم بد ان دشـت لشـكر كشـيد
همـه دل پـراز بـيم برخـا سـتند	سـپاه دو كشـور بيـارا سـتند
تهادنـد سرسـوى هامـا وران	زمين كـوه كشـت ازكـران تـاكران

(٨٦) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٧ – ٣٩٨، الأبيات بالفارسية:

كه شاه سو كشور همـه جنكجـوي	بيـك ره سـوى مـن نهادنـد روي
اكرجنـك رامـن بجنـبم زجـاي	دليـران ندانـنـد سـررا زپـاي
بنايـد كـزين كـين بتـو بدرسـد	كـه كـار بـد از مـردم بـد سـزد

مـرا تخـت بربـر نيايـد بكـار	اكـر بـد رسـد بـرتن شـهر يـار
چنين داد پاسخ كـه منـديش ازيـن	نه كسترده ازبهـر مـن شـد زمـين
واز ايشان يكـي زنـده انـدرجهان	ممـان أشـكارا نـه انـدر نهـان
تهـتمن چـو بشـنيد گفتـا راوي	بسـيچيد وزى جنـك بنهـاد روي

- فلا تبق منهم أحدا حيا، لا ظاهرا ولا مخفيا.
- وعندما سمع البطل رده، تهيأ ولبس لباس الحرب.

ثم تزاحفت الجموع، وتلاقت الجيوش، وقامت الحرب، وفيها رمي رستم ملك الشام بالوهق في حلقه: كما أنه [87]:

- اختطفه من فوق سرجه، كما لو كان كرة أصابها الصولجان.
- وألقاه، فأوثق بهرام يديه، وأخذه أسيرا مع ستين من قواده المشهورين.
- كما أسر ملك البربر في قبضة قوية، هو وأربعون من القادة.
- أما ملك اليمن فقد رأى، القتلى في كل مكان.
- ورأى جماعة من المشهورين مجروحين، وجماعة واقعة في الأسر.
- ورأى رستم ومعه سيفه البتار وقد جعل الميدان كما لو كان يوم القيامة.
- فعلم أن هذا اليوم يوم بلاء، فأرسل إلى رستم وطلب الأمان.
- وتعهد أن يطلق سراح كيكاوس وقادته، ويحضرهم إلى رستم من هاماوران.

وهكذا يطلق رستم سراح "كيكاوس" بعد أن يحارب ملك هاماوران في البداية ويهزمه، ثم يحارب ملوك الممالك الثلاثة مصر والبربر وهاماوران، ويهزمهم أيضا، ويرغمهم على إطلاق سراحه، وعلى دفع الجزية والخراج له. وما قاله الفردوسي في فكرته الأساسية يتفق مع ما جاء في "البندهشن" الذي يقول: إن رستم تحارب مع ملك شميران وأسره وفك أسر كيكاوس والآخرين [88].

وما جاء عند المسعودي أيضا يتفق مع هذه الرواية، إلا أن المسعودي يذكر أن رستم قتل ملك اليمن [89]. والفردوسي يذكر في موضع آخر من الشاهنامة أن "كيكاوس" لما تأكد أن "سودابة" كاذبة بالنسبة لما تدعيه على ولده سياوش وأراد قتلها [90].

---

[87] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ – ٣٩٨:

ززين برگـر فـتش بكـر داركـوي	**كه چو كان بـزخم انـدر آيـد بـردي**
بيفكنـد وبهـرام دسـتش ببسـت	**كرفتـار شـد نـام بـردار شسـت**
شـه بربـر سـتان بچنـك كـراز	**كرفتـار شـد باجهـل سـرفراز**
نكه كـرد پـس شـاه هامـا وران	**همـه كشـته ديـد ازكـران تـاكران**
كروهـي زنـام اوران خسـته ديـد	**كروهـى بنـد كـران بسـته ديـد**
كـو پيلـتن ديـد بـاتيغ تيـز	**فكنـده بـران رزمگـه رسـتخيز**
بدانسـت كـان روز روز بلاسـت	**برسـتم فرسـتاد وزنهـار خواسـت**
بپيمان كـه كـاؤس كـى باسـران	**بررسـتم أرد ز هامـاوران**

[88] نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٤٧٠.

[89] مروج الذهب:جـ ١ ص ٢٢٧.

[90] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٥، البيت بالفارسية:

ز هاماوران زان بس انديشـه كـرد   **كـه برخيـزد آشـوب وجنـك ونبـرد**

- تذكر ما سوف يثور من هاماوران من فتن ومنازعات وحروب بسببها. وهذه إشارة لاستمرار والدها حيا إلى ذلك الوقت.

أما الطبري فيذكر أن رستم أخرج كيكاوس من محبسه وأخذه، وأن ملك اليمن أراد محاربته لكنه خشي البوار فاصطلحا على أخذ كيكاوس والعودة إلى بلاد الفرس [(٩١)].

وبالنسبة لسودابة فقد أرسل إليها محملاً مغطى لتأتي فيه إليه، وأكرمها وقد ذكر المسعودي شيئًا قريبا من هذا أيضا وكذلك الثعالبي.

إجلاء أفراسياب عن إيران:

فإذا جئنا لإجلاء أفراسياب عن أرض إيران لنبين كيف سجلته الشاهنامة: نرى الفردوسي يذكر أن جمعا من جيوش البربر ومصر وهاماوران يبلغ مائة ألف قد انضم لجيش كيكاوس، وأن جيوشه بلغت أكثر من ثلاثمائة ألف، لكنه لم يكتف بهذا بل استعان أيضا بجيوش الروم، فأرسل رسالة لقيصر الروم يأمره فيها أن يرسل إلى إيران من مشاهير أبطال الروم من يقض راحة أفراسياب إلى أن يلحق بهم في جيوشه، أما ملك الروم فإنه [(٩٢)].

- لما علم بما حدث لهاماوران، وبلاد العرب.
- وسمع بفعل رستم في مصر والبربر، وما جرى لملوكهم في الحرب.
- فإنه أرسل فارسا شجاعا ومحاربا سريعا.
- وكتبوا له رسالة تليق بمكانته وكلاما يرضيه.
- وقالوا نحن عبيدك، ولا نتصرف في الدنيا إلا طوع أمرك.
- وإننا عندما جاءت الذئاب متطلعة إلى عرش الملك.

---

(٩١) تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٧.

(٩٢) شاهنامة/ فردوسي: جـ ٢ ص ٤٠٣، الأبيات بالفارسية:

پس آگاهي آمد زهاما وران		بدشت سواران نيزه وران
كه رستم بمصر وبير بر چه كرد		بران شهر ياران بروز نبرد
دليرى بجستند كرد سوار		عنان پيچ اسب افكن ونيزه دار
نبشتند نامه يكى شاهوار		سخنهاى شايسته آبد ار
كه ما شاهرا سربسر چا كريم		جهان جز بفرمان أو نسپريم
چو ازكر كساران بيامد سپاه		كه جويند كاه كان سرافراز شاه
دل ما شد از كار ايشان بدرد		كه دلشان چنين برترى يادكرد
همه نامداران شمشير زن		برين كينه كه برشديم انجمن
برفيتم باتيزهاى دراز		برو تلخ كرديم آرام وناز
ازيشان وازمابس كشته شد		زمانه بهر نيك وبدشته شد
كنون أمدِ ازكارتو آكهي		كه تازه شد آن فر هنشهي
چوتو بركرايي ز بربر عنان		بكردن بر آريم يكسر سنان
زمين كوه تاكوه پرخون كنيم		زخون شان جهان رود جيحون كنيم

- تألمنا من عملهم، فهم دوما يطمحون إلى تلك المكانة العالية.
- ولقد استعنا بكل الأقوياء المحاربين، وتجمعنا لإدراك هذا الثأر.
- ومضينا إليه بحراب طويلة، وكدرنا صفوه وهناءه.
- فسقط منا ومنهم قتلى كثيرون، ومر زمان على هذا الحال.
- والآن جاءتنا بشارة بأمرك، وبتجدد العظمة الكيانية.
- وإنك عندما تلوي عنانك من البربر، نضع نحن السيوف في أعناقهم.
- ونملأ الأرض بدمائهم، ونجعلها تجري كأنها نهر جيحون.

وقد كتب "كيكاوس" رسالة إلى "أفراسياب أيضا، يأمره فيها بالخروج من إيران، والرجوع إلى تـوران، فاغتاظ أفراسياب ورد عليه بما يأتي [٩٣]:

- إنك لو كنت جديرا بعرش إيران، فما حاجتك لهاماوران.
- إن إيران كلها منزلي، فأنا أنتسب لتوربن أفريدون.
- ومن ناحية ثانية، إنني قد أخليتها من العرب بقوة السيف.
- وعندما سمع كيكاوس رده، جهز جيشًا لمحاربته.
- وجاء من البربر ناحية العرب، جيش لا حصر له.

وقد انتهت هذه المعركة كما تحدثنا الشاهنامة بهزيمة أفراسياب وفراره إلى توران.

أما كيكاوس [٩٤]:

- فرجع إلى فارس، وتجددت سعادة الدنيا به.
- فزين العرش، وبسط العدل، ومد بساط السرور والشراب.

---

[٩٣] شاهنامة فردوسي جـ ٢ ص ٤٠٥ – ٤٠٦ الأبيات بالفارسية:

تراگـر سـزا بـود إيـران بـدان	**نيـازت نبـودى بهـا مـا وران**
همه شـهر إيـران سـراى منسـت	**كـه تـور فريـدون نيـاى منسـت**
وديگـر ببـازوى شمشـير زن	**تهـى كـردم ازتازيـان انجمـن**
چـو بشـنيد كـاؤس كفتـاراوي	**بياراسـت لشـكر پيكـار اوي**
زبربربيـا مـد سـوى تازيـان	**يكـى لشـكر بـى كـران وميـان**

[٩٤] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤٠٨، الأبيات بالفارسية:

بيامد سـوى پـارس كـاؤس كـي	**جهـانى بشـادى نـو افگنـدِ پـي**
بياراسـت تخـت وبكسـترد داد	**بشـادى وخـوردن درانـدر كشـاد**

هذا هو ملخص رواية الشاهنامة عن إجلاء أفراسياب عن عرش إيران، وعودة "كيكاوس" إليها، وهي تتفق بهذا الشكل مع ما جاء في البندهشن، حيث يذكر أن رستم لما فك أسر "كيكاوس" والآخرين شن حربا على "أفراسياب" بالقرب من أصفهان ثم تحاربوا معه ثانية حتى أجلوه عن إيران إلى تركستان وقاموا بعدها بتعمير إيران [٩٥] وقد ذكر الثعالبي[٩٦] أيضا رواية تتفق مع ما جاء في البندهشن وما جاء عند الفردوسي، أما الطبري والمسعودي فلم يذكرا شيئًا عن هذه الحرب.

قصة قصر كيكاوس العجيب:

من أخبار "كيكاوس" الأخرى التي دار حولها كثير من الكلام قصة ذلك القصر العجيب الذي بناه له الجن، وقد ذكرت قصة هذا القصر في كل المصادر تقريبا، أما الفردوسي فيقول [٩٧]:

- إنه شيد منزلاً في جبل البرز، لاقت الشياطين كثيرا من التعب في بنائه.
- فقد أمر بنقر الحجر، وبنوا له منزلين كل واحد من عشرة طوابق.
- وبنى فيه اصطبلاً من الحجارة، وسمروها بالفولاذ وبحجر الجرانيت.
- وجعلوه اصطبلاً لخيول الحرب، وللجمال وحاملات العماريات وخيول البريد.
- ثم ابتنى منزلاً من الزجاج، ورصعه بالزبرجد في كل موضع.
- وكان هذا المكان منزلاً لسروره وشرابه، فيجب أن يسر بالشراب ويهنأ.
- ومن الجزع اليماني بنى قبة، جعلها مجلسا للموبد المشهور.

---

[٩٥] نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٤٧٠.

[٩٦] الغرر: ص ١٦٤.

[٩٧] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤٠٨ – ٤٠٩، الأبيات بالفارسية:

يكى جاى كرد اندر البر كوه — كه ديو ازچنان رنجها بدستوه دو خانه
بفرمود تاسنك خسارا كنند — بر هريكي ده كمند
بياراست آخر بسنك اندرون — زپولاد ميخ وزخارا ستون
ببستند اسپان جنكي دروي — هم اشتر عماري كش وراه جوي
يكي خانه راز ابكينه بساخت — زبرجد بهر جاي اندر نشاخت
چنين جاي بودش خرام وخورش — كه باشدش ازخوردنى پرورش
زجزع يماني بكي كبندي — نشستنكه نامور موبدي
از ايرا چنين چايكه كردراست — كه دانش ازان جاى هركز نكاست

دو خانه زبهر سليح نبرد — بفرمود از نقره خام كرد
يكى كاخ زرين زبهر نشست — برآورد بالاشرا بردو شست
زپيروزه كرده براو برنكار — ايوانش ياقوت برده بكار
چنين جايكاهي كه دل خواست راست — كه روزى بيفزود وهركز نكاست
نبودي تمور ايچ پيدا بدي — هوا عنبرين بود وبارانش مي
همه ساله روزش بهاران بدي — كلان چون رخ كل عذاران بدي
زدرد وغم ورنج دل دور بود — بديرا تن ديو رنجور بود

- لأن منزلاً كهذا صنيعه، لا يكون العلم في مضماره وصيفًا.
- وبنى له منزلين برسم السلاح، وجعلها من الفضة الخام.
- كما بنى له منزلاً ذهبيا ليكون مجلسا له، يبلغ ارتفاعه مائة وعشرين ذراعا.
- وزينه بالفيروز، ونقش باب إيوانه بالياقوت.
- وفي هذا المكان الذي يتمناه القلب حقًا، لا يطول النهار ولا يقصر.
- لا أثر فيه للصيف ولا للشتاء، هواؤه عنبر، وأمطاره خمر.
- كل أيام عامه ربيع دائم، والورود به مثل وجوه العذارى.
- استراح القلب فيه من الألم والتعب، وكان التعب فيه من نصيب الجن.

هذا هو وصف القصر كما جاء في الشاهنامة، وهذا الوصف قريب مما جاء في المصادر البهلوية من "دينكرت" و"بندهشن" مع بعض اختلافات في التفاصيل، فقد جاء في الـ"دينكرت" أن "كى اوس" بنى سبعة قصور فوق جبل البرز أحدها من الذهب واثنان من الفضة واثنان من النحاس واثنان من الزجاج، ومن تلك القلعة كان يحكم شياطين مازندران ويمنعها من إفساد العالم. وإذا ما دخل شخص مسن يعاني سكرات الموت أحد هذه القصور فإنه يعود إلى صورة فتى في الخامسة عشرة من عمره [٩٨]. وعن هذا القصر أيضا جاء في البندهشن أن قصر "كى اوس" عبارة عن عدة منازل، أحدها من الذهب كان يعيش فيه، وقصران من الزجاج اتخذت اصطبلاً لخيله، واثنان الحديد من أجل قطعان ماشيته. وكل ما يؤكل أو يشرب فيها يمنح الخلود للإنسان، وإذا دخل شيخ من باب يخرج من الباب الثاني فتى في الخامسة عشرة من عمره [٩٩]. وهكذا تتفق الخطوط العامة وتختلف بعض التفاصيل بين الشاهنامة وبين المصادر البهلوية، أما تاريخ الطبري فيذكر قصة بها كثير من الاختلاف مع القصة السابقة وقليل من التشابه، فيقول عن هذا القصر إن الشياطين بنت له مدينة طولها ثلاثمائة فرسخ، وبنوا عليها سورا من صفر، وسورا من شبة، وسورا من فضة، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض، وكان كيكاوس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها، ثم أن الله أرسل من يخربها، فعجزت الشياطين عن المنع عنها، فقتل كيكاوس جماعة من رؤسائهم، ويضيف الطبري إلى هذا أن بعض العلماء بأخبار المتقدمين قالوا: إنما سخر له فعل الشياطين بأمر سليمان بن داود [١٠٠]. وبهذا نلاحظ انتقال التأثيرات السامية إلى هذه القصة. ويتضح هذا أيضا من قول المسعودي إنه "كيكاوس" بنيانًا لحرب السماء (في العراق)[١٠١]. وبهذا تتشابه قصته مع قصة بختنصر مرزبان العراق في بعض نواحيها كما جاءت في المصادر الإسلامية.

---

[٩٨] نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٤٩٧.

[٩٩] نفس المرجع والصفحة.

[١٠٠] تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥١٠.

[١٠١] مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٢٦.

قصة صعوده إلى السماء:

هناك قصة أخرى أثارت كثيرا من الجدل حول "كيكاوس" وهي قصة محاولته الصعود إلى السماء، يذكر الفردوسي هذه الحادثة على النحو التالي:

إن الشياطين لما تعبت من تسخير كيكاوس لها، اتفقت فيما بينها أن تخدع كيكاوس وتجعله يخرج من طاعة الله، حتى تسقط عنه العظمة الكيانية (البهاء الملكي) فيستريحون منه، ولهذا تصور له أحدهم في صورة غلام فصيح ولزم خدمته وأخذ يزين له الصعود إلى السماء ويقول له [(١٠٢)].

- إنك بعظمتك الجميلة هذه، تستحق أن يكون الفلك كله عرشًا لك.

وقد ظل هذا الشيطان يغويه حتى تمكنت الفكرة من رأسه، فكرة الصعود إلى السماء، فأمر [(١٠٣)]:

- أن يذهبوا إلى وكر العقبان، أثناء نومها.
- وأحضروا صغارها، وجعلوا كل واحد أو اثنتين منها في المنزل.
- وأخذوا يربونها ويطعمونها بالطيور والحملان لمدة ثلاثة عشر شهرا.
- حتى ترعرعت وصار الواحد منها في حجم التيس وفي قوة الأسد.
- صنع تختًا من العود القماري، وسمره بمسامير من الذهب.
- وثبت في جوانبه الحراب الطوال، هكذا أعدت.

---

(١٠٢) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤١٠، الأبيات بالفارسية:

چنين كفت كين فر زيباي	همي چرخ گرد سزد

(١٠٣) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤١١، الأبيات بالفارسية:

بفرمود بس تا بهنگام خواب	برفتند سوي نشيم عقاب
از آن بچه بسيار برداشتند	بهر خانه يك دو بكذاشتند
همي پرورانيد شان سال وماه	بمرغ وكباب وبره چند كاه
چو نيرو كرفتذ هريك چوشير	بران سان كه غرم اندر آرند زير
زعود قماری يكي تخت كرد	سر تختها را يزر سخت كرد
بپهلو وش برنيزهاى دراز	ببست وبران كونه پركرد ساز
بيا ويخت برنيزه ران بره	ببست اندر انديشه دل يكسره
ازان پس عقاب دلاور جهار	بياورد وبرتخت بست استوار
نشست ازبرتخت كاؤس كي	نهاده بپيش اندرون جام مي
چوشد كرسنه تير پران عقاب	سوی كوشت كردند هريك شتاب
زروی زمين تخت برداشتند	زهامون بابراندر افراشتند
بدان حدكه شان بودنيرو بجاي	سوي كوشت كردند آهنك وراي
شنيدم كه كاؤس ازان فلك	همي رفت بكذرد از ملك
دكركفت ازان رفت برآسمان	كه تاجنك سازد بتير وكمان
پريدند بسيار وماندند باز	چنين باشد آنكس كه كيردش آز
چو بامرغ پرنده نيرو نماند	غمين كشت وپرها بخوي درنشاند
نكونسار كشتند از ابرسياه	كشان ازهوا نيزه وتخت شاه
سوی پيشه شهر چين آمدند	بامل روي زمين آمدند

- وعلقوا على كل حربة فخذ حمل، وربطوها بحيث تنشغل بها.
- وقد اختاروا أربعة عقبان قوية، وربطوا العرش على أجنحتها.
- ثم جلس كيكاوس على العرش، وأمامه جام الخمر.
- وعندما اشتد الجوع بالعقبان، أسرعن نحو اللحم.
- فارتفعن بالعرش عن الأرض، محلقات فوق السحاب.
- وطالما كن قويات، قصدن اللحم هاشات.
- وقد سمعت أن كيكاوس كان يذهب للفلك، ليمضي إلى الملك.
- وقال آخر إنه ذهب للسماء، ليشن حربا بالقوس والنبال.
- وقد طرن كثيرا حتى تعبن، كما هو حال من يلهبه الطمع.
- وعندما أدركهن التعب، اغتممن وغرقت أجنحتهن في العرق.
- وانقلبن خاسرات من السحاب الأسود، فانفصل السنان من التخت بفعل الهواء.
- ووقعوا في ناحية من الصين، وجلسوا على الأرض في أمل.

ويكمل الفردوسي هذه القصة بقوله [١٠٤]:

- ومن عجب الدنيا أنه لم يهلك؛ إذ كان هناك وجود خفي فيه.
- فكان يراد منه أن يعقب سياوش، فمد له في أجله.
- وبدلاً من العظمة والتاج، كان الندم والتعب قرينًا له.
- وبقي في هذه الناحية يدعو الله في ذلة وخنوع.

---

[١٠٤] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤١٢ الأبيات:

نكـردش تبـاه از شـگفيتي جهـان ... همـي بـودني داشـت انـدر نهـان

سـياوش ازو خواسـت أمـد بديـد ... ببايسـت لختـي چميـد وچريـد

بجـاي بزركـي وتخـت نشسـت ... پشـيمانى ورنـج بـودش بدسـت

بمانـده ببيشـه درون خـوتر وزار ... نيـايش همـى كـرد بـاكرد كـار

أما عن إعادته إلى إيران فيذكر أنه عندما علم رستم وگيو وطوس بالخبر عنه، أسرعوا إليه بـالجيش، وهم في دهشةٍ منه ومن أفعاله، وعندما وصلوا إليه قال له جودرز [١٠٥]:

- إن مستشفى المرضى أولى بك من العاصمة.
- فأنت كل وقت تفسح مكانك للأعداء، كما لو كنت شخصا مجنونًا.
- وقد تسببت في هذه المشاكل ثلاث مرات، ولم تتعلم من التجارب.
- إنك قدت الجيش إلى مازندران، فانظر ما لاقيت فيها من محنة:
- وفي المرة الثانية كنت ضيفًا على عدوك، فصرت كالصنم وقد اجتمعوا عليه.
- ولم يسلم أحد في الدنيا من محاربتك له، إلا الخالق.
- وقد أغربت على الدنيا كلها، والآن تغير أيضا على السماء.

وبإعادة "كيكاوس" إلى إيران تنتهي هذه المغامرة، وجوهر هذه القصة – كما أوردها الفردوسي – يتفق مع ما جاء في المصادر البهلوية لكن يبقى الاختلاف في التفاصيل. فقد جاء في الـ دينكرت أن كيكـاوس جهـز للهجوم على السماء، ومضى مع جيش من الشياطين والسيئين إلى قمة جبل البرز، ووصل إلى آخر حد بـين الظلمة والنور، وهناك انفصل فجأة عن مرافقيه، لكنه ظل على عناده ولجاجتـه، فسـلبه "اورمـزد" البهـاء الملكي، "فركياني" وأسقط جيشه من قمة الجبل المرتفع إلى الأرض، وفر "كيكاوس" نفسه إلى بحر "وروكش" وفي تلك الأثناء اقترب منه ملاك كيخسرو الذي لم يكن قد جاء للدنيا بعد وسار في إثره، كمـا أسـرع إليـه رسول "اهورمزدا" نيريو سنك، وعمل على أن يبعد عنه هذا الملاك، ولكن فجأة صاح هذا الملاك قائلاً: لا تقتله يا "نيروسنك" فإنك إن قتلته لن يولد الشخص الذي يخرب توران. فمن هذا الرجل "كيكاوس" سيأتي شـخص اسمه "سياوش" وسآتي أنا لسياوش، أنا "كيخسرو" أشجع وأقوى من كل أهل توران، وسأجعل ملك توران يفر مني إلى بلاد بعيدة. وعندما سمع "نيروسنك" هذا الكلام من "كيخسرو" استراح ورفع يده عن "كاوس" وتركه لحاله وعلى إثر هذه الحادثة أصبح "كيكاوس" قابلاً للفناء [١٠٦].

وقد جاء في البندهشن أن "كي كاوس" سيئ الطبع مضى لحرب السماء، وانقلب علـى الأرض، فانفصـل عنه البهاء الملكي" [١٠٧].

---

(١٠٥) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤١٣ الأبيات بالفارسية:

بـدو كفـت كـودرز بيمارسـتان   تراجـاي زيبـاتر از شـار سـتان
بدشمن دهى هرزمان جـاى خـويش   نكـويي بكـس بيهـده راي خـويش
سه بارت چنين رنج وسـختي فتـاد   سـرت زازمـايش نكشـت اوسـتاد
كشـيدى سـپه بمازنـدران   نكـر تاچـه سـختى رسـيداندران
دكر بـاره مهمـان دشـمن شـدي   صـنم بـودي اورا بـرهمن شـدي
بكيتي جـز از پـاك يـزدان نمانـد   كـه منشـور تيـغ ترابـر نخوانـد
بجنـك زمـين سـربر تـاختي   كنـون باسـمان نيـز پرداختـي

(١٠٦) نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٤٦٩.

(١٠٧) نفس المرجع: ص ٤٧٠.

ومما جاء في هذين المصدرين وعند الفردوسي يتضح اتفاق الجميع في الخطوط العامة من صعود للسماء وانقلاب للأرض ثم في عدم إفنائه حتى يولد له سياوش ثم يولد كيخسرو لسياوش وكل هذا ذكره الفردوسي، لكن الفردوسي تفرد عن هذه المصادر بذكر تفاصيل الرحلة، وكيف أتوا بالعقبان وربوها، وربطوا التخت في أرجلها إلى آخر هذه التفاصيل التي لم تذكر في المصادر البهلوية، ولا في المصادر الإسـلامية بخصـوص "كيكاوس" لكنها ذكرت عند الطبري في قصة (نمرود الجبار)، فيذكر أن نمرود خاف أن يطلب إله إبـراهيم، فأخذ أربعة أفرخ نسور ورباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن، فقرنهن بتابوت، وقعد في ذلك التـابوت فأخذ معه رجلاً ومعه لحم لهن، فطرن به حتى إذا ذهبن، أشرف ينظر إلى الأرض، فـرأى الجبـال تـدب كالنمل، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة؛ فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضـات فلما نظرت الجبال إليهن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن... وكان طيـرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان [١٠٨]. وهكذا يتضح أن الشاهنامة فيما يخص تفصيل هذه الرحلة وكيفيتها متأثرة بمصادر سامية.

ولعل هذا يوضح لنا كثرة التفاصيل التي أُضيفت إلى هذه الشخصية في المصادر البهلوية عن أشـياء لـم تذكر له في الأفستا من قبل ومنها القصة السابقة.

قصة سياوش:

من القصص الطويلة التي جاءت في الشاهنامة قصة "سياوش بن كيكـاوس" وأخبـاره وعلاقتـه بوالـده "كيكاوس" وبزوجة أبيه "سودابة" وقد اهتم الفردوسي جدا بتفصيل هذه القصة، وتقع عنده فـي نحـو ألـف وخمسمائة بيت. وقد ذكرت هذه القصة عند الطبري والثعالبي وأشار إليها المسعودي أيضا. ولهـذه القصـة أصل أيضا في المصادر البهلوية، وإن كانت لم تحظ بذلك التطويل والتفصيل الذي حظيت به في الشـاهنامة وفي المصادر الإسلامية أيضا.

وخلاصة قصة سياوش كما جاءت عند الفردوسي أنه ذات يوم كان طوس وجودرز وجيو فـي متصـيد بالقرب من توران، وعثروا على فتاة من أقرباء كرسيوز (أخي أفراسياب) فنشب نزاع حول الفتاة، ثم قرروا الاحتكام إلى "أفراسياب" لدرء النزاع بينهم. أما أفراسياب فإنه عندما رآها أعجب بها وقال لهما [١٠٩]:

- قصرا على نفسيكما الطريق، هكذا قال الملك للقائدين.
- فإن هذا الغزال، لا يليق به إلا أن يكون صيدا للملك.

---

[١٠٨] تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٢٨٩.

[١٠٩] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٢٦، الأبيات بالفارسية:

بهر دو سـپهبد جنـين كفـت شـاه   كـه كوتـاه شـد برشـما رنـج راه

كوزنسـت اكـر أهـوى دلبرسـت   شـكاري چنـين درخـور مهترسـت

ودخل بها الملك فلم يمض وقت طويل حتى ولدت "سياوش" وكان جميلاً كأنه القمر، إلا أن والده عندما نظر في طالعه وجد أموره مضطربة، فحزن لذلك، ومضت مدة على هذا إلى أن قدم "رستم" علـى الملـك وقال له [١١٠]:

- يجب أن يعهد إلي بتربية هذا الصغير شبيه الأسد.
- مع أن أتباعك كثيرون، لكن لن يكون من هو أكثر إشفاقًا عليه مني.
- وقد تفكر الملك كثيرا في هذا الكلام، ولم يجد فيه غضاضة.
- فسلم لرستم الأمير، ليضعه في قلبه وعينه.

أما رستم فإنه عندما تسلم الأمير فقد [١١١]:

- حمله البطل إلى زابلستان، وأعد له مجلسا في البستان.
- وعلمه الفروسية والرماية والصيد، والقنص والطرد والكر والفر.
- كما علمه آداب المجالس والمحافل، وفنون الصيد بالباز والشاهين والفهد.
- كما وعاه بالعدل والظلم والملك، والتكلم في المحافل وقيادة الجيوش.
- وقد اجتهد كثيرا، حتى علمه الفنون.
- وصار سياوش، بلا نظير في الكمال بين العظماء.
- وعندما كبر سياوش، وطال قده وصار يصيد الأسود بقوسه.
- قال لرستم إنني، محتاج لرؤية مليكي.
- إنك تعبت كثيرا حتى علمتني الآداب الملكية.
- والآن يجب أن يرى والدي، تلك الآداب والفنون التي تعلمتها.

---

[١١٠] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٢٨، الأبيات بالفارسية:

چنين كفـت كـين كـودك شـيرفش	مـرا پرورانيـد بايـد بكـش
چو دازند كـان تـرا مايـه نيسـت	مراورا بكيتي چـو مـن دايـه نيسـت
بس مهتـر انديشـه كـرد انـدران	نيامـد همـي بـردلش بركـران
برسـتم سـيردش دل وديـده را	جهـانجوي پـور پسـنديده را

[١١١] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٢٦، الأبيات بالفارسية:

تهـتمن بپـردش بـزا بلسـتان	نشتسـتنكهي سـاخت در كلسـتان
سـواري وتيـر وكمـان وكمنـد	عنـان وركيـب چـه وچـون وچنـد
نشـتنكه ومجلـس وميكسـار	همان بـاز وشـاهين ويـوز وشـكار
زداد وزبيـداد وتخـت وكـلاه	سـخن كفـتن ورزم ورانـدن سـپاه
هنرهـا بيـاموختش سربسـر	بـس رنـج برداشـت كامـد ببـر
سياوش چنان شـد كـه انـدرجهان	بماننـد او كـس نبـود ازمهـان
چو يكچند بكـذَ شـت اوشـد بلنـد	بنخچيـر شـير آوريـدي ببنـد
چنـين كفـت بارسـتم سـرفراز	كـه أمـد بديـدار شـاهم نيـاز
بـس رنـح بـردي ودل سـوختي	هنرهـاي شـاهانم آمـوختي
پدر بايـد اكنـون كـه بينـد زمـن	هنرهـا وآمـوزش پيلـتن

فوافقه رستم على ذلك وجهز له ما يليق به من هدايا، وسار معه، وفي الطريق كانت المدن التي يمر بها تنثر عليه نثارات الذهب المخلوط بالعنبر، وأرسل كيكاوس جيو وطوس على رأس جيش لاستقباله بالبوق والطبول، وعندما جاء إلى مجلس الملك أُعجب كثيرا به وبذلك البهاء البادي عليه، يقول الفردوسي أيضا: إن كيكاوس [١١٢]:

- أمر بإقامة احتفال له، لم يجر لأحد من العظماء من قبله.
- وأنهم ظلوا في هذا الاحتفال أسبوعا كاملاً، وفي اليوم الثامن فُتحت أبواب الكنوز.
- فأمر الملك بإعطائه من كل شيء في الكنوز، من خواتم وسيوف وعرش وتاج.
- ومن الخيول العربية بسروجها الخشبية ومن الدروع وثياب الحرب.
- ومن الدنانير، وبدر الدراهم، والحرير والجوهر ما قل وما كثر.
- إلا التاج لأنه في هذه السن الصغيرة لم يكن مستحقا لها.
- فأخذ يجربه سبع سنوات، فلم ير منه إلا كرم المحتد في كل أمر.
- وفي السنة الثامنة أمر بتتويجه بالتاج الذهبي والطوق والكمر الذهبي.
- وكتبوا له منشورا على الحرير، وفقًا لرسم العظماء والبهاء الملكي.
- بتقليده ولاية كهستان، فقد كان مستحقا للعظمة والجاه.

---

[١١٢] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٣٠ – ٥٣١، الأبيات بالفارسية:

يكي سور فرمود كاندر جهان	**كي پيش ازان خود نكرد ازمهان**
يكي هفته بودند ازان كونه شاد	**بهشتم دركنجها بركشاد**
زهر چيز كنجي بفرمود شاه	**زمهر وزتيغ وزتخت وكلاه**
زاسپان تازي بزين خدنك	**زبركستوانها وخفتان جنك**
زدينار وار بدرهاى درم	**زديبا وازكوهران پيش وكم**
جز فسر كه هنكام افسرنبود	**بدان كودكي تاج درخور نبود**
چنين هفت سالش همي آزمود	**بهركار جزپاك زاده نبود**
بهشتم بفرمود تاتاج زر	**همان طوق زرين وزرين كمر**
نبشتند منشور بر پرنيان	**برسم بزركان وفر كيان**
زمين كهستان ورا دادشاه	**كه بود او سزاي بزركي وكاه**

وبعد هذا تبدأ قصة عشق "سودابة" زوجة "كيكاوس" لسـياوش، ويحكيهـا الفردوسـي علـى النحـو التالي[١١٣]:

- ذات يوم كان كيكاوس جالسا مع ولده، فدخلت سودابة من الباب.
- وعندما رأت وجه سياوش، انشغل بالها ودق قلبها.
- فأرسلت له شخصا، وطلبت منه أن يخبر سياوش في السر.
- أن يحضر إلى حرم ملك العالم، ولا يتعجب من المفاجأة.
- فقال له (سياوش): لست رجل حريم، ولا باحثًا عن مكر وحيل.
- وفي اليوم التالي جاءت سودابة متبخترة عند ملك إيران وهي تغلي عشقًا.
- وقالت له ليتك ترسله (سياوش) عند أخواته وقريباته.
- قل له اذهب إلى الحرم، لتنير الدنيا لأخواتك.

ولما جاء سياوش أمره الملك بالدخول على سودابة وأخواته وبعد تحاور مع الملك وافق سياوش علـى الذهاب للحرم وقال للملك [١١٤]:

- سوف آتي وقت السحر غدا، وأفعل كل ما يأمر به الملك.

وعندما دخل سياوش على سودابة احتفلت به ونزلت عن عرشها [١١٥]:

- وأخذت تقبل عينيه ووجهه، وكأنها لا تشبع من رؤيته.
- فعلم سياوش أن هذا الحب ليس مثل حب الأمهات.

---

(١١٣) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٣٢، الأبيات بالفارسية:

يكـي روز كـاؤس كـي باپسـر	**نشسـته كـه سـودابة آمـد ز در**
چو سـودابة روي سـياوش بديـد	**پرانديشـه كشـت ودلـش بردميـد**
كسـي رافرسـتاد نزديـك اوي	**كـه بنهـان سـياوخش رارو بكـوي**
كـه انـدر شبسـتان شـاه جهـان	**نباشـد شـكفت ارشـوي ناكهـان**
بـدو كفـت مـرد شبسـتان نـيم	**مجـويم كـه بابنـد ودسـتان نـيم**
دكـرروز شـبكيرا سـودابة رفـت	**برشـاه إيـران خراميـد تفـت**
فرستش بسـوي شبسـتان خـويش	**بـر خـواهران وفغسـتان خـويش**
بكويش كـه انـدر شبسـتان پـرود	**بـر خـواهران هرزمـان نـو نبـود**

(١١٤) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٣٤، الأبيات بالفارسية:

سياوش چنـين كفـت كـز بامـداد	**بيـايم كـنم هرچـه شـه كـرد بيـاد**

(١١٥) نفس المرجع: جـ ٣، ص ٥٣٥، الأبيات بالفارسية:

همي چشم ورويـش ببوسـيد دليـر	**نيامـد زديـدار آن شـاه سـير**
سياوش بدانست كان مهـر چيسـت	**چنـان دوسـتي نـزره ايزديسـت**

ثم اقترحت على الملك أن يزوجه إحدى بناته، فوافق ذلك رأي الملك، وطلب مـن سـياوش أن يختـار واحدة من بنات عميه كي پشين أو كي ارش، فطلب منه "سياوش" أن يختار له، ولا يرسله للحـرم مـرة ثانية. إلا أن "كيكاوس" طيب خاطره. أما سودابة فقد واصلت محاولات إغوائه ولما يئست منه قامت (١١٦):

- فشقت الثياب عن جسدها، وخمشت وجهها بأظافرها.
- وتعالت الصرخات من الحرم، ووصلت إلى الإيوان.
- فوصلت إلى أذن الملك، فنزل عن تخته الذهبي.
- وأسرع وهو مشغول الفكر، وأسرع إلى الحرم وهو يغلي.
- وعندما جاء ورأت سودابة وجهه، أخذت تصيح وامتلأ القصر بالكلام.
- وأخذ الجميع يتساءلون وضاقت قلوبهم، وهم لا يعلمون بفعل ذات القلب الحجري.

وقالت للملك إن "سياوش" لم يرد غيري ولما رفضت(١١٧):

- ألقى التاج عن رأسي المسكي، وشق ثيابي هكذا.
- فأخذ الملك يتفكر في هذا الكلام ويديره على كل وجه.

ثم أرسل لسياوش، فروى له ما كان، وكانت سودابة تكذبه وأدعت أنها حامل، وأن حملها قد يسقط مما جرى لها، فشم الملك يدي سياوش فلم يجد فيهما رائحة الطيب الذي كانت سودابة متطيبة به، فعلم كذبها، وأراد إهلاكها لكنه لم يقدر؛ بسبب تفكره في أبيها، وفي أيام أسره، وفي حبها المتمكن مـن قلبـه، وفـي أولادها الصغار. فقال لسياوش (١١٨):

- لا تفكر في هذا الأمر، واهتم بتدبير أمرك.
- ولا تتحدث مع أحد عنه أيضا، فينبغي ألا يذاع هذا الأمر.

---

(١١٦) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٢، الأبيات بالفارسية:

بـزد دسـت وجامـه بدريـد بـاك — بنـاخن دورخ راهمـي كـرد چـاك
برآمـد خـروش ازشبسـتان اوي — فغـانش زايـوان برامـد بكـوي
بكـوش سـپهبد رسـيد اكهـي — فـرود آمـد ازتخـت شاهنشـهي
براندیشـه ازتخـت زريـن برفـت — بـوى شبسـتان خراميـد تفـت
بيامـد چـو سـودابة راديـد روي — خراشـيده وكـاخ پـر كفتكـوي
زهر كـس بيرسـيد وشـد تنـك دل — ندانسـت كـردار آن سـنك دل

(١١٧) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٣، الأبيات بالفارسية:

بينـداخت افسـر زمشـكين سـرم — چنين چـاك شـد جامـه انـدر بـرم
پر انديشه شدزان سـخن شـهريار — سـخن كـرد هـر كونـهء خواسـتار

(١١٨) نفس المرجع: جـ ٣ ص ٥٤٥، الأبيات بالفارسية:

بدو كفت كين خـود مينـديش هـچ		هشـيواى وراى رفـتن بسـيچ
مكن ياد ازين نيـز وبـاكس مكـوى		نبايد كه كيـرد سـخن رنـك وبـوى

وقد ظلت سودابة تكيد له عند والده إلى أن طلب من والده أن يند به لمحاربة أفراسياب الذي كان قد أغار على البلاد.

ومن هنا تبدأ أحداث أهم جزء في القصة، وهو رحيل "سياوش" إلى بلاد الترك بعد أن ضاق بأفعال أبيه وزوجته "سودابة" وقد فرح أفراسياب بمقدمه في البداية وتزوج من فرنكيس ابنـة أفراسـياب، وأقطعـة أفراسياب مملكة قريبة من بلاد الختن وهي مملكة وزيره پيران – مضى إليها مع زوجته فرنكيس، واشتغل بتعميرها وإعدادها فبنى فيها القصور، وابتنى قلعة "گنك دز" ثم بنى مدينة سماها "سياوش كرد" لكن أخـا الملك أفراسياب المسمى "كرسيوز" حسده وأخذ يكيد له عند الملك، ويحرضه على قتله، وانتهى الأمر بـأن قبضوا على سياوش ثم (١١٩):

- اضجعوه مثل الخراف على طَشْتٍ من الذهب.
- وفصلوا رأسه الذهبي عن جسده السروي، وسال دمه في الطشْتِ.
- وحيثما أمروا بسكب الدم من الطشت طارت كرات ذهبية وتلونت.
- ونبت من هذا الدم نبات، يسمونه باسم "دم سياوش".

وكانت امرأته ابنة أفراسياب حاملاً في خمسة أشهر، وقد قال لها قبل أن يقتل (١٢٠):

- إنك ستلدين ملكًا مشهورا فسميه كيخسرو وتسلي به عني.

وعندما وصلت هذه الأخبار السيئة إلى إيران (١٢١):

- تزلزل كيكاوس عن عرشه، عندما سمع هذا النبأ.
- مزق ثيابه وخمش وجهه، وافترش التراب بدلاً من العرش العالي.
- وقدم الإيرانيون باكين، وانثالت على هذا المأتم الأساورة.
- جاء الجميع وقد ارتدوا السواد، وأهالوا التراب على رؤوسهم.

---

(١١٩) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٦٤، الأبيات بالفارسية:

يكي طشـت بنهـاد زريـن كـروى — پيچيـــد چـــون كوســـفندانش روي
جدا كـرد ازسـرو سـيمين سـرش — همـي رفـت درطشـت خـون نكـون
كجا آنكه فرمـوده بدطشـت خـون — كـروى زره بـــرد دكـــردش نكـــون
كيـانرا وهـم مـن كنونـت نشـان — كه خـوانى همـي خـون سياوشـان

(١٢٠) المرجع السابق: جـ ٣ ص ٦٥١ الأبيات بالفارسية:

درخـــت كـــزين توبـــار اورد — يكـــي نـــامور شـــهريار آورد
ســرافراز كيخســروش نــام كــن — بغـــم خـــوردن اورا دلارام كـــن

(١٢١) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٨١، الأبيات بالفارسية:

جو اين كفته بشـنيد كـاؤس شـاه — ســر تاجــدارش نكــون شــد زكــاه
همــه چامــه بدريــد رخ رايكنــد — بخـــاك انـــدر آمـــد زتخـــت بلنـــد
برفتنـــد بامويـــه إيرانيـــان — بــران ســوك بســته ســواران ميــان
همــه جامــه كــرده كبــود ســياه — همـــه خـــاك برســـر بجـــاى كـــلاه

وعندما علم "رستم" بما جرى على سياوش فإنه [١٢٢]:

- جلس في مأتم أسبوعا، وفي اليوم الثامن نفخ في البوق.
- فانثالت عليه الجيوش من كل مكان، جاءوا في جماعات من كشمير ومن كابل.
- واتجه نحو بلاط كيكاوس، عيناه تفيضان بالدم، وقلبه يغلي بالثأر.
- عندما اقترب من إيران، مزق الثياب على بدنه.
- ولما وصل إلى عرش كيكاوس معفر الرأس حافي القدم.
- قال له إنك حصدت ما بذره سوء طبعك أيها الملك.
- إن عشقك لسودابة وسوء خلقك، قد أزالا هذا التاج عن رأسك.
- من سوء فكر الملك وعصبيته، أصابت إيران خسارة فادحة.
- والموت خير من طاعة النساء، لمن هو أعظم الجماعة.

أما "كيكاوس" فلم يحر جوابا، فمضى رستم إلى قصر سودابة [١٢٣]:

- وجرها من شعرها خارج القصر، فأوقعها من عرشها الكبير إلى الدماء.
- وفي الطريق قسمها نصفين، لم يتحرك الملك كيكاوس عن عرش.
- ودخل البلاط في مأتم ونواح، عيناه مليئتان بالدم ووجهه شاحب.
- واجتمع إليه كل أهل إيران، وجلسوا جميعا في مأتم ونواح.

---

[١٢٢] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٨٢، ٦٨٣ الأبيات بالفارسية:

يكـي هفتـه باسـوك كشـته دزم	**بهشـتم برآمـد زشـيپور دم**
سـپيه سـر بسـر بـردر پيلـتن	**زكشـمير وكابـل شـدند انجمـن**
بـدركاه كـاؤس بنهـاد روي	**دوديده پراز خـون ودل كينـه جـوي**
چو نزديكـي شـهر إيـران رسـيد	**همـه چامـه پهلـوي بـر در يـد**
جـو امـد برتخـت كـاؤس كـي	**سرش بود پـر خـاك وبرخـاك پـي**
ابدو كفت خـوى بـد اى شـهريار	**براكنـدي وتخمـت آمـد ببـار**
تراعشـق سـودابة وبـد خـويي	**زكسـر بركرفـت أن كـلاه كـي**
انديشـه وخـوي شـاه سـترك	**در أمـد بـإيران زيـاني بـزرك**
كسـي كوبـود مهتـر انجمـن	**كفـن بهتـر اورا زفرمـان زن**

[١٢٣] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٨٤، الأبيات بالفارسية:

زپـرده بكيسـوش پيـرون كشـيد	**زتخـت بـزركيش درخـون كشـيد**
بخنجـر دو نيمـه كـردش بـراه	**نجنبيـد برتخـت كـاوس شـاه**
بيامـد بـدركاه باسـوك ودرد	**بـراز فـون دوديـده ورخسـارزرد**
همـه شـهر إيـران بمـاتم شـدند	**پـرار درد نزديـك رسـتم شـدند**

ثم جمع رستم كل أبطال إيران من مثل: جودرز وطوس وشيدوس وفرهاد وجرجين وجيو [١٢٤]:

- وقال لهم رستم: إنني أضع قلبي وروحي وبدني فداء هذا الثأر.
- فلم يوجد من الأبطال من عقد الكمر على وسطه مثل سياوش.
- فلا تستصغروا هذا الأمر، فهذا الثأر ليس هينًا.

وهكذا شن أبطال إيران حربا على توران أخذًا بثأر "سياوش" وفي هذه الحرب قتلوا جماعة مـن أبطـال توران فقتلوا "ورازاد" ملك "سبيجان" وهو من أعيان ملوك الترك. وأسروا "سـرخه" ابـن "أفراسـياب" ثـم اضطجعوه على الطشْتِ وذبحوه كما حدث مع "سياوش" ثم قتلوا ببيلسم أخا "پيران" كبير وزراء أفراسـياب، وفي النهاية فر أفراسياب وأخلى عرش توران، فجلس عليه رستم سبع سنين، قام بعـدها بتخريـب ممالـك توران قبل أن يعود إلى إيران.

هذه هي أهم الأحداث التي ذكرت في الشاهنامة عن "سياوش" منذ مولده إلى وفاته، فإذا قارنا ما جـاء فـي الشاهنامة بما جاء في الأوستا والمصادر البهلوية، نجد أن اسم "سياوش" بمعنى "سـياه" أي "أسـود"، "ارشـن" بمعنى ذكر وحيوان ذكر ومعناه بناء على هذا: يصبح "مالك الحصان الفحل الأسود" ويكتب اسمه في البهلويـة وفي الفارسية أيضا على هذا النحو "سياوخش" وقد جاء عنه في الأفستا إشارات متفرقة مفادها أن "كي سياوش" الشجاع الجميل هو والد "كيخسرو" وقد قتل غدرا على يد أفراسياب التوراني، وقد أخذ كيخسرو بثأره.

وكانت هذه الإشارات المختصرة سببا في نشأة روايات مختلفة عنه في العهد الساساني وفي بداية العهد الإسلامي أصبحت قصصا جميلة وجذابة، وأصبح لها في كتب الحماسة القومية الإيرانية – كمـا يـذكر د. ذبيح الله صفا – مكانة مهمة[١٢٥]. وتذكر المصادر البهلوية أن سياوش هو ابن كيكاوس وأبو "كيخسـرو" مع أن الأفستا لم تذكر شيئًا عن نسبة سياوش لكيكاوس. وفيها أيضا أن "سياوش" هو باني قلعـة "كنـك" [١٢٦] وهذا أيضا قد ذكر عند الفردوسي يقول [١٢٧]:

- لا يوجد مكان مثل قلعة كنك في العالم، ولا توجد أرض في جمال أرضها.
- وقد جهزها سياوش، وتعب فيها كثيرا.

---

[١٢٤] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٨٥، الأبيات بالفارسية:

بديشان چنين كفت رسـتم كـه مـن	**بـدين كـين نهـادم دل وجـان وتـن**
كه اندر جهان چون سياوش سـوار	**نبنــدد كمــر نيــز يــك نامــدار**
چنـين كـار يكسـر مداريـد خـرد	**كه اين كينـه راخـرد نتـوان شـمرد**

[١٢٥] حماسة سرائي ص ٤٧٥.

[١٢٦] حماسة سرائي: ص ٤٧٦.

[١٢٧] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦١٨، الأبيات بالفارسية:

كه جون كنك دز در جهان جاى نيسـت	**بـر آنسـان زمينـي دلاراي نيسـت**
كـه انـر اسـياوش بـراورده بـود	**بـس انـدر ورنجهـا بـرده بـود**

أما البندهشن فيذكر "أن أفراسياب" شن حربا جديدة، وأن سياوش دخل معه في صراع، ولكن نتيجة لخيانة سوتابيه – (سوتابك) زوجة "كي اوس" لم يعد سياوش لإيران مرة أخرى، فأعطاه أفراسياب الأمـان وقبلـه عنده، فلجأ إلى تركستان، وتزوج ابنة "أفراسياب" وقد ولدت له كيخسرو، وقتل سياوش في تركستان [١٢٨].

يلاحظ من هذا أن هناك بعض أوجه الشبه بين ما جاء في البندهشن عن قصة "سياوش" وما جـاء عنـد الفردوسي، ويلاحظ أيضا أن قصة "سياوش" في الشاهنامة مأخوذة من قصة مدونة ومرتبة مثل تلك المدونـة في شاهنامة "أبي منصوري" كما يذكر د. ذبيح الله صفا [١٢٩] والقصة – كما أوردها الفردوسي – فيها شـبه مما ذكره الطبري الذي قال: إن زوجه كيكاوس هويت سياوخش ودعته إلى نفسها فامتنع فسعت به إلى أبيـه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم أن يخاطب أباه لِينْفِذَه إلى محاربة أفراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما، وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته ففعل ذلك رستم، فسيره أبوه وضم إليه جيشًـا كثيفًـا، فسار إلى بلاد الترك للقاء أفراسياب، فلما سار إلى تلك الناحية جرى بينهما صلح فكتب إليـه والـده يـأمره بمناهضة أفراسياب ومحاربته فكتب سياوخش إلى أبيه يعرفه ما جرى بينه وبين أفراسـياب مـن الصـلح، فاستقبح سياوخش الغدر وأنف منه فلم ينفذ ما أمره به. ورأى أن ذلك من فعل زوجة والده ليقبح فعله، فراسل أفراسياب في الأمان لنفسه لينتقل إليه، فأجابه أفراسياب إلى ذلك وكان السفير فـي ذلـك "فيـران" ودخـل سياوخش إلى بلاد الترك فأكرمه أفراسياب، وأنزله وأجرى عليه وزوجهة ابنته ويقال لها وسفا فريد وهي أم كيخسرو، فظهر له من أدب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهمـا بسعي ابني أفراسياب وأخيه (كندو) حسدا منهم لسياوخش، فأمرهم أفراسياب بقتله... وحين بلغ خبر قتله إلى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنًا، وهو أول من لبسه... ثم إن كيكاوس... سير الجيوش من رستم الشديد وطوس فدخلا بلاد الترك فقتلا وأسرا، واثخنا فيها وجرى لهما مع أفراسياب حروب شديدة قُتِلَ فيهـا ابنا أفراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش [١٣٠].

والمتأمل في القصة التي أوردها الطبري وقصة "سياوش" كما جاءت عند الفردوسي يتأكـد أن المنبـع الذي صدرت عنه القصتان واحد تقريبا، فالخطوط العامة للقصة واحدة والأحداث الرئيسية واحدة أيضا مثل ضم رستم لسياوش لتربيته، وتعلق زوجة أبيه به ومخاطبته رستم للذهاب لمحاربة الترك، والصلح الـذي جرى بينه وبين أفراسياب، ورفض أبيه له، ولجوئه إلى أفراسياب وتـزوج ابنتـه، وإنجابهـا كيخسـرو، ومقتله على يد أفراسياب وأخذ الإيرانيين بثأره من الأتراك. كل هذه الأحداث مذكورة عند الطبـري وعنـد الفردوسي. مثل أن سياوش استقبح الغدر بأفراسياب، فقال[١٣١]:

---

[١٢٨] نقلاً عن حماسة سرائي ص ٤٧٩.

[١٢٩] حماسة سرائي ص ٤٧٩.

[١٣٠] راجع تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥١٥.

[١٣١] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٨١، الأبيات بالفارسية:

- إن الملك لا يرضيه أن يصدر مني هذا السوء، وأن تتناولني ألسنة الجماعة.
- وإذا تركت قيادة الجيوش لطوس، وعدت إلى بلاط الملك.
- فسألقى منه السوء أيضا، مالي أرى السوء عن يميني ويساري وأمامي..!
- فلا يأتي من سودابة إلا الشر، ولا أعلم ماذا سيأتي من الملك.

ومن التفاصيل التي ذكرت في المصدرين سعي كرسيوز أخي أفراسياب بسياوش بعد أن حسده على مكانته عند "أفراسياب" ومنها أيضا أن الطبري ذكر أن شادوس بن جودرز لبس السواد حزنًا، فقد جاء عند الفردوسي [١٣٢]:

- أن أبطال إيران من أمثال طوس وجودرز وچيو وشاپور وفرهاد وبهرام.
- جميعهم ارتدو السواد، ونثروا التراب على رؤوسهم مكان التاج.

وهناك بعض التفاصيل التي اختلفا عليها أيضا مثل اسم ابنة "أفراسياب" فالطبري يذكر أن اسمها وسفا فريد، بينما يذكر الفردوسي أنها "فرنكيس" وهناك أيضا عاقبة "سودابة" فالطبري يصمت عنها، بينما يحدثنا الفردوسي بأن رستم قد قتلها – كما رأينا من قبل – وكذا ذكر المسعودي أن رستم قتل سعدى، وقتل جماعة من وجوه الترك. ليأخذ بطائلة "سياوخش" منهم. وقد ذكر ملخص هذه القصة بنفس الأحداث السابقة [١٣٣]. ويلاحظ أيضا أن كلا من الطبري والمسعودي يكتبان اسمه "سياوخش" وهذا أقرب لما جاء في المصادر البهلوية كما رأينا.

والمتأمل في تفاصيل قصة "سياوش" مع زوجة أبيه "سودابة" كما جاءت عند الفردوسي يلاحظ أن بها شبها من قصة يوسف عليه السلام وزوجة عزيز مصر، فإذا تركنا محاولات سودابة مراودة "سياوش" عن نفسه وامتناعه عن إجابتها [١٣٤]:

- إذ قال في نفسه ليبعد الله عني أعمال الشيطان.
- لا لن أخون والدي، ولن أتعرف إلى الشيطان.

جهاندار نپسندد اين بد زمن — گشايند بر من زبان انجمن
وگر باز گردم بدرگاه شاه — بطوس سپهبد سپارم سپاه
ازو نيز هم برسوم بد رسد — چب وراست بد بينم وپيش بد
نيايد زسودابة هم جزبدي — ندانم چه خواهد بدن ايزدي

(١٣٢) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٨١، الأبيات بالفارسي:

چو طوس وچو كودرز وگيو دلير — چو شابور وفرهاد وبهرام شير
همه جامه كبود وسياه — همه خاك برسولا بجاي كلاه

(١٣٣) مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٢٧.

(١٣٤) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٠، الأبيات بالفارسية:

چنين كنت بادل كه از كارتو ديو — مرا دور داراد كيوان خديو
نه من باپدر بيوفابى كنم — نه با اهرمن أشنابى كنم

وإذا تجاوزنا أيضا عن رد فعل "سودابة" التي ادعت أن "سياوش" هو الذي راودها عن نفسـها، وقالـت للملك: إن سياوش قال لي [١٣٥].

- إن روحي وجسدي مشغولان بحبك، فلم تبتعدين عني أيتها الجميلة؟
- فلا أريد أحدا سواك، ولا ينبغي أن يذكر مثل هذا الكلام إلا لمثلك.

إذا تجاوزنا التشابه الموجود في الأحداث السابقة مع ما جرى بين يوسف عليه السلام وزوجـة العزيـز ونظرنا إلى رد فعل "كيكاوس" فإننا نجد التشابه الحقيقي مع موقف عزيز مصر من يوسف عندما قالـت لـه زوجه: كما جاء في القرآن الكريم [١٣٦]: ﴿ **قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوْءًا إِلا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [١٣٧] قال شاهدها: تبيان هذا في القميص؛ فإن كان قُد من قُبِلٍ فصدقت، وإن كان قُد من دبرٍ فكـذبت [١٣٨]. هذا ما حدث مع يوسف عليه السلام أما ما حدث مع سياوش فإن كيكاوس [١٣٩]:

- أخذ يتفكر في كلام (سودابة) ويديره على كل وجه.
- وقال لنفسه لو كان ما تقوله صحيحا، وكان هو باحثًا عن القبح على هذا النحو.
- فيجب قطع رأس سياوش، لأنه فتح باب الشر.

وقال أيضا في نفسه عندما سمع دفاع سياوش عن نفسه وهجوم سودابة عليه [١٤٠].

- ليس هذا وقت العجلة، ولا يجب أن آخذ بكلام الاثنين.
- بل يجب أن أنظر في هذا الأمر أولاً، ليهديني قلبي إلى ما حدث بصدق.

---

[١٣٥] شهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥١٣، الأبيات بالفارسية:

كه ازتست جـان وتـنم پـر زمهـر	**چه پرهيزى ازمن نواى خـوب چهـر**
كه جـر توكسـيرا نخـواهم زيـن	**چنينــت همــى رانــد پايــد ســخن**

[١٣٦] من الآية ٢٥ من سورة يوسف.

[١٣٧] من الآية ٢٦ من سورة يوسف.

[١٣٨] لمزيد من التفصيل راجع: ابن الأثير: الكامل في التاريخ: جـ ١ ص ٨٠. الطبعة الأولى المطبعة المنيرية مصر سنة ١٢٣٨ هـ.

[١٣٩] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٣، الأبيات بالفارسية:

پراندیشه شد زان سـخن شـهريار	**ســخن كــرد هركونــه خواســتار**
بدل كفت اراين راست كويـد همـى	**وزيـن كونـه زشـتى نجويـد همـى**
ســياوش راســر ببايــد بريــد	**بدينســان بــود بنــد بــدرا كليــد**

[١٤٠] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٤، الأبيات بالفارسية:

برين كـار برنيسـت جـاى شـتاب	**كــه تنكــى دل آرد خــرد رابتــاب**
نكـه كـرد بايـد بـدين برتخسـت	**كواهى دهـد دل چـو كـردد درسـت**

وهذال التحول الذي طرأ على شخصية "كيكاوس" وجعله يتفكر في الأمر، ويبحث عن دليل هو وجه الشبه بينه وبين ما جاء عن عزيز مصر. فقد اشتهر "كيكاوس" في كل أعماله السابقة بالرعونة والتسرع في الأمر والتعجل في المعاقبة، أما هذا الهدوء الذي طرأ عليه فغريب – فيما أرى – على شخصيته وهو متأثر بشخصية العزيز في القصة السابقة. وإذا كان العزيز قد بحث عن قميص يوسف كما أرشده الشاهد ليعرف صدق مقولة يوسف عليه السلام من مقولة زوجته، فإن "كيكاوس" قد هداه تفكيره لأن يشم يد سياوش ليعرف إن كان هناك طيب قد علق بها مما تتطيب به سودابة[١٤١]:

- فوجد من سودابة رائحة الخمر والمسك الخالص، ومن سياوش رائحة الماورد.
- ولم يجد من سياوش مثل رائحتها، ولا أثر لمسه لها.

كما كان موقف كيكاوس من سودابة ومن سياوش، شبيها بموقف عزيز مصر من يوسف ومن راعيل. عندما علم بصدق يوسف وكذب زوجته، فقال لهما: **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا** [١٤٢] وقال لزوجه **وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** .[١٤٣]

أما كيكاوس فقد فكر في نفسه أن يقتل سودابة ولكنه رجع عن ذلك لأربعة أسباب هي [١٤٤]:

- ما سوف يهب من هاماوران من فتن وثورة وحرب.
- والثانية عندما كان في الأسر، وليس معه قريب ولا رفيق.
- وخدمة سودابة له ليل نهار، وما عانته من ألم في صمت.
- والثالثة أن حبها متمكن في قلبه، وأنه يجب أن يغفر لها ما بدر منها.
- والرابعة أن له صغارا منها، سوف يحزنون عليها.

---

[١٤١] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٤، الأبيات بالفارسية:

زسـودابة بـوي مـى ومشـكناب	**همـي يافـت سـپاوش بـوي كـلاب**
نديد ازسـياوش چنـان نيـز بـوي	**نشـان بـودن نديـد انـدروي**

[١٤٢] من الآية ٢٩ سورة يوسف.

[١٤٣] من الآية ٢٩ من سورة يوسف.

[١٤٤] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٥ الأبيات بالفارسية:

زهاما وران زان پس انديشـه كـرد	**كـه برخيـزد اشـوب وجنـك ونبـرد**
وديكـر بدانكـه كـه دربنـد بـود	**براو نـه خـويش ونـه پيونـد بـود**
پرسـتار سـودابة بـدروز وشـب	**بـه پيچيـد ازان درد ونكشـاد لـب**
سه ديكر كه يك دل پراز مهرداشـت	**بيايست ازو هـر بـد انـدر كذاشـت**
چهارم كزو كودكـان داشـت خـرد	**غـم خـرد اخـرد نتـوان شـمرد**

هذا عن موقفه من سودابة، أما موقف كيكاوس من ابنه (سياوش) بعد أن تأكد من براءته فقد قال لـه قولاً شبيها بما قاله عزيز مصر ليوسف، إذ قال [(١٤٥)]:

- لا تفكر في هذا الأمر، واهتم بتدبير أمرك.
- ولا تذكر هذا، ولا تتحدث فيه مع أحد، فيجب ألا يشيع هذا الكلام.

هذه أوجه التشابه – فيما أرى – بين قصة سياوش وسودابة وقصة يوسف وزليخا. وإذا كان سـياوش – كما يذكر ذبيح الله صفا – لم يرد عنه في الأفستا إلا بعض الأخبار المتفرقة، والتي صـارت فـي العصـر الساساني وأوائل العصر الإسلامي قصة جذابة جميلة وهذا يرجع – في رأيي – إلى تأثرها بقصص أخـرى في بعض جزئياتها مثل قصة يوسف وزليخا التي تحدثنا عنها والتي دخلت هي وغيرها إلى الأدب الفارسـي وامتزجت بأساطير الفرس المختلفة نتيجة اختلاط الشعوب في هذه المنطقة. فقد تأثر الفرس بالأساطير الهندية وبالديانة المزدية التي كانت أساسا للديانة الزرادشتية كما يذكر كريستنسن وول ديورانت ثم تأثروا بالروايات الإسرائيلية المأخوذة عن التوراة نتيجة الاختلاط الذي حدث أيام بختنصر مرزبان العراق الذي خـرب بـلاد المقدس وأسر اليهود ونقلهم إلى بابل. وقد شاع التأثر بالإسرائيليات وبالقصص السامي في أساطيرهم القديمة وزاد هذا بعد الإسلام فرأينا الخلط في بعض المصادر بين جمشيد وسليمان ابـن داود عليـه السـلام [(١٤٦)]، والخلط بين كيكاوس وبختنصر[(١٤٧)]، واختلاط أساطير كيكاوس مع نمرود الجبار أيضا – كما رأينا – فـي قصة الصعود إلى السماء والخلط بين كيكاوس وبين سليمان بن داود في رواية الطبري التي ذكـر فيهـا أن بعض علماء الأخبار يقولون إن الجن كانت مسخرة لكيكاوس بأمر سليمان بن داود [(١٤٨)]. وبهذا اختلطت فيه أيضا القصص السامية، ويفسر براون هذا بقوله إن الزرادشتيين "كانوا يستحسنون هذا اللون من المطابقـات بعد انتصار الإسلام لأن فيه صلاح وضعهم أمام الفاتحين، كما أنه يوفر لهم نفس المزايا التـي ينـادي بهـا الإسلام باعتبارهم من أهل الكتاب" [(١٤٩)].

ولعل هذا التفسير يوضح لنا سبب ازدياد اختلاط الأساطير الفارسية بالإسرائيلية والسـامية فـي الكتـب المؤلفة بعد الإسلام مثل شاهنامة المنصوري المؤلفة سنة ٣٤٦ هـ. والذي يقول في مقدمتها: "إنه ينقل عـن بني إسرائيل، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "حدثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج" [(١٥٠)]. ويوضح هذا أيضا سبب شيوع هذا التأثير السامي في الأساطير الفارسية المذكورة في الشاهنامة.

---

(١٤٥) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٥ الأبيات بالفارسية:

بدو گفت كين خـود مينـديش هـيچ	**هشـيوارى وراى رفـتن بسـيچ**
مكن ياد ازين نيـز وبـاكس مكـوي	**نبايد كه كيـرد سـخن رنـك وبـوي**

(١٤٦) تاريخ الطبري: جـ ١ ص ١٧٦.

(١٤٧) البيروني: الآثار الباقية: ص ١١١.

(١٤٨) تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٠٧.

(١٤٩) تاريخ الأدب في إيران: جـ ١ ص ١٩١.

(١٥٠) مقدمة شاهنامة أبو منصوري نقلاً عن هزار سال نثر پارس: ص ٤٥.

الباب الثاني

قمبيز في مسرحية شوقي

الفصل الأول : مصادر شوقي

الفصل الثاني : قمبيز عند شوقي بين التاريخ والأسطورة

الفصل الأول

مصـادر شـوقي

تمهيد

تعد المصادر اليونانية وعلى رأسها تاريخ "هيرودوت"[١٥١] من أهم المصادر التي يعتمد عليها في تسجيل سيرة ملوك الفرس الهخامنشيين أو الإكمينين كما يسميهم اليونانيون (٥٥٩ – ٣٣٠ ق. م) ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن الفرس كما أشرنا من قبل قد اعتمدوا في تسجيل تاريخهم على الأساطير المستمدة من مصادرهم الدينية، وعلى الوقائع التي ترسبت في عقول أجيالها عن مواطنها القديمة وصراعها مع جيرانها على الحدود، وأضافوا إلى ذلك ما وعته ذاكرتهم عن بعض ملوكهم، فصار ما يروونه عن ملوكهم القدامى من بيشداديين وكيانيين خرافيا من جميع الوجوه – فيما يرى بعض المستشرقين من أمثال: كريستنسن [١٥٢] وبراون [١٥٣]، وسيربرسي سايكس[١٥٤]، وهو في رأي آخر خرافي كله فيما يخص سيرة البيشدانيين، ومزيج من التاريخ والأسطورة فيما يخص سيرة الكيانيين [١٥٥]، لهذا فإن من يرغب في التأريخ لفترة ملوك الهخامنشيين وما قبلها لا يجد بدا من الرجوع إلى المؤلفات اليونانية عامة والرجوع لتاريخ هيرودوت خاصة.

كما يعد "هيرودوت" أهم مرجع في تاريخ مصر إبان الغزو الفارسي لمن يريد أن يعالج هذا التاريخ معالجة درامية – كما يذكر د. أحمد بدوي – ولا نعني بهذا أن تاريخ "هيرودوت" مبرأ من الأساطير والقصص، فقد اختلط التاريخ فيه بالقصص والأساطير أيضا شأن معظم التواريخ القديمة، حتى عده د. أحمد بدوي: "ملحمة طريفة مختلفة الألوان، جمع عناصر نسجها من كل ما زعم أنه رأى وسمع، ثم حشا بين طياتها ألوانًا مختلفة من معارفه اليونانية، ووشى إطار صورها بكثير مما سمع من الشعب عن حياة السلف من ملوك مصر وسكانها" [١٥٦]. وقد خصصنا هذا الفصل لذكر قصة "قمبيز" كما وردت عند هيرودوت، حتى تكون أساسا للمقارنة مع مسرحية أحمد شوقي "قمبيز".

---

[١٥١] يستنتج في بعض الآراء أن هيرودوت ولد حوالي عام ٤٨٤ ق. م في مدينة هاليكارناسوس، وهي مستعمرة دورية في آسيا الصغرى، وقد أتم مؤلفه هذا حوالي سنة ٤٤٧ ق. م. وأنه زار مصر في الفترة من ٤٦٠ – ٤٥٥ ق. م. (هيرودوت: ترجمة أمين سلامة، ص ٦٠٥).

[١٥٢] إيران في عهد الساسانيين، ص ٢٦.

[١٥٣] تاريخ الأدب في إيران: جـ ١، ص ١٨٩.

[١٥٤] سيرپرس سايكسي: تاريخ إيران جـ ١ ص ١٧٤ (ترجمة محمد تقي فخر كيلاني). نهران سنة ١٣٢٩ هـ. ش.

[١٥٥] دراسات في الشاهنامة: ص ٢٦٠؛ الشاهنامة العربية: جـ ١، ص ٧٣.

[١٥٦] د. محمد صقر خفاجة: هيرودوت يتحدث عن مصر، مقدمة بقلم د. أحمد بدوي. ص ١، بيروت سنة ١٩٦٦ م.

القصة كما جاءت عند هيرودوت:

يتحدث "هيرودوت" عن "قمبيز" وحملته على مصر في كتابه الثالث، فيذكر ثلاث قصص عن سبب غزوه لمصر، فيقول: إن الرواية الفارسية عن سبب غزو قمبيز لمصر تذكر أن أحد الأطباء المصريين حنق على "أمازيس" (أحمس) فرعون مصر لأن الفرعون أرسل هذا الطبيب إلى الملك الفارسي "قورش" (ت ٥٢٩ ق. م) الذي طلب من "أمازيس" أن يرسل إليه أمهر طبيب عيون عنده، فاختار هذا الطبيب الذي حقد عليه لإبعاده عن زوجته وأطفاله، فأوعز إلى "قمبيز" أن يتزوج ابنة "أمازيس" وكان يريد من وراء هذا أن يكدر "أمازيس" إذا ما وافق على هذه الزيجة، أما إذا رفض فإن هذا الرفض يصبح مدعاة لعداوة "قمبيز" له. ويذكر "هيرودوت" أن "أمازيس" عندما جاءته رسالة "قمبيز" تحير، إذ كان يرهب قوة الفرس وكان يعلم أن "قمبيز" يريد ابنته مجرد "محظية" له، لا زوجة، لذا استقر بعد تفكير طويل على أن يرسل "نتيتاس" ابنة سلفه الملك "ابرياس" فأخذها وزينها بالذهب والثياب الفاخرة، وبعثها إلى "فارس" كما لو كانت ابنته فعلاً. ويكمل "هيرودوت" هذه القصة بقوله إنه: ذات يوم ناداها الملك باسم أبيها فقالت له: ألا تعرف يا مولاي أن أمازيس قد خدعك، لقد ألبسني الملابس الفاخرة، وأرسلني إليك على أنني ابنته، وفي الحقيقة لست كذلك فأنا ابنة "ابرياس" سيده الذي قتله عندما قاد المصريين للثورة ضده. ويختم هيرودوت هذه الرواية بقوله: "إن هذه الكلمات كانت سببا في تلك الواقعة التي أدت إلى استيلاء "قمبيز" على مصر "وفقًا للرواية الفارسية".

وهناك قصة أخرى يقول عنها "هيرودوت" إنها الرواية المصرية. وتذكر أن: "قمبيز" هذا هو ابن "نتيتاس" ابنة "أبرياس" لهذا يعدونه أحد مواطنيهم، إذ يقولون (المصريون) إن "قورش" هو الذي أرسل إلى "أمازيس" راغبا في الزواج من ابنته، وأن "نتيتاس" هذه أنجبت له ابنه "قمبيز" وينبري "هيرودوت" نفسه لتفنيد هذه الرواية قائلاً: إنها لا تثبت في مواجهة الحقائق، فالقانون الفارسي يمنع أبناء السرائر من الالتحاق بنسبهم كأبناء الحرائر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن "قمبيز" هو ابن "كاساندان" ابنة "فرنسيس" أحد أفراد الأسرة الهخامنشية. ويعلق "هيرودوت" على هذه الرواية بأن المصريين أرادوا بها إيجاد صلة قرابة بينهم وبين قمبيز.

وهناك رواية ثالثة يذكرها "هيرودوت" ويقول فيها إن "كاساندان" زوجة "قورش" قد غارت من اهتمامه بالأميرة المصرية "نتيتاس" فقالت يوما أمام ولديها (قمبيز وبرديا) على الرغم من ولدي الرائعين هذين، فإن "قورش" هجرني ووجه جل اهتمامه لتلك المرأة التي جلبها من مصر، فقال "قمبيز" وكان أكبر ولديها: "عندما أصبح رجلاً سوف أحطم مصر من أجلك يا أمي". ويعلق "هيرودوت" على هذه الرواية بقوله: "إنها لا تقنع أحدا" [١٥٧].

---

[١٥٧] Herodetus The Histaries: Book ٣ Page ١٧٤ – ١٧٥ Translated by Aubrey, d'selmcourt penguin Books.

هذه هي أهم القصص التي ساقها "هيرودوت" عن أسباب غزو "قمبيز" لمصر، وبعد أن يسوقها يتحدث عن دور "فانيس" الجندي المرتزق الذي كان بجيش "أمازيس" ثم فر إلى فارس حيث وجد "قمبيز" يفكر في الهجوم على مصر، ولكنه كان مترددا لعدم معرفته كيف يجتاز الصحراء، فأشار "فانيس" عليه أن يوفد سفيرا من قبله إلى ملك العرب ويطلب منه أن يسلك حياله مسلكًا وديا وهو يعبر تلك المنطقة. ويبين "هيرودوت" كيف وفّى الملك العربي بوعده وأمن طريق "قمبيز" ووفر فيه الماء. ثم يتحدث عن الموقعة التي حدثت بين "قمبيز" وبسماتيك بن أمازيس. لأن "قمبيز" عندما وصل إلى مصر كان "أمازيس" قد مات بعد أن حكم مصر مدة أربع وأربعين سنة. ثم يذكر انتقام الجنود المرتزقة من فانيس عن طريق قتل أولاده. ويتحدث عن هزيمة المصريين في المعركة العنيفة التي دارت بين الجانبين ثم التجائهم إلى ممفيس حيث تحصنوا وراء الأسوار، فأرسل إليهم "قمبيز" رسولاً على ظهر سفينة ميتيليتية ليدخل إلى ممفيس عن طريق النيل، ويطلب منهم التسليم، فما كان من المصريين إلا أن انقضوا على السفينة وحطموها ومزقوا بحارتها، ثم حوصرت ممفيس واستسلمت، واستسلم الليبيون على حدود مصر وكذلك الكورنيين والباركيين. ويذكر أن القضاة الملكيين "الفرس" أصدروا حكمهم بإعدام عشرة من أنبل المصريين في مقابل كل رجل متيليتي قُتل على تلك السفينة: لذا حكم على ابن "بسماتيك" ومعه ألفان من الشبان المصريين بالقتل[١٥٨].

أعمال قمبيز وشخصيته كما جاءت عند هيرودوت:

ينسب "هيرودوت" إلى قمبيز ارتكاب كثير من الأمور الفظيعة في حق المصريين وفي حق حاشيته وفي حق جنوده وبالنسبة للأغراب أيضا. فمن الفظائع التي ارتكبها في حق المصريين: إخراج جثة الملك "أمازيس" من قبره وأمره بإهانتها ثم حرقها، ومن أعماله السيئة بالنسبة للمصريين أيضا قتله الموظفين المهيمنين على مدينة ممفيس، وجرحه العجل أبيس ذلك الجرح الذي أدى إلى مقتله، وإهانته لكهنته وأمره بجلدهم وبمنع الاحتفالات الدينية في مصر [١٥٩].

ومن فظائعه التي ارتكبها في حق جنوده أنه قرر القيام بثلاث حملات غير مدروسة وبغير استعداد كافٍ للقيام بها: **إحداها**: أنه أمر الأسطول بالإبحار لمهاجمة قرطاجنة وقد فشلت هذه الحملة قبل قيامها لأن الفينيقيين أبوا الذهاب وقالوا إنهم مرتبطون بمعاهدة صداقة مع قرطاجنة. **والثانية**: حمله على الأمونيين، وقد بدأ الفرس رحلتهم من طيبة، ثم ساروا من مدينة الواحة (الخارجة) إلى منتصف المسافة إلى بلاد الأمونيين فهبت عليهم ريح عاصفة فغطت الجيش كله ودفنتهم في الرمال.

---

[١٥٨] هيرودوت: أ – ج إيفانز (ترجمة أمين سلامة) ص ١١٣ – ١١٧ – بدون سنة طبع.

[١٥٩] المرجع السابق: ص ١١٩، ١٢٤، ١٢٥.

أما الحملة الثالثة: فكانت على الأثيوبيين، وكان حظها في مثل حظ سابقتها تقريبا، فقد أوفد "قمبيز" رسله إلى أثيوبيا محملين بالهدايا ليكونوا جواسيس له ويأتونه بالأخبار، وقد فطن ملك أثيوبيا لغرضهم، وأرسلهم برد شديد اللهجة لملكهم قمبيز فقال لهم ضمن ما قال: إن ملككم ليس عادلاً – وإلا لما طمع في أرض ليست له، ولما استعبد قوما لم يمسوه بسوء قط... يقول هيرودوت: إن "قمبيز" ما إن سمع تقرير الجواسيس حتى أرغى وأزبد وهاج لدرجة الغضب، وبدأ في الحال سيره لمهاجمة الأثيوبيين دون أن يعد المؤونة اللازمة لإطعام جيشه، ودون أن يفكر في أنه سيشن حربا في أقصى أجزاء الأرض، وصحب جنوده الفارسيين ليس غير، ويقول: إنه قبل أن يقطع خمس المسافة نفد جميع ما كان مع الجيش من مؤونة، وعندها شرع الرجال يأكلون حيوانات الحمل التي كانت معهم، وبعد أن نفدت أكل الجنود الحشائش والأعشاب، ولما وصلوا إلى المنطقة الرملية، كان كل عشرة يختارون رجلاً من بينهم بالقرعة ويذبحونه ليكون طعاما للتسعة الباقين، وعندما علم "قمبيز" بهذا اقشعر بدنه وتنازل عن حملته، ورجع أدراجه بعد أن هلكت من جنوده أعداد كبيرة(١٦٠).

جنون قمبيز:

يتحدث "هيرودوت" عن قمبيز باعتباره شخصا مجنونًا تسيطر عليه نوبات من الجنون والغضب فيتصرف من خلالها، يقول عن أسباب جنونه إنه يقال إن "قمبيز" أصيب منذ ولادته بـ "المرض المقدس" (وهو الصرع). ويقال إنه جن بسبب ما فعله مع "أبيس" (معبود المصريين). ويذكر أن "قمبيز" كان مجنونًا حيال أقاربه ويدلل على ذلك بقتله شقيقه "سميرديس" (برديا)، ومن أعماله المجنونة قتل أخته التي صحبته إلى مصر وعاشت معه كزوجته (روشنك).

ومن أمثلة جنونه حيال الأغراب ما فعله مع بريكساسبيس الذي كان يقدره أكثر من سائر الفرس وحامل رسائله، وكان ابنه متوليا منصب "حامل الكأس" وقد أخبر بريكساسبيس هذا قمبيز برأي الفرس في إفراطه في الشراب فثارت ثائرته وبعدها أمسك قوسه وأطلق منها سهما أصاب ابن بريكساسبيس هذا في قلبه فمات في الحال. ومنها أنه أخذ اثني عشر رجلاً من أعظم نبلاء الفرس، ودفنهم حتى أعناقهم دون أن يقترفوا إثما.

ومن أمثلة جنونه حيال الأغراب أيضا ما فعله مع كرويسوس الليدي الذي نصحه بقوله: "لا تسمح لنفسك بالتمادي في نزق الشباب وفي حمية طباعك.... فما كان من قمبيز إلا أن وبخه وحمل قوسه ليقتله إلا أنه فر من أمامه فأمر خدمه أن يقبضوا عليه ويقتلوه. وعندما علم فيما بعد أنهم قد أخفوه حتى تهدأ ثائرته سر بهذا، إلا أنه أعدمهم جميعا لعدم تنفيذهم أوامره.

ومن أعماله المجنونة التي يذكرها "هيرودوت" أنه فتح الأضرحة وفحص جثث الموتى، وأنه ذهب إلى معبد فولكان وأخذ يرميه بالسهام، ودخل معبد "الكابيرين" المحرم دخوله على أي شخص سوى الكهنة.

---

(١٦٠) هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة): ص ١٢٠ – ١٢٣.

ويستخلص "هيرودوت" من هذه الأشياء وغيرها **أنه من المؤكد** أن "قمبيز" قد أصابته لوثة من الجنـون، وإلا لما أقدم على انتهاك حرمة الطقوس المقدسة والتقاليد المتبعة منذ غابر الأزمنة [١٦١].

وفاة قمبيز:

عن وفاة قمبيز يقول "هيرودوت" إنه بينما كان قمبيز في مصر أثناء فترة جنونـه، ثـار ضـده أخـوان مجوسيان. كان أحدهما موكلاً بالإشراف على شئون القصر في فارس من قبل "قمبيز" وكان يعلم أن "قمبيـز" قد قتل أخاه "سميرديس" وأن موته أُخفي عن الشعب الفارسي، فانتهز هذه الفرصة... إذ كان لـه أخ يشـبه تماما "سميرديس" بن كوروش وكان يدعى أيضا "سميرديس" فأخذه وأجلسه على عرش المملكة، ثـم أرسـل رسلاً إلى جميع البلدان يعلنون الجيوش بأن عليهم منذ ذلك الوقت فصاعدا أن يطيعوا أوامر سميرديس بـن كوروش وليس قمبيز، وقام الرسل بمهمتهم، كذلك فعل الرسول الذي أوفد إلى مصر. فلما وصل هذا الرسول إلى "أجباتانا" بسوريا وجد قمبيز مع جيشه هناك. فذهب من فوره إلى وسط الجيش وأعلن عليهم ما أمره بـه "باتيزينيس" المجوسي. فما إن سمع "قمبيز" هذا الإعلان حتى اعتقد بصحة مـا قالـه الرسـول. وظـن أن بريكساسبيس (حامل رسائله) قد خدعه ولم يقتل "سميرديس" فتوجه إليه مستنكرا: أهذه هي الطريقة التي تُنفذ بها أوامري يابريكساسبيس؟ فأجاب الآخر قائلاً: "مولاي لا صحة للأنباء القائلة بأن أخاك "سميرديس" قد ثار ضدك... فقد نفذت أمرك فيه بيدي، وبيدي دفنته... وإنني لأنصح لك أن تُرسل في أعقاب هذا الرسول مـن يقبض عليه ثم نسأله ونشدد عليه في السؤال لمعرفة من الذي كلفه بأن يأمرنا بإطاعة الملـك "سـميرديس"". فأرسل قمبيز من قبض على ذلك الرسول، وسألوه هل مثل في حضرة "سميرديس" ورآه بنفسه، فقال الرسول إن الذي أصدر إليهم هذا الأمر هو الرجل المجوسي الذي تركه قمبيز مشرفًا على إدارة قصـره. هنـا أدرك "قمبيز" أن "بريكساسبيس" بريء وسأله: من مِن الفرس يمكن أن يكون قد انتحل اسم "سميرديس" فأجابـه: إن الذين ثارا ضدك هما المجوسيان، باتيزينيس وأخوه المدعو "سميرديس"، فما إن سمع "قمبيز" اسم "سميرديس" حتى أدرك صدق كلام بريكساسبيس، وتحقيق الحلم الذي رآه في منامه بأن "سميرديس" جالس علـى عـرش المملكة وطاول برأسه السماء، فعلم أنه قتل أخاه دون ذنب، فحزن واستشاط غيظًا وهو يفكر في حظه العاثر، فقفز بسرعة على ظهر جواده معتزما السير بجيشه بغاية السرعة إلى "السوس" (عاصمة ملكه) لمحاربة ذلك المجوسي فسقط رباط غمد سيفه ودخلت سن السيف العارية في فخذه وجرحته، ثم تعفـن العظـم وسـرت الغنغرينا في الفخذ ومات "قمبيز" بن كوروش في أكباتانا وقد ظل في الحكم مدة سبع سنوات وخمسة شهور، ولم يترك وراءه ذرية من البنين ولا من البنات [١٦٢].

---

[١٦١] هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة): ص ١٢٥ – ١٣٠.

[١٦٢] هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة): ص ١٣٤ – ١٣٦.

هذه قصة قمبيز وأسباب غزوه لمصر، وما حدث أثناء الغزو وأعماله وجنونه ومقتله كما جـاءت عنـد "هيرودوت" المؤرخ اليوناني، ويتضح منها أنه كمؤرخ يتقيد بالوقائع التي تثبت عنده بوسـيلة مـن وسـائل الرواية أو المشاهدة أو النقل عن غيره. لا فرق في ذلك عنده بين الوقائع التافهة والخطيرة. وفي هذا يختلف العمل التاريخي عن العمل الدرامي. كما أنه يتقيد بالزمن؛ بمعنى أنه يورد أخباره مرتبة ترتيبا زمنيا الأسبق في الحدوث ثم الذي يليه، ويتضح أيضا من خلال ما جاء عند "هيرودوت" أن التاريخ عنده لـم يخـلُ مـن الأسطورة والقصة والأحداث غير المألوفة شأنه شأن التواريخ القديمة عموما. ونفصل هـذا الإجمـال فـي موضعه من البحث إن شاء الله عندما نتحدث عن التاريخ والأسطورة عند شوقي.

الفصل الثاني

"قمبيز عند شوقي بين التاريخ والأسطورة"

أولاً: شوقي والأساطير التاريخية:

ظلت قصة "قمبيز" كما أوردها "هيرودوت" في عداد الأحداث التاريخية في مجملها لا يهتم بها إلا المؤرخون الذين يبحثون في تاريخ كل من مصر وإيران في تلك الفترة التاريخية، فكانوا يوردون كثيرا مما ذكره "هيرودوت" ويعرضون عن بعضه الآخر لسلكه في عداد الأساطير والقصص. ولم تدخل هذه القصة إلى عالم الأدب إلا على يد أمير شعراء العربية "أحمد شوقي" فشوقي كما يذكر محمود حامد شوكت [١٦٣] قد نظم هذه المسرحية دون أن يطلع على مثال سابق لها ويقلده كما حدث في مسرحية " **كليوباترا** " أو في " **ليلى والمجنون** ". وإنما كان له قصب السبق في نقل هذه المسرحية من مجال التاريخ الواقعي والأسطوري إلى المسرح سنة ١٩٣٠. والاتجاه إلى استيحاء التاريخ الواقعي والأسطوري اتجاه أصيل لدى المدرسة الكلاسيكية عامة والكلاسيكية الفرنسية خاصة، وكان "شوقي" – كما يذكر معظم دارسيه [١٦٤] متأثرا بهذه المدرسة في استيحاء الموضوعات التاريخية والأسطورية على السواء في مسرحياته، كما أنه لم يفضل أحدهما على الآخر – كما يذكر د. محمد مندور [١٦٥] - ولم يحرص أن يلتزم دائما التاريخ الحقيقي، فمسرحيتا " **مجنون ليلى** " و"**عنترة** " هما أقرب للأساطير الشعبية منهما إلى التاريخ. كما أن قصة " **قمبيز** " التي أقام عليها "شوقي" مسرحيته والتي هي موضوع هذا البحث قصة أسطورية في بعض تفاصيلها؛ تاريخية في إطارها العام؛ يختلط التاريخ فيها بالأسطورة أحيانًا، ويسيران متوازيان أحيانًا.

وقد بلغ من شغف "شوقي" بالأساطير أنه يفضل أحيانًا الروايات الأسطورية على الروايات التاريخية عندما يعثر على الاثنين، ويرى أن الرواية الأسطورية أكثر مواتاة لفنه، وللهدف الذي يرمي إليه من مسرحيته. فبالنسبة لتفسير سبب غزو " قمبيز" لمصر وهو الهيكل الذي اعتمد عليه " شوقي " في بناء مسرحيته، وجد "شوقي" اتجاهين في تفسير هذا الغزو: **أحدهما** اتجاه تاريخي عند عامة المؤرخين، والآخر اتجاه أسطوري أو شبه أسطوري عند "هيرودوت" [١٦٦].

أما الاتجاه التاريخي:

فيفسر غزو " قمبيز" لمصر بعدة أسباب سياسية واقتصادية ودولية ترجع إلى الصراع الذي كان محتدما بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية اليونانية بسبب تسابقهما على توسيع مناطق نفوذهما وسيطرتهما العسكرية والاقتصادية.

---

[١٦٣] محمود حامد شوكت: المسرحية في شعر شوقي ص ٩٧ القاهرة سنة ١٩٤٧م.

[١٦٤] راجع: د. محمد مندور: **مسرحيات شوقي**: ص ١٩ ط القاهرة سنة ١٩٨٢ م؛ د. طه وادي: **شعر شوقي الغنائي والمسرحي**: ص ٧٨ ط. دار المعارف سنة ١٩٨٥؛ د. سعد عبد المقصود ظلام: **المسرح الشعري بين شوقي وأباظة**: ص ٤٤ – ٤٥ جـ ١ القاهرة سنة ١٩٨٨ م؛ د. كمال محمد إسماعيل: **الشعر المسرحي في الأدب المصري المعاصر**: ص ١٧ ط القاهرة سنة ١٩٨١ م.

[١٦٥] د. محمد مندور: المسرح: ص ٧٣ جـ ١ القاهرة الطبعة الثالثة.

[١٦٦] المسرح: د. محمد مندور، ص ٧٤.

فعلى الساحة الفارسية كانت هناك الدولة الفارسية الفتية التي أسسها قورش الكبير سـنة ٥٥٠ ق. م تلـك التي يسميها الفرس "الدولة الهخامنشية" ويسميها اليونانيون "الدولة الإكينية" والتي تعد أقـدم دولـة فارسـية مسجلة في التاريخ. وقد عمل "قورش" على بسط سلطانه خارج حدود إيران، وأدى هذا بطبيعة الحـال إلـى حروب عديدة بينه وبين جيرانه الذين كانوا يكونون ثلاث دول عظمى في غربي إيران هي: دولة بابل فـي حوض دجلة والفرات، ودولة ليديا في آسيا الصغرى، ودولة مصر (١٦٧).

وقد شعرت هذه الدول بخطر قيام هذه الدولة الفتية فبدأت في الاتفاق على الاتحاد فيما بينها لمواجهة هـذا الخطر، لكن "قورش" لم يمهلها فإنه سرعان ما توجه إلى "ليديا" واستولى عليها وعلى عاصمتها "سارد" سـنة ٥٤٦ ق. م (١٦٨)، ثم استولى على المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى، وعلى كثير من الجزر اليونانية، ثم تحول إلى الجهة الشرقية من البلاد يفتحها حتى وصل إلى بلاد السند، ورجع إلى الغـرب فعبـر دجلـة والفرات وحاصر بابل، وحول مجرى نهر الفرات فلما جف دخل المدينة عن طريقه واستولى عليهـا سـنة ٥٣٨ ق. م (١٦٩). وكان هذا معناه السيطرة على جميع البلاد التي كانت خاضعة للبابليين، وهي بلاد الشـام وفينيقيا وفلسطين، ووصل ملكه إلى البحر المتوسط، واقترب من مصر، لكنه عاد إلى المشرق مرة أخـرى حيث قاتل قبائل الماساجيت(١٧٠)، وقيل إنه جرح أثناء الحرب مما أدى إلى وفاته سنة ٥٢٩ ق.م (١٧١).

وقد ذهب معظم المؤرخين المعاصرين (١٧٢) إلى أن "قورش" كان قد خطط بنفسه لغزو مصـر والاسـتيلاء عليها، ثم عهد إلى ولده "قمبيز أمر هذا التنفيذ، لذا رأينا "قمبيز" يتابع تنفيذ هذا الغـزو بمجـرد قضـائه علـى الاضطرابات والمؤامرات الداخلية التي اندلعت بعد موت "قورش" وتوليه العرش، وقد شجعه على ذلك أن مصر كانت – كما يذكر سليم حسن – خارجة من حروب داخلية طاحنة أنهكت قواها وأضعفت من قوتها الحربية. وقد حاول "قمبيز" إكمال الفتوحات التي بدأها أبوه، فأعد جيشًا جرارا وتوجه لفتح مصر سنة ٥٢٥ ق(١٧٣).

---

(١٦٧) د. عبد النعيم حسنين: الإيرانيون القدماء ص ١٨ – ١٩ ط القاهرة سنة ١٩٧٤م.

(١٦٨) پرسي سايكس: تاريخ إيران (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٩٠.

(١٦٩) حسن پيرنيا، وعباس إقبال آشتياني: دورة تاريخ إيران جـ ١ ص ٦٨ – ٦٩ تهران بدون سنة طبع.

(١٧٠) قبائل الماساجيت كانت تسكن بين بحر الخزر والآرال (تاريخ إيران حسنه پيرنيا جـ ١ ص ٧١).

(١٧١) تاريخ إيران: حسن پيرنيا: جـ ١ ص ٧١؛ الإيرانيون القدماء: ص ٢٠.

(١٧٢) راجع: سليم حسن: مصر القديمة جـ ١٣ ص. ط القاهرة؛ تاريخ إيران (سايكس): جـ ١ ص ٦٩؛ دورة تاريخ إيـران (پيرنيا) جـ ١ ص ٧٤؛ د. محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ط الإسكندرية سـنة ١٩٨٨ م؛ د. رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة جـ ٢ ص ٢٨٧ ط هيئة الآثار المصرية؛ الريرانيون القدماء: ص ٢٠.

(١٧٣) مصر القديمة (مرجع سابق): جـ ١٣ ص أ.

هذا هو التفسير التاريخي أو الاتجاه التاريخي في تفسير غزو "قمبيـز" لمصـر السـائد لـدى معظـم المؤرخين والذي وجده "شوقي" لكنه أعرض عنه لعدم مواءمته لفنه. واتجه إلى الاتجاه الآخر وهو:

الاتجاه الأسطوري : أو شبه الأسطوري الذي وجده عند "هيرودوت" والذي بيناه في المبحـث الأول والـذي أرجع فيه سبب الغزو إلى قصة خطبة قمبيز لابنة "أمازيس" فرعون مصر وخداع فرعون مصر له، وإرساله الأميرة "نتيتباس" ابنة سلفه الملك "ابرياس"... إلى آخر تلك القصـص الثلاث التي ذكرناها من قبل.

وإن كان "شوقي" قد وجد في إحدى هذه القصص بغيته الفنية، فهذا أمر لا ينكر عليه فهو كشاعر وكاتـب مسرحي له الحرية في اختيار ما يراه ملائما لعمله الفني وأفكاره وما يحمله رسالته ومعانيه، فقد أراد باختيار هذه القصة تمجيد تلك الأميرة المصرية وهو أمر يتوافق مع غرضه من كتابة هذه المسرحية. وهناك قلة من المشتغلين بالتاريخ قد تأثروا بهذه الرواية (مثل شوقي) وفسروا على أساسها بعض مظاهر معاملة المصريين لقمبيز، وتعامله بدوره معهم، ومنهم:

الكاتب الإيراني "علي شهبازي" صاحب كتاب "كورش بزرك" ويقول: طبقًا لما رواه هيرودوت فقد سـعى "أمازيس" إلى خطب ود إيران وكسب صداقتها، فبعث بأميرة مصرية حسناء هي الأميرة "نى تيتيس" وهـي ابنة سلفه "ابرياس" إلى بلاط الملك الهخامنشي الكبير، وأن ولده الأكبر "قمبيز" الذي تولى العرش من بعده هو ابنه من تلك الأميرة" [١٧٤].

وعلى أساس هذه الأسطورة أيضا يذكر د. نور الدين آل علي أن "قمبيز" لما فتح مصر شعر أنه جمع بين "فارس" موطن أبيه إلى "مصر" مسقط رأس أمه، ومن ثم فقد احترم العجل المقدس "أبيس" معبود المصـريين [١٧٥]، كما يذكر بعض المؤرخين المعاصرين [١٧٦] أن ملوك الفرس بقيادة قمبيز لما فتحـوا مصـر أعلنـوا أنفسهم فراعنة لمصر وأسسوا أسرة هي "الأسرة السابعة والعشرون" ويبدأ تاريخ هذه الأسرة عام ٥٢٥ ق. م أي في اللحظة التي تُوج فيها "قمبيز" ملك الفرس ملكًا على مصر. كما أن المصريين قد رفضـوا أن يعـدوا أنفسهم تحت سيطرة ملك أجنبي، فأعلنوا "قمبيز" ملكًا من اختيارهم، وتمسكوا بأن يتوجوه ملكًا للوجهين القبلي والبحري بالاسم الحوري والنبتي أي المنتمي إلى المعبودين "تخبت وواجيت" وابنًا لرع – وأنعموا عليه بكـل الألقاب المتوارثة والخاصة بالملوك المصريين، وسموه أيضا اسما مصريا – مسوت رع.

---

[١٧٤] نقلاً عن كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر: جمع وتقديم د. نور الدين آل علي: ص ى. القاهرة سـنة ١٩٧٥ م.

[١٧٥] المرجع نفسه: ص ى.

[١٧٦] تاريخ مصر القديمة (رمضان السيد): جـ ص ٢٨٧؛ مصر القديمة (سليم حسن): جـ ١٣ ص ١.

ثانيا: ملخص المسرحية (قمبيز) [١٧٧]:

قسم شوقي مسرحيته إلى ثلاثة فصول في:

الفصل الأول : منها تُعلن خطبة "قمبيز" لنفريت ابنة فرعون "أمازيس" لكن هذه الابنة المدللة تأبى المسير إلى فارس الأمر الذي يهدد بكارثة، إلا أن "نتيتاس" ابنة فرعون مصر المقتول "أبرياس" تتقدم من تلقاء نفسها طالبة من "أمازيس" أن يمنحها مكان نفريت، ويزفها إلى "قمبيز" باعتبارها ابنته لتدفع عن مصر شر العجم، فيرحب "أمازيس" بهذا الاقتراح. ويحتفل الوفد الفارسي والكهنة المصريون بهذه الخطبة. ومن خلال أحاديث زعماء الوفد يكشفون لنا أوجه إعجابهم بالحضارة المصرية، ونواحي النقص فيما يخص الجيش وقلة تسليحه مما يوحي بالمصيبة الوشيكة، ثم يدعى الوفد الفارسي إلى مائدة فرعون ويرون بعض مظاهر البذخ ويتعرفون على بعض العادات المصرية، وفي هذا الحفل يطلعنا "شوقي" على دافع آخر في نفس "نتيتاس" يدفعها للتضحية بنفسها، وهو حبها اليائس لتاسو حارس فرعون "أمازيس" ومعشوق ابنته "نفريت" وكان قبلاً حارسا لأبيها وحبيبا لها.

وفي الفصل الثاني : نرى "نتيتاس" في قصر "قمبيز" في مدينة "سوس" عاصمة فارس، وهي تجتر ذكريات حبها لتاسو، ثم تسمع صياحا في الخارج فتعرف أن "قمبيز" قتل أخاه "بردیا" وأخته أنوسه لشكه فيهما – وتسرد على جاريتها حلما يمهد للواقعة الكبرى ألا وهي الغزو الفارسي لمصر، وتشكف من خلاله عن شخصية "فانيس" القائد اليوناني الذي خان فرعون والتحق بخدمة "قمبيز" فكشف له أسرار مصر، وطرق الوصول إليها والسر المتعلق بنتيتاس أيضا، ويثور قمبيز ويواجه "نتيتاس" بحقيقتها ويواجهها بفانيس فتثور عليهما معا، وتكيل لهما الاتهامات والسباب فينفعل "قمبيز" ويهدد بغزو مصر عندها فقط تثوب "نتيتاس" لرشدها وتهدأ محاولة إثناءه عن غزو مصر بالوعيد تارة وبالتخويف من الطريق وأخطاره تارة، وبالرجاء أخرى، لكن "قمبيز" يبدو مصمما بل وقد أعد العدة بالفعل للقيام بهذا الغزو فيستدعي قواده ليخبروها بالأحوال المتردية لجيش مصر، ويعرفوها بما أعدوه لهذا الغزو، وهنا يأتي رسول معلنًا موت "أمازيس" وتولي ابنه "أبسماتيك" مكانه فيصبح الغزو حقيقة واقعة.

---

[١٧٧] راجع: أحمد شوقي: الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٣٩ – ص ٤٤٧ ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ م.

وفي الفصل الثالث : تنتحر الأميرة "نفريت" في النيل، ويبين ما أصاب مصر والمصريين من فظائع على يد جنود "قمبيز" من تقتيل للمصريين، ونهب لضياعهم وانتهاك لحرماتهم، ثم يـأتي "قمبيـز" الذي يعفو عن بعض الأسرى النوبيين، وتأتيه أنباء عن تآمر "أبسماتيك" عليه وتحضـيره للثورة ضده، ويحمل إليه الفرعون مكبلاً، ويدور بينهما حـوار يكشـف عـن شـجاعة "أبسماتيك" ورفضه الذل فيأمر "قمبيز" بقتله. ويساق إليه "تاسو" لاشتراكه في الثورة ضده فيأمر بقتله أيضا، وتعلن "نتيتاس" المضي إلى طيبة للانضمام للمقاومة. وتزداد نوبة جنون "قمبيز" شيئًا فشيئًا فيطعن "فانيس" بخنجره ثم يقتل أحد قواده دون ذنب، ثم يأمر بإحضـار العجل "أبيس" معبود المصريين ويطعنه بخنجره، ويصل جنونه إلى ذروته عندما تتراقص أمامه أشباح موتاه طالبة منه أن يردها للحياة مرة أخرى، فيطعن نفسه بخنجره ويمـوت، وتنتهي المسرحية على منظر شبان الكهنة وهم يتغنون لأبيس.

هذا هو ملخص لقصة "قمبيز" وغزوه لمصر كما جاءت عند أحمد شوقي في مسرحيته، وواضح منهـا أن "شوقي" قد استقى كثيرا من حوادث المسرحية من تاريخ "هيرودوت" بل قد استعان "شوقي" بهـذا المصـدر أيضا في رسم صورة بعض شخصيات المسرحية، ودليلنا على ذلك أن هناك أحداثًا وأخبارا كثيرة قد التقيـا فيها بشكل واضح سوف نحاول رصدها في هذه الدراسة، ولكن إلى أي مدى اعتمد شوقي على "هيرودوت"؟ بمعنى: هل اعتمد عليه اعتماد من يستعبده النص الموجود أمامه؟ أم اعتماد المتحرر الذي قد يجري بعـض التعديلات التي توافق غايته؟ أو يلجأ إلى مؤلفات تاريخية أخرى يبحث عن بغيته؟. هذا ما يتضح لنـا مـن خلال المبحث الآتي عن التاريخ والأسطورة في مسرحية شوقي.

ثالثًا: مسرحية شوقي بين التاريخ والأسطورة:

أولاً: بالنسبة للحدث الرئيسي الذي يبني "شوقي" عليه مسرحيته يبدو جليا تـأثره بالقصـة التـي ذكرهـا "هيرودوت" عن سبب غزو "قمبيز" لمصر والتي سبق أن ذكرناها من قبل والتي يذكر فيها أن "قمبيز" غـزا مصر لرغبته في الزواج من ابنة "أمازيس" الذي ضن عليه بها لعلمه أنه يريدها مجرد محظية لـه فخدعـه وأرسل إليه ابنة سلفه "ابرياس" الأميرة "نتيتاس" فجملها بالذهب والثياب الفاخرة وأرسلها إلى "قمبيز" كما لـو كانت ابنته وأن "قمبيز" ناداها ذات يوم باسم أبيها، فقالت له: إن "أمازيس" خدعك وأرسلني إليـك باعتبـاري ابنته، وأنا في الحقيقة ابنة سلفه "ابرياس" الذي كان مليكه وسيده فثار عليه هو وباقي المصريين وقتلوه، ولما سمع "قمبيز" هذا الكلام ثار وأخذ جيشه من فوره لغزو مصر.

هذه هي القصة التي جاءت عند "هيرودوت" والتي أعرض عنها كثير من المؤرخين لسلكها فـي إطـار الأساطير – كما بينا من قبل – فذكروا أسبابا اقتصادية وسياسية وعسكرية أدت إلى غزو "قمبيـز" لمصـر، لكن أحمد شوقي، وجد بغيته في هذه القصة، ورآها أكثر موافقة لهواه فتأثر بها وجعلها أساسـا لمسـرحيته. ولكن أي نوع من التأثر ذلك الذي اعتنقه هنا "أحمد شوقي"؟

إنه ذلك التأثر المسمى بالتأثر السلبي، أي أن "شوقي" حاول أن يقاوم أو ينفي ما ذكره "هيرودوت" الذي جعل الأميرة المصرية "نتيتاس" هي التي تشي بخدعة ملك مصر "أمازيس" لقمبيز، فتستعديه على وطنها انتقاما لمقتل أبيها، أما "شوقي" فقد نسب هذا الغدر للقائد اليوناني المرتزق "فانيس" الذي هرب من سيده "أمازيس" والتحق بخدمة "قمبيز" أما الأميرة المصرية "نتيتاس" فقد صورها مثالاً للتضحية والفداء، وجعلها هي التي تتقدم من تلقاء نفسها طالبة من الفرعون أن يهب لها مكان ابنته "نفريت" التي ترفض خطبة "قمبيز" وتأبى المسير إلى "فارس" وذلك لرغبتها في حماية وطنها من خطر الغزو الفارسي، يتضح ذلك من حوارها التالي مع فرعون "أمازيس" (178).

نتيتاس : جئت أفدي وطني من سيف قمبيز وناره
جئت أفدي وطني من دنس الفتح وعاره

فرعون : ماذا تقولين؟ فيم جئت؟ قمبيز؟ الفتح؟ مصر؟ فارس؟

نتيتاس : نفريتُ تأبى المسير هبْ لي مكانها منك يا أمازيس

واضح أن "شوقي" أراد بهذا التعبير أن يدافع عن الأميرة المصرية "نتيتاس" كما سبق أن دافع عن "كليوباترا" من قبل باعتبارها مصرية، خاصة وأن قصة "هيرودوت" التي اقتنع بها تجعل "نتيتاس" هي المسئولة مباشرة عن هذا الغزو الأجنبي لمصر.

فإذا انتقلنا لباقي الأحداث التي ذكرها "شوقي" في مسرحيته لنوضح ما أخذه "شوقي" من "هيرودوت" وما غير فيه، ومدى صلة هذا التغيير بالتاريخ قربا وبعدا فإننا نبدأ بالحديث عن:

مقتل برديا:

من الأحداث المهمة التي ارتكبها "قمبيز" وكان لها أثر كبير على بلاده وعليه هو شخصيا، حادثة قتله لأخيه "برديا" الذي يسميه اليونانيون "سميرديس" وهناك أيضا حادثة قتله لأخته وزوجه "روشنك" يذكر "شوقي" هذه الحادثة على النحو التالي (179):

تسمع نتيتاس وهي في قصرها بمدينة السوس صوت صياح واستغاثة:

يقول المستغيث: العفو يا كسرى الصفح يا سلطان
أخوك والنار ومجدها ما خانْ

---

(178) الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٧١.

(179) المسرحيات: ص ٣٩٣.

فتستدعي الملكة أحد الحراس وتسأله [١٨٠]:

الملكة : من يقتلون اليوم في الساحة.

الحارس: أخـــتُ المــلِكِ أنوســـيا

الملكة : أخــــــت المـــــــك؟

الحارس: أجـــــــل هيـــــــا أُتهمـــــت ببرديـــــا

نتى : مـــــن برديــــــا؟

الملكة : أخــــــو المــــــك! يقطع في الساحة رأس برديـا

يفهم من هذا أن "شوقي" ذكر أن "قمبيز" قتل أخاه "برديا" قبل غزوه لمصر كما قتل معه - في نفس الوقت - أخته وزوجه "أنوسه" لاتهامها فيها، وأن هذا حدث علانية في ساحة القصر في مدينة السوس.

وقد أخذ "شوقي" فحوى القصة من كلام "هيرودوت" لكنه خالفه في الزمان والمكان والطريقة. فقـد ذكـر "هيرودوت" أن "قمبيز" الذي لم يكن متزن العقل أصيب بالجنون بعد قتله أبيس، وأن أولى نوبات جنونه أنـه قتل شقيقه "سميرديس" (برديا) إذ أنه شعر تجاهه بالحسد لمقدرته على شد وتر القوس التي كان ملك الحبشـة قد أرسلها إليه، فأمره بالعودة من مصر إلى فارس. وبعد أن رحل رأى "قمبيز" حلما أن رسولاً جـاءه مـن فارس وأخبره بجلوس "سميرديس" على عرش المملكة، فخاف على نفسه وأرسل بريكساسبيس الذي كان يثق فيه وأمره أن يقطع رأس سميرديس، وقد نفذ بريكساسبيس هذا. ويقال أنه قتله وهما يصيدان معا، ويقال إنـه أغرقه في الخليج الفارسي [١٨١].

هذا هو ملخص رواية "هيرودوت" عن مقتل "سميرديس" (برديا) ويفهم منها أن "برديـا" كـان مصـاحبا لقمبيز أثناء غزو مصر ثم عاد إلى فارس حيث تعقبه من قتله سرا.

أما المصادر التاريخية الأخرى ومنها نقش "بيستون" الذي سجل داريوش بنفسه هذه الأحداث عليه فتـذكر أن "قمبيز" قتل أخاه "برديا" قبل أن يقوم بحملته على مصر [١٨٢] لأنه خشي أن يمضي إليهـا ويتـرك أخـاه المحبوب من الشعب حرا في ولاياته الشرقية التي كان يتولاها في تلك المملكة الواسعة، فأمر بقتله سرا[١٨٣].

---

[١٨٠] المصدر السابق: ص ٣٩٥.

[١٨١] هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة) ص ١٢٥.

[١٨٢] دورة تاريخ إيران: حسن پيرنيا: جـ ١ ص ٧٦.

[١٨٣] راجع: تاريخ إيران سيرپرس سايكس: ص ٢٠٣؛ حسن پيرنيا جـ ١ ص ٧٦؛ الإيرانيون القدماء: ص ٢٠.

وقد أخذ شوقي بهذه الرواية فجعل مقتل "بردیا" قبل غزو قمبيز لمصر – كما أخـذ بالتسـمية الفارسـية لـ"بردیا" ولم يأخذ بالتسمية اليونانية "سميرديس". أما عن سبب هذا القتل فقد تأثر فيه بفحوى رواية ذكرهـا "هيرودوت" وهو اتهام "روشنك ببرديا" يقول هيرودوت: إن قمبيز قتل "روشنك" في مصر لأنها بكت عنـدما رأت كلبا يقطع سلسلته ويجري ليساعد "جروا" في صراعه مع شبل أسد فلما سألها "قمبيز" عما يبكيها، أجابته بأنها تذكرت "سميرديس" الذي لم يكن له من يساعده، فقتلها بسبب هذا الكلام [١٨٤]. كمـا تـذكر المراجـع التاريخية المختلفة أن "قمبيز" قتل أخته "روشنك" في مصر لما استبد به الجنون [١٨٥].

وبهذا يكون "شوقي" قد أخذ بفحوى ما جاء عند "هيرودوت" من اتهام أخت "قمبيز" وزوجته بأخيه "برديـا" لكنه غير في مكان مقتلها فجعله في السوس عاصمة فارس، كما جعل المقتولة "أنوسة" بدلاً مـن "روشـنك" مخالفًا ما جاء عند "هيرودوت" وعند غيره من المؤرخين الذين يذكرون أن "أنوسه" ظلت على قيـد الحيـاة وأنها بعد وفاة "قمبيز" تزوجت من "برديا" المجوسي الذي ادعى الملك، كما تزوجت "داريوش" من بعده[١٨٦].

مقتل أمازيس:

ومن الأحداث التي ذكرها "شوقي" أيضا خبر مقتل "أمازيس" وتولى ابنه "أبسماتيك" العرش بعده قبل الغزو الفارسي لمصر، وهذا ما ذكره "هيرودوت" وأجمعت عليه باقي المصادر التاريخية، لكن "شـوقي" يخـالفهم جميعا بأن يجعل نبأ وفاة "أمازيس" يصل إلى "قمبيز" وهو ما زال في السوس. أما "هيـرودوت" فيقـول إن "قمبيز" عندما ذهب إلى مصر لم يجد "أمازيس" على قيد الحياة، لقد مات بعـد أن حكـم أربعـا وأربعـين سنة[١٨٧]" وهذا الرأي تذكره المراجع التاريخية الأخرى.

كما يذكر "شوقي" أن مصير "أبسماتيك" هذا كان القتل بأمر "قمبيز" بعد أن ثار عليه فأمر بقتله ثم عفا عنه بعد أن يستشفع له أحد وزراء الفرس، لكن "أبسماتيك" يجيبه بقوله[١٨٨].

لا مرحبا أمس ولا اليوم بعفو الطاغية.

فيرد عليه قمبيز: سنرى هلموا يا جنود أسيركم

عودوا به من حيثُ جئـتم عـودوا

أما "هيرودوت" فيسكت عن مصير هذا الملك ولا يخبرنا به، وتختلف كتب التاريخ في مصيره أيضا فمن قائل: إن "قمبيز" قتله بعد أن ثار عليه [١٨٩]، ومن قائل: إنه ظل على قيد الحياة وإن "قمبيز" اكتفى بنفيه إلـى "شوش" [١٩٠].

---

[١٨٤] هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة) ص ١١٧.

[١٨٥] تاريخ إيران (حسن پيرنيا) جـ ص ٧٥؛ الإيرانيون القدماء: ص ٢١.

[١٨٦] هيرودوت: ص ١١٧؛ دورة تاريخ إيران: جـ ١ ص ٧٧.

[١٨٧] هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة): ص ١١٥؛ تاريخ إيران (سايكس): جـ ١ ص ٣٠٤؛ دورة تاريخ إيران (پيرنيا): جـ ص ٧٤.

[١٨٨] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٣٠.

مقتل العجل "أبيس":

من الحوادث المهمة التي أثارت جدلاً كبيرا بين المؤرخين، والأثريين من قدامى ومحدثين مقتـل العجـل "أبيس" معبود المصريين في ذلك الوقت على يدي "قمبيز" وقد ذكر "شوقي" هذه القصة على النحو التالي: أن "قمبيز" في إحدى ثورات جنونه أخذ يصيح [١٩١].

قمبيز : أأبـــيس معبـــودهم أيـــن هـــو؟

(يؤتي بالعجل فيثور لرؤيته جنون قمبيز)

قمبيز : والآن مـــــاذا رأيـــــتم ومـــــا الـــذي تفتونـــا
ومـــا الـــذي نحـــن بالعجـــل يـــــا تُـــرى صـــانعونا

قائد : نصـــب كســـرى عليـــه مـــن الـــبلاء فنونـــا

آخر : علّقـــه بـــين الأرض والســـماء واتركـــه للغربـــان والحـــداء

وزير : أحرقـــه يـــا مـــولاي بالنـــار.

قمبيز : اخْســـأْ فهـــذا أعظـــم العـــار
ماذا يقـــول النـــاس عنـــا غـــدا ألقـــوا إلـــى النيـــران بالفـــار
قـــد دنّســـوها وهـــي معبـــودهم مـــن جثـــة العجـــل بأقـــذار

(ويظهر الغضب على قمبيز)

يقول آخر: يا ســيد الأرض أبشــر رأي الـــوزير أصـــابا
غدا يقولـــون بمنفـــيس تغـــدت النـــار بـــأبيس

قمبيز : أجل يقالُ فـــي الأخبـــار العجلُ قد بات طعام النار

(ثم يقبل على أبيس ويخاطبه)

إله النيـــل لِـــم تغضـــب لـــــم تكســـــر جفنيكـــــا
تأمـــلْ شـــبح المـــوتِ ألـــــم يبـــــد لعينيكـــــا
وهذا خنجـــري الماضـــي فخـــــذه بـــــين قرنيكـــــا

(ويطعنه ثم يتراجع خطوة)

---

(١٨٩) مصر والشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ٦٧١.

(١٩٠) تاريخ إيران (بيرنيا): جـ ١ ص ٧٤.

(١٩١) الأعمال الكاملة: ص ٤٣٧ – ٤٤٠.

ويفهم من هذا أن هذه الطعنة قد أودت بحياة "آبيس" فيقف أحد وزراء الفرس خاطبا فـي المصـريين قائلاً[١٩٢]:

إن كسرى تغفر النار له كان في مصرع أبيس السـبب

هذه هي القصة كما رواها "شوقي" في مسرحيته، أما "هيرودوت" فيذكر أن "قمبيز" عندما عاد من حملتـه الفاشلة على الحبشة وجد المصريين وقد أقاموا الولائم والأفراح مبتهجين لظهور معبود جديد لهم "أبو فوس" فاعتقد أنهم يحتفلون بفشله الذريع، فسأل الموظفين في القصر عن سر هذه الاحتفـالات فأجـابوه بالإجابـة السابقة إلا أنه لم يصدقهم، وحكم عليهم بالإعدام، ثم أستدعي الكهنة فسمع منهم نفـس الجـواب فـأمرهم أن يحضروا "أبيس" إليه فلما أحضروه استل جنجره وسدده نحو بطن العجل إلا أنه أخطأ الهدف فأصـابه فـي فخذه، ثم ضحك وقال للكهنة: "أيها الأغبياء أتظنون الآلهة تكون على هذه الصورة مـن لحـم ودم، وتتـأثر بالأسلحة المصنوعة من الصلب" ويضيف "هيرودوت" أن أبيس ظل راقدا في المعبد إلى أن مات بسبب ذلـك الجرح، فدفنه الكهنة سرا دون علم "قمبيز" [١٩٣].

يبدو أن رواية "هيرودوت" هذه هي الرواية التي أخذ بها شوقي في مسرحيته بعد أن غير في التفاصيل – كما رأينا. وهذه الرواية نفسها محل خلاف بين المؤرخين القدامى والمحدثين وعلماء الآثار أيضا، فمنهم من أخذ برأي "هيرودوت" وحاول أن يثبته بالأدلة والبراهين، مثل الأثري "فيـدمان" الـذي يقـول عنـه سـليم حسن[١٩٤] : إنه يعتقد أن العجل أبيس الذي دفن في السنة السادسة من عهد "قمبيز" كان الملك قد قتله بنفسه، كما حاول أن يبرهن على أنه دفن خفية وفقًا لما ذكره "هيرودوت". ويرى سليم حسـن [١٩٥] أن المحـاولات التي عملت للتوفيق بين ما جاء في النقوش الهيروغليفية وبين ما جاء في قصة هيرودوت، وما نقله بعـض علماء الآثار لم تقدم نتائج مرضِية يرتاح إليها النقد العلمي. ويضيف إلى هذا أن النقـوش المكتشـفة حـديثًا توضح أن التحنيط والنقوش الخاصة بالعجل "أبيس" هذا قد عملت رسميا، وأن تابوت هذا العجل قد أهدى إليه من "قمبيز"، كما يضيف أن وجود التابوت المصنوع من الجرانيت، وحجمه الضخم يجعل النظرية القائلة بأن "أبيس" هذا قد دفن خفية قابلة للشك. ويسوق حسن بيرنيا الأدلة على كذب رواية "هيرودوت" عن قتل "قمبيز" لأبيس فيقول: إنه من الثابت أن هذا العجل قد مات في بداية حملة قمبيز على الحبشة وليس بعد رجوعه منها (كما يذكر هيرودوت) كما يقول: إن الآثار الباقية من هذا العصر تصور قمبيز راكعا على قدميه أمام العجل المقدس سنة ٥٢٣ ق. م[١٩٦]. وهذا يدل على احترامه لآلهة المصريين.

---

[١٩٢] الأعمال الكاملة: ص ٤٤٧.

[١٩٣] هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة) ص ١٢٤ – ١٢٥.

[١٩٤] مصر القديمة: جـ ١٣ ص ٨٥.

[١٩٥] مصر القديمة: جـ ١٣ ص ٨٦.

[١٩٦] تاريخ إيران (بيرنيا) جـ ١ ص ٧٥.

انتحار قمبيز:

من الأحداث المهمة في هذه القصة حادث مقتل "قمبيز" فقد كان هو أيضا مثارا للخلاف بين المؤرخين، أما "شوقي" فيصور هذا الخبر على النحو التالي: بعد أن يطعن "قمبيز" أبيس يتراجع خطوة ويقول [١٩٧]:

قمبيز : إلهـي مـا تـرى عينـي خيـــالاتٌ وأشـــباح
وقتلى قـد غـدوا حـولي وقتلـى غيـرهم راحـوا
وجرْحـى جـذبوا ثـوْبي وجرْحى غيـرهم صـاحوا

وتستمر نوبته الجنونية في ازدياد فيخاطب أشباح قتلاه:

قمبيز : ماذا بيـا؟ مـاذا بيـا هـذا شـقيقي برديـا
هـذا شـقيقي برديـا وخنجري فـي صـدره
جئت أخي تجزي أخـا ك عـن قبـيح غـدره

ويأخذ في الهذيان فيخاطب أنوسه ثم شبح "نتيتاس"، ثم يقول لنفسه:

طاب ورد الحمام يا نفـس هيـا خنجـري خِنجـري إلـي إليـا

(ويطعن نفسه بالخنجر ويقع) [١٩٨].

وهكذا يجعل شوقي "قمبيز" ينتحر في مصر، وهو بهذا يخالف "هيرودوت" بالنسبة لمكان وقوع الحـادث وبالنسبة للانتحار أيضا. فهيرودوت قد ذكر أن "قمبيز" قتل نفسه خطأ في (إجباتانا) بسوريا. وأن هـذا قـد حدث عندما قفز بسرعة إلى ظهر جواده معتزما السير بجيشه إلـى "السـوس" عاصـمة ملكـه لمحاربـة "سميرديس" المجوسي الكذاب الذي ظهر هناك وأخذ يدعو لنفسه على أنه أخو قمبيز ويضيف "هيرودوت" أنه بينما كان "قمبيز" يقفز سقط رباط غمد سيفه فدخلت سن السيف العارية في فخذه، وجرحته في نفس الموضع الذي جرح فيه الإله المصري "أبيس" وعندما تعفن العظم وسرت الغنغرينا فـي الفخـذ مـات قمبيـز بـن قوروش[١٩٩].

---

[١٩٧] الأعمال الكاملة: ص ٤٤٠.

[١٩٨] الأعمال الكاملة: ص ٤٤٥.

[١٩٩] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١٣٥ – ١٣٦.

وإذا كان (شوقي) قد خالف "هيرودوت" بالنسبة لحادث مقتل "قمبيز" من جميع الوجوه فإنه قد وافـق رأي بعض المؤرخين الآخرين بالنسبة لانتحار "قمبيز"؛ ففي نقش بيستون سجل داريوش بنفسـه أن "قمبيـز" قـد انتحر[٢٠٠]. ويذكر سيريرس سايكس هذا أيضا قائلاً إن قمبيز غادر مصر سنة ٥٢١ ق. م وعندما كان يعبر سوريا وصله خبر قيام أحد المجوس بثورة ضده، وأنه استغل الشبه التام بينه وبين أخيه "برديا" فادعى أنـه هو فأسرع للقضاء عليه. وفي الطريق سيطر عليه اليأس فقتل نفسه [٢٠١]. وهكذا نجـد "شـوقي" قـد أخـذ بالرواية الفارسية الخاصة بانتحار قمبيز، وإن كان قد خالف جميع الروايات بالنسبة لمكـان الحـدث فجعـل نهايته تأتي في مصر في أعقاب قتله لأبيس. وربما أراد شوقي بهذا التغيير أن يعجل بنهاية الغازي المعتدي على مصر وعلى مقدساتها وأن انتحاره كان نتيجة لقتله أبيس.

الطريق إلى مصر:

من الثابت تاريخيا أن "قمبيز" غزا مصر عن طريق صحراء سيناء ولم يعبر البحـر ليفـاجئ فرعـون مصر. وقد ذكر "شوقي" في مسرحيته ما يوافق هذه الرواية، يتضح هذا من الحوار التـالي بـين "قمبيـز" و"نتيتاس" و"فانيس". تقول "نتيتاس" محاولة إثناء "قمبيز" عن فكرة غزو مصر، محذرةً إياه ممـا سـوف يلاقيه في الطريق إليها [٢٠٢]:

الملك : مـــاذا دون مصــــر؟

الملكة : يجوب الجيشُ صحراء يبابـا

ترى تيها تجر الخيـل فيـه قوائمها وتنسـحب انسـحابا
ترى جلد الجمال عليه يفنى وتحسبها من اللهيـبِ الكلابـا

الملك:

لا تُراعي فما على الجـيش بـأس كل شـيءٍ علـى الحـدودِ تهيـا
قد وجدنا الجرار في مصـر والمـا ء ولـم نعـدِم الرجـال السـقيا
وقد اشترينا الخفير بالمـال والحـا رس والحـامي الأمـين القويـا

الملكة لـ(فانيس):

كل هذا فعلته أنت يا نذل

فانيس: أجلْ مـا أتيـتُ أمـرا فريّـا

---

[٢٠٠] تاريخ إيران (بيرنيا): جـ ١ ص ٧٦.

[٢٠١] تاريخ إيران (سايكس): جـ ١ ص ٣٠٥.

[٢٠٢] راجع: الأعمال الكاملة: ص ٤١٣.

لم يخرج "شوقي" عن مضمون ما أورده "هيرودوت" بخصوص غزو مصر عن طريق الصحراء وشراء ذمم الأعراب في الصحراء لتهيئةِ الماء لجيش "قمبيز" وتهادنهم معه، ودور فانيس في كل ذلـك. فقـد ذكـر "هيرودوت" أن فانيس لما وصل إلى "قمبيز" لم يخبره بأسرار أمازيس، فحسب بل أمده بمعلومات عن كيفيـة عبور الصحراء، وأشار عليه أن يوفد سفيرا من قِبله إلى ملك العرب ويطلب منه أن يسلك حياله مسلكًا وديا وهو يعبر المنطقة، ويذكر "هيرودوت" أيضا أن ملك العرب قام من فوره بصنع عدد من القرب مـن جلـود بعض الإبل، وملأها بالماء ثم حمل هذه القرب على ظهور الإبل الحية الباقية. وقادها إلى الصحراء، وبقـي هناك ينتظر مجيء جيش قمبيز [٢٠٣].

ومن هذا يتضح أن "شوقي" قد تأثر بمضمون هذه القصة دون الدخول في تفاصيلها، فتحـدث عـن دور فانيس وإعداد الماء لعبور الصحراء.

أعمال الفرس في مصر:

الأعمال التي ارتكبها الفرس في مصر محل خلاف أيضا بين المؤرخين: فمن قائل إن "قمبيـز" أحسـن معاملة المصريين وعمل على التقرب إليهم [٢٠٤]، ومن قائل إنه أساء إليهم وارتكب الفظـائع فـي حقهـم وعلى رأس هذا الفريق يأتي "هيرودوت" الذي يقول إن القضاة الملكيين أصدروا حكما يقضي بـأن يمـوت عشرة من أنبل المصريين في مقابل كل رجل ميتليني قتل على ظهر السفينة التي أرسلها قمبيز للمصريين. ومن بين النبلاء الذين قتلوا تنفيذًا لهذا الحكم ابن "بسماتيك" نفسه، ومن أعمال "قمبيز" السيئة التي يذكرها "هيرودوت" تعريضه "بسماتيك" والنبلاء المصريين للإهانة، ومنها إهانته لجثة الملـك الراحـل "أمـازيس" وإحراقها [٢٠٥]. وفتحه الأضرحة وفحص جثث الموتى ومنها قتل "أبيس" وقتل الموظفين بالقصر، وغيـر ذلك من الأعمال التي يحدثنا عنها "هيرودوت"، والتي يبدو أن "أحمد شوقي" تأثر بمضمونها فأشار إليها في الحوار التالي بين بعض المصريين [٢٠٦]:

أحد الرجال (لزميل له):

تعـــال يـــا (باطـــا)　　قـــل لـــي بـــالله
كيـــف تـــرى الحكمـــا　　كيـــف تـــرى الظلمـــا

باطا:

قمبيـــز فـــي الظلـــم　　بـــــألف فرعـــــون

---

[٢٠٣] هيرودوت (سلامة): ص ١١٤ – ١١٥.

[٢٠٤] راجع: تاريخ إيران (بيرنيا) جـ ١ ص ٧٦، الإيرانيون القدماء: ص ٢٠، مصر القديمة (سليم حسن) جـ ١٣ ص ٧٧، تاريخ مصر القديمة (رمضان السيد) جـ ٢ ص ٢٨٨.

[٢٠٥] هيرودوت (سلامة): ص ١١٧.

[٢٠٦] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٤٣.

(ثم لـ هجار):

وأنـــت يـــا هجـــارْ	**مـــــاذا تقولينـــــا**
أمـــون ذو المـــنن	**يبقـــي الفراعينـــا**
الفـــرس فـــي مصـــر	**طغيـــانهم قـــد زاد**

وفي حوار آخر يذكر بعض أعمال السلب والنهب عندما يسأل أحدهم عن ضيعته فيجيب (٢٠٧):

أوزي كلـــه طـــاح	**وبطـــي كلّـــه طـــارا**
وأختـــي خُطِفـــت منـــي	**وزوجـــي جلالـــتْ عـــارا**

أحد الجماعة:

خذوا حذركم أقبل الطاغية	**مع الوزراء وفي الحاشية**
وذا السيفُ في يد جـلاده	**تُسلُّ على الأرؤس العالية**

هذه هي المواضع التي أشار فيها شوقي إلى أعمال السلب والنهب وطغيان الفرس في البلاد، والتي يبـدو فيها متأثرا برأي "هيرودوت" وهناك بعض المشتغلين بدراسة التاريخ ينقضون رأي هيرودوت هذا ويذكرون أن "قمبيز" أحسن معاملة المصريين واحترم الديانة المصرية، ويستند في هذا إلى رأي "وجاجر رسنت" قائـد البحرية المصرية الذي عهد إليه "قمبيز" بأمور البلاد وإصلاح أحوال الناس والبلاد (٢٠٨). وهناك أيضـا رأي آخر يحاول أصحابه التوفيق بين الرأيين فيقولون إنه من الجائز أن "قمبيز" بعد أن تحقق له غزو مصر حاول الحد من أعمال السلب والنهب التي اتبعها الجيش الفارسي والتي قاست منها البلاد (٢٠٩)، ويضيف سليم حسن إلى هذا أنه من الجائز أن قمبيز قام ببعض الأعمال الحسنة بالنسبة للمصريين مثل اتخاذه ألقابـا فرعونيـة، وكبح جماح جنوده لمنعهم من التعدي على المصريين، ثم أصلح ولو جزئيا من الأضرار التي نجمـت عـن الغزو، وأعاد إلى مدينة سايس خدامها ودخلها المقدس، كما ذهب بنفسه إليها ليسجد أمام الآلهة "نيت" ويقـوم بنفسه بتقديم قربان عظيم لآلهة المدينة – كما يقول المتحدث المصري (٢١٠) – ويعلق د. سليم حسن على هذا بقوله إنه (قمبيز) ربما فعل كل هذا لأن "وجاجر رسنت" هذا قد أفهمه أن أعماله الأولى خاطئة، فعمـل بعـد ذلك على إرضاء الشعب المقهور والتودد إليه ولو في الظاهر. ويقول أيضا إنه من المحتمل أن ما نسب إلى "قمبيز" من أعمال العنف في الحرب وما أتاه جنوده من سلب ونهب هو أصل ما ينسب إليه من تخريب ومن سلب ونهب للمعابد المصرية (٢١١).

---

(٢٠٧) الأعمال الكاملة: ص ٤٤٥.

(٢٠٨) مصر والشرق الأدنى: د. محمود بيومي مهران جـ ٣ ص ٦٦٩.

(٢٠٩) تاريخ مصر القديمة: جـ ٢ ص ٢٨٨.

(٢١٠) مصر القديمة: جـ ١٣ ص ٧٦ – ٧٨.

(٢١١) مصر القديمة: جـ ١٣ ص ٧٨.

فإذا تركنا الأحداث بعد أن بينا موقف "شوقي" من التاريخ والأساطير فيها، ننتقل إلى الشخصيات لنعـرف كيف رسمها "شوقي" وهل التزم بالحقائق التاريخية في تصويره لهذه الشخصيات؟ أم هل أضاف إليهـا مـن عنده بعض الإضافات؟ وما المعاني التي أراد أن يبثها بهذه التغييرات؟

الشخصيات:

ما من شك أن لطريقة المؤلف في تصوير شخصياته والأهمية التي يضيفها على كـل شخصـية قيمـة كبيرة في إدراك غايته من عمله وبالنسبة لشخصيات مسرحية "قمبيز" فمن السهل أن نلاحظ أن الشخصيات تنقسم عند شوقي إلى مجموعتين:

مجموعة الشخصيات التاريخية مثل: نتيتاس، قمبيز، أمازيس، بسماتيك، فـانيس، ونفريـت. ومجموعـة الشخصيات غير التاريخية وهي الشخصيات التي اخترعها المؤلف من ذهنه ليكمل بها الأحـداث أو يحملهـا بعض الآراء والمعتقدات ومن هذه الشخصيات: شخصية تاسو حارس فرعون. وتتي وصيفة نتيتاس – رجال الوفد الفارسي رجال البلاط الفرعوني – قواد – جند من الفرس – أقزام – حجاب قـدم مـن المصـريين. ويلاحظ أن "شوقي" حملَ شخوص هذه المجموعة سمات الأمتين الفارسية والمصرية.

نتيتاس:

وتُعد البطلة الحقيقية لمسرحية "قمبيز" وقد انطلق "شوقي" مصورا شخصيتها من موقـف محـدد يتعـدى الدفاع عنها وتبرئتها مما نسبه إليها "هيرودوت" إلى جعلها رمزا للتضحية والفداء في سبيل الوطن، وقيمة من قيم البطولة المصرية، ويبدو أن "شوقي" – كما يذكر د. سعد ظلام – كان يبحث عن شخصية مصرية تماثل شخصية "جان دارك" التي قرأ عنها في الأدب الفرنسي [٢١٢]. وأن هذا كان سببا في الإضافات والإيحـاءات التي أضفاها على شخصية "نتيتاس" فيما أرى.

أما عن صفاتها الجسدية فهي جميلة فتنت فارس وملكها بهذا لجمال [٢١٣]:

إن كســرى وقومــه كلهم في الهـوى سـواء

فالجمال صفة لازمة لها، كما يذكر "هيرودوت" أنها فارعة الطول، على قدر وافر من الفتنة والجمال[٢١٤]، وقد ذكر شوقي هذا أيضا لكنه لم يركز كثيرا على هذه الصفة فهناك صفات أخرى يريـد إبرازهـا. فهـي شجاعة تضحي بنفسها فداء لوطنها [٢١٥].

نتيتاس: جئت أفدي وطني مـن سـيف قمبيـز ونـاره
جئـت أفـدي وطنـي مـن دنـس الفـتح وعـاره

---

[٢١٢] د. سعد ظلام: المسرح الشعري بين شوقي وأباظة: ص ٤٥ ط القاهرة سنة ١٩٨٨ م.

[٢١٣] الأعمال الكاملة: ص ٤٠٠.

[٢١٤] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١١٣.

[٢١٥] الأعمال الكاملة: ص ٣٥٧.

تتعالى على الآلام والجراح، فهذه الفتاة لها ثأر مزدوج عند هذا الحاكم وابنته، فهذا الحاكم كما هو ثابت تاريخيا قتل أباها "ابرياس" وأخذ مكانه، وابنته – كما يتخيل "شوقي" – سلبتها "تاسو" حبيبها، ومع كل هذا تتعالى على الآلام، ولا يبقى في نفسها إلا شعور واحد مسيطر عليها وهو حـب الـوطن، ورغبتهـا فـي حمايته، والتضحية في سبيله بكل غالٍ ونفيس تقول لنفريت [٢١٦]:

ومالي لا أعطي الحياة إذا دعـتْ بلادي، حيـاتي للـبلاد ومـالي

و شعورها الوطني هو الذي يمنعها من مبادلة "قمبيز" العواطف رغم اعترافها لتتا أنه "زين الشباب" لكنها تقول [٢١٧].

ولكن متى يـا تتـا دلّهـت بنـــاتُ الفـــراعين بالأجنـــبِ
وما نلتقي في جلال الجـدود ولا فـــي العقيـــدة والمـــذهبِ

وهي – كما صورها شوقي – مصرية عارفة بحقوق وطنها، لا ترغب في استعداء الأجانب على بلـدها لتصفية خلافات ولا رغبة في الثأر لأبيها، يتضح ذلك من الحوار التالي [٢١٨]:

فانيس: ولكن ألم يخلع أبـاك أمـازيس
ويفتك بـه فـي ثـورةٍ وقتـال
ويجلس على كرسي مصر مكانه
ويخلفه فـي جـاهٍ أفـاد ومـال
نتيتاس: أجل قدْ خُلعنا ملكنـا وتصـرفت
بنا سوقة مـن جنـدنا ومـوالي
فانيس: إذن فدعي قمبيز يثـأر لزوجـه
ويضرب بيمنى أو يصب بشـمال
دعيه يعاقب سارق التاج مثلمـا
يعاقب في منفيس لـص لآلـئ

---

[٢١٦] الأعمال الكاملة: ص ٣٥٩.
[٢١٧] المرجع السابق: ص ٤٠٢.
[٢١٨] الأعمال الكاملة: ص ٤١٩ – ٤٢٢.

نتيتـاس: لـك الويـلُ مـن فتـى **فإنـك مـن معنـى المـروءة خـالي**
أأوطي خيل الفرس مهدي وملعبـي **وتربـة آبـائي ومنـزل آلـي**
وأشعلُ نار الفرس في أيكـة الصـبا **ومـا بـوأتني مـن ربـى وظـلال**
وأغمد سيف الفرس في صدر أمـةٍ **نمتنـي وتنمـي أُسـرتي وعيـالي**

أخذ شوقي مضمون هذه القصة من "هيرودوت" لكنه تصرف فيها على النحو الذي يلقي فيه بالمسئولية على "فانيس" القائد اليوناني المرتزق ويبرئ الأميرة المصرية نتيتاس من تهمة استعداء "قمبيز" لغزو مصر انتقاما لأبيها من "أمازيس" الذي خلع أباها وأمر بقتله وجلس مكانه – كما ذكر هيرودوت – ونتيتـاس – كما يصورها شوقي – تحاول بكل الطرق حماية وطنها وتجنيبه شر الغزو الفارسي عن طريق إثناء قمبيز عن القيام به، فتخوفه تارة من الطريق ومخاطره، وتستعطفه أخرى على أهل مصر الذين لا ذنـب لهـم، وبعد وقوع الغزو تحاول أن تثنيه عن أعمال السلب والنهب في البلاد، وعندما تيأس من ذلك أيضا تعلـن الانضمام إلى المقاومة المصرية في طيبة تقول [219]:

والآن إلى طيبـة والصـعيد **لحشدِ الدعاةِ وحشـدِ الجنـود**
وقهـر العـدو وإرغامـه **وقذفِ المغيـر وراء الحـدود**

وبهذا تصبح رغبتها في حماية وطنها أمرا إيجابيا. وشوقي متأثر في تصوير شخصية هذه البطلة ببطلات المآسي الكلاسيكية – فيما أرى – فهي شخصية بلا رذائل وإن كان فيها بعض نواحي الضعف البشري الناجم عن إحساسها بالكراهية لقاتل أبيها والظلم من محبوبها الغادر، إلا أنها تتسامى وتتعالى على آلامها.

هذه هي المعاني والدلالات التي أراد شوقي – كما أعتقد – إضفاءها على هذه الشخصية، وهذا هو سـبب التغييرات التي أجراها على الأحداث المتعلقة بها حتى أصبحت هي مصدر الأحداث ومحورها إلى حد كبير، فهي أقرب شخصية لمركز الصراع. لهذا يبلغ خلاف "شوقي" و"هيرودوت" مداه عند الحديث عن "نتيتـاس" وواضح أن "شوقي" قد أراد من كل هذا جعل "نتيتاس" نموذجا للتضحية والفداء ليثير الحمـاس فـي نفـوس مواطنيه، ويرغبهم في التضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيل الوطن، ويحبب إليهم التعالي علـى الآلام إعـلاء لصالح الوطن، وينبه أولئك الذين يستَعدون الأجانب على مواطنيهم ووطنهم تصفية للخلافـات بيـنهم إلـى خطورة هذا، وفي النهاية يبين لهم أن الجهاد ضد العدو ينبغي ألا يقف عند حد الكلام بل يجب أن يترجم إلى أفعال.

---

[219] الأعمال الكاملة: ص ٤٣٦.

قمبيز:

تناقضت الأوصاف التي ساقها "شوقي" لـ"قمبيز" كما تناقضت أخباره عند المـؤرخين: فحينـا يصـفه بصفات جميلة، كتلك الصفات التي جاءت على لسان الوصيفة نتا والملكة "نتيتاس" في الحوار التالي [٢٢٠]:

الوصيفة: زعمنـا أن قمبيـزا محـب   فهـــل تجزيـــه بالحـــب حبـــا
الملكة: أحب أنا؟ ضل ما قـد ظننـت   وإن خلـــت ظنـــكِ لـــم يكـــذب
الوصيفة: ولم لا؟ وقمبيـز لا بـالقبيح   ولا بالـــــــــدميم ولا بـــــــالغَبي
ولا هـــــو بالملـــــك البربـــــري   ولا الـــوحش ذي النـــاب والمخلـــبِ
ولكـــن فتـــى خيـــر كالســـحاب   وضـــيء البشاشـــة كالكوكـــبِ
يـــزين الســـرير إذا احتلـــه   وإنْ ســـار كـــان حلـــى الموكـــبِ
الملكة: صدقتِ نتا هو زيـن الشـباب   إلـــه القنـــا قمـــر الغيهـــبِ
إذا غُلبـــتْ فـــي القتـــال الملـــوك   وفـــي السّـــلم عـــز فلـــم يغلـــبِ
يســـيطر كالشـــمس ســـلطانُه   علـــى مشـــرق الأرض والمغـــربِ

الوصيفة والملكة في هذا الحوار تتباريان في كيل الأوصاف الجميلة لقمبيز. فكيف تستقيم هذه الصفات مع قول نتيتاس في موضع آخر عنه [٢٢١]:

نمر الفرس الخشن.

وقول الوصيفة لمليكتها [٢٢٢]:

لا تهيجي به الجنون فيطغـى   إنـــه آدم بظفـــرٍ ونـــاب

وقول نفريت عنه إنه [٢٢٣]:

وحشٌ في إهـاب بشـر   يقتـــلُ مـــنْ يلقـــى

أقول إن "شوقي" ربما أراد أن يكشف عن مختلف جوانب شخصية "قمبيز" فيبين ما فيها من فضائل ورذائـل على السواء، وإن كانت رذائله قد طغت على شخصيته. وربما تناقضت أوصاف "قمبيز" عنـد "شـوقي" كمـا تناقضت أخباره عند المؤرخين. فقد ثارت الخلافات حول شخصيته وتصرفاته: فهناك رأي نشره كُتاب اليونان وعلى رأسهم "هيرودوت" الذي صور "قمبيز" – كما يذكر د. محمد بيومي مهران – كوحش لا يراعي أبسـط مبادئ الإنسانية، مما يشير إلى حقده على قمبيز" من جراء ما قاسته بلاده على يديه، وقد انتشرت السمعة السيئة لقمبيز على يد هؤلاء الكتاب حتى خلط بعضهم بين سيرته وسيرة غيره ومن ثم نسبت إليه أخطاء غيره [٢٢٤].

---

[٢٢٠] الأعمال الكاملة: ص ٤٠١ – ٤٠٢.

[٢٢١] الأعمال الكاملة: ص ٣٩١.

[٢٢٢] المرجع نفسه: ص ٤٠٩.

[٢٢٣] الأعمال الكاملة: ص ٣٥٢.

[٢٢٤] مصر والشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ٦٦٩.

وهناك رأي آخر أخذ بما جاء في المتون المصرية التي تدل على أن "قمبيز" كان ملكًا أكثر حكمة وروية مما افتراه عليه الكُتاب الأقدمون [٢٢٥].

نقول إن "شوقي" وهو يبحث عن تلك الشخصية وجد أخبارا وأوصافًا ذكرها "هيرودوت" تهـاجم "قمبيـز" ووجد أخبارا أخرى تدافع عنه وتصوره أكثر حكمة. لكن (شوقي) كمصري فقدت بلاده حريتها علـى يـدي "قمبيز" وصارت ولاية فارسية لمدة قرنين من الزمان اتفقت مشاعره مع مشاعر "هيرودوت" الذي حقد هـو أيضا على "قمبيز" – كما ذكرنا من قبل – فأخذ عنه كثيرا من الأوصاف التي أثبتها لقمبيز في تاريخه، وتأثر بها، وأخذ عن غيره بعض الأوصاف ليكون أكثر اعتدالاً في تصوير الشخصية من "هيرودوت".

من الأشياء التي خالف شوقي فيها "هيرودوت" مسألة إدمان "قمبيز" للخمر، فعنـدما يسـأل "أمـازيس" رئيس الوفد الفارسي عن حال قمبيز والقدح، يقول الفارسي [٢٢٦]:

إن قمبيـــز ســـيدي ملـــك كلـــه مـــرح
لـيس تخلـو قصـوره مِنْ سرور ومـن فَـرح
لكن له شغل عـن الـ خَمـر بطـول غزوتـه

يخالف "شوقي" هنا ما ذكره "هيرودوت" عن معاقرة "قمبيز" للخمر، فيقول إن "قمبيز" سأل يومـا حامـل رسائله "بريكساسبيس" أي نوع من الرجال يظنني الفارسيون؟ فقال له: مولاي، إن القوم ليثنون عليك أجمـل الثناء في كل شيء إلا أنهم يقولون إنك مولع أشد الولع باحتساء الخمر [٢٢٧]. وقد حمل العقـاد بشـدة علـى شوقي لإحداثه هذا التغيير في شخصية قمبيز [٢٢٨]. مغفلاً أن "شوقي" إنما استخدم حقـه الطبيعـي كمؤلـف مسرحي في الأخذ بروح التاريخ دون أن يتقيد بحرفيته.

أما عن الحروب وطول الغزوات فهي حقيقة تاريخية توافق ما ورد عنه في كتب التاريخ، وتُجمِع على أنه بعد وفاة "كورش" سنة ٥٢٩ ق. م، فإن "قمبيز" انشغل لمدة ثلاث سنوات بإخضاع الولايات الفارسـية التـي أعلنت العصيان ثم بدأ سنة ٥٢٦ ق. م يجهز حملته لغزو مصر [٢٢٩] بل وفي حياة أبيه كان يشترك معه في الحكم في السنوات الثماني الأخيرة من عهده [٢٣٠]. وكانت كلها حروبا متصلة – كما رأينا من قبل.

---

[٢٢٥] مصر القديمة: سليم حسن: جـ ١٣ ص ٨٧.
[٢٢٦] الأعمال الكاملة: ص ٣٧٢.
[٢٢٧] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١٢٧.
[٢٢٨] العقاد: رواية قمبيز في الميزان. القاهرة سنة ١٩٣١ م.
[٢٢٩] تاريخ إيران (حسن بيرينا): جـ ١ ص ٧٣.
[٢٣٠] مصر والشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ٦٦٢.

هناك صفة أخرى لقمبيز أشار إليها "شوقي" أكثر من مرة، وفي مواضع متفرقة. وهي صفة "الجنـون"، الذي يأتيه في نوبات يدمر خلالها كل شيء، يتضح ذلك في قول الوصيفة للملكة [٢٣١]:

نتتا : لا تهيجي به الجنـون فيطغي إنه آدم بِظُفْـرٍ ونـابِ

كما يتضح من قول فانيس أيضا مخاطبا نتيتاس [٢٣٢]:

فانيس: خذي سيدتي الحذرافقد تأخذه النوبة حتى يحرق القصراوقد يقتل من أمامه أثناء نوبات جنونه:

فانيس لنفسه [٢٣٣]:

أحمد الله قد نجوت برأسي وأمِنْتُ المهوس المجنونا

ويرجع شوقي سبب هذا الجنون إلى مرض الصرع فيقول على لسان قمبيـز واصـفًا إحـدى نوبـات جنونه[٢٣٤]:

قمبيز لنفسه: قد رجع الصفير لي يـــا ليتـــه لـــم يرجـــع
مـــا بـــالُ عينـــي أظلمـــت مـــا بـــال ســـاقي جمـــدت
أيـــن الطبيـــب أزدشـــر (ويغشـــــاه الصـــــرع)

وتقول نتيتاس عنه:

يـا ويـح زوجـي ويحـه هـاج وعـاوده الصـرع

وفي نهاية المسرحية يشير "شوقي" إلى قول المصريين إن "أبيس" جنن قمبيز [٢٣٥]:

انظر "أنـي" أسـمع قُتـا أبـيس بـالفُرس سـخَر
جـنّن قمبيـز ولـمْ يـزلْ بـه حتـى انتحـر

واضح أن "شوقي" متأثر في كل هذه الأوصاف بما جاء عند "هيرودوت" عن "قمبيز" الذي يقول عن سبب جنونه: "ولست أدري أكان هذا الجنون بسبب ما فعله مع أبيس أو بسبب آخر... ويقولون إنه كان مصابا منذ ولادته بمرض مريع يسميه البعض المرض المقدس (الصرع) [٢٣٦]. فهيرودوت يصرح أن سـبب الجنـون الذي أصيب به "قمبيز" قد يرجع إلى قتله لأبيس أو لإصابته بمرض الصرع. وهي نفـس الإشـارات التـي جاءت عند "شوقي" كما رأينا.

---

[٢٣١] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٠٩.
[٢٣٢] الأعمال الكاملة: ص ٤١٠.
[٢٣٣] المرجع السابق: ص ٤١٠.
[٢٣٤] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤١٨.
[٢٣٥] المرجع السابق: (المسرحيات): ص ٤٢٧.
[٢٣٦] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١٢٧.

ويذكر "شوقي" بعض الأعمال المجنونة التي صدرت عن "قمبيز" أثناء تلك النوبات. مثـل قيامـه بقتـل قواده. فقتل فانيس بلا سبب ظاهر، فأخذ يصيح [٢٣٧]:

فانيس: آه من الخنجر ما أحـره آهٍ مـن الحِمـام مـا أمـره

(لقمبيز): قمبيز شُـلت يمينـك ولا أفـــاق جنونُـــك

ولا يتورع أيضا عن طعن قائد شيخ من قواده لمجرد أنه نصحه بالترفق بالمصريين فيقول له [٢٣٨]:

قمبيز: خذ طعنة فيها الشـفا تصـرفُ عنـك الخَرفـا

القائد (وهو يتلقى الطعنة):

يا ويحه قد عاده الجنون بل أنا حين هجتُه المجنـون

ويهم بقائد آخر من قواده قائلاً [٢٣٩]:

امسكوا الكلـب خُـذُوْه، أدبـوه

ما أبي العجلُ، بل العجلُ أبـوه

نتيجة لهذه التصرفات صار قادته – كام يذكر شوقي – في قلق على أنفسهم [٢٤٠]:

قائد: ويح لقمبيز

آخر : ويـح لـه جنـا

الأول : مـن يقتـلُ اليـوم مـن الشـقي منـا

وقد أخذ شوقي مضمون هذه الأعمال من "هيرودوت" الذي ذكر أن "قمبيز" ارتكب أثناء نوبـات جنونـه كثيرا من الحماقات ضد كل من الفارسيين والحلفاء على حد سواء من ذلك مثلاً: أنه دفن اثني عشر رجـلاً من أعظم نبلاء الفرس أحياء دون ذنب اقترفوه، ومنها: أنه صوب قوسه نحو حامل كأسه فأصابه فـي قلبـه ليثبت أن يديه ثابتتان لا ترتعشان من إدمان الخمر. ثم حاول قتل أحد النبلاء من قادته (كريسـوس الليـدي) لأنه نصحه ألا يتمادى في النزق وحمية الطباع. وقال له ضمن ما قال: "إنك تقـبض علـى الرجـال مـن مواطنيك وتعدمهم بلا سبب ولا شكوى" [٢٤١].

---

[٢٣٧] الأعمال الكاملة (المسرحيات ٩: ص ٤٣٤).

[٢٣٨] المسرحيات: ص ٤٣٧.

[٢٣٩] المسرحيات: ص ٤٣٨.

[٢٤٠] المرجع السابق: ص ٤٤٠.

[٢٤١] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١٢٧ – ١٢٩.

واضح أن "شوقي" تأثر بمضمون روايات "هيرودوت" إلا فيما يخص مقتل "فانيس" على يديه فقد صـمت "هيرودوت" عن مصير "فانيس" ولم يحدثنا بنهايته، بينما حرص "شوقي" أن يذكر أن نهايته كانت علـى يـد "قمبيز" الذي جازاه خيانة بخيانة وغدرا بغدر جزاء وفاقًا لما اقترفه في حق مصر والمصريين، هذه شخصية قمبيز – كما صورها شوقي – وضح فيها مدى تأثره بهيرودوت فيما نسبه إليها من صفات وأخلاق وأعمال، ومدى تأثره أيضا بواقع إحساسه الوطني كمصري يتحدث عن عدو بلاده.

فانيس:

من الشخصيات التاريخية المهمة التي كان لها دور في وقوع الغزو الفارسي لمصر شخصية "فـانيس" القائد اليوناني المرتزق الذي فر من فرعون والتجأ لخدمة قمبيز، ويمهد "شوقي" لظهـور "فـانيس" فـي مسرحيته بجعله يتراءى لنتيتاس في أحلامها على شكل "حنش" كبير يثير فزعها وينذر بوقـوع الكارثـة، تقول لوصيفتها [٢٤٢]:

رأيـــــتُ حنشًـــــا	**لـيس لـه مصـر ثـرى**
لـم تـر منـفُ مثلـه	**ولا الصـعيد قـد رأى**
كأنـــــه صـــــاعقةُ	**تحـدرتْ مـن السـما**
مشـى إليـه كـل ذي	**قـوس وكـل ذي عصـا**

الوصيفة : حققته سيدتي؟

حققْتُه على الضحى

الوصيفة : فكيف كان؟

الملكة : صورة تشيب أرؤس النشاكأنه فانيس عينين وجها وقفا.......

الوصيفة : فانيس من؟

الملكـــة: نَسِـــيْتِهِ؟	**كيـف نسـيت يـا نتـا**
الخـائن الـذي إلـى	**فـارس مـن حـين أتـى**
يشـي بمصـر وأخـا	**فُ أن يكـون بـي وشـى**

كما أن "شوقي" يجعل "فانيس" سببا مباشرا لما حلّ بمصر من غزو ومن ويلات، فقد كشف السر للملـك ووشى بالملكة وكشف له أسرار مصر، وجرأه على غزوها، يتضح ذلك من الحوار التالي [٢٤٣]:

---

[٢٤٢] الأعمال الكاملة: ص ٣٩٧ – ٣٩٨.

[٢٤٣] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٩٨.

الوصيفة: ما صنع الثعبان هو ... لاتـــــــــــــي
الملكة: ... مـــن النهـــر دنـــا
وفـح ثـم دس فـي النهـر ... لســـانا كـــــاللظى
فاحتجـــب النيـــلُ وعـــا ... د يبســا مــا كــان مــا
واحترقــــت مــــدائن ... بالضــــفتين وقــــرى
الوصيفة: والليثُ يا ســيدتي؟ ... بعـــد التهيـــب اجتـــرا
مشــى علــى الــوادي فهــل ... رأيــت عاصــفًا جــرى؟
تقتلـــع اليــــابس والـــر ... طـــب ويغـــري ويطـــا

ويوضح "شوقي" أيضا مكانة "فانيس" في مصر قبل أن يفر إلى فارس من خلال الحوار التالي بين الملك والملكة[٢٤٤]:

الملكة: لكن أَنسيتَ أن فــانيس ... خان بالأمس عهــد مصــرا
وفـــر منهـــا ولســـتُ أدري ... مـــاذا دعـــاه لأن يفـــرا
وكان فــي الجــيش ذا مكــانٍ ... وقـــاد بـــرا وقـــاد بحـــرا
قمبيز: لقد أتــاني بكــل ســر ... عن ملك مصر لم يخفِ سرا

كل هذه الصفات والأحداث التي يجعلها شوقي على فانيس مذكورة أيضا وبتفصيل أكثر عند "هيـرودوت" إلا مسألة أنه السبب المباشر في غزو مصر – كما يذكر شوقي – يقول هيرودوت عنه: "إن مـن العوامـل المهمة التي سهلت القيام بحملة قمبيز على مصر وجود هذا الجندي المرتزق "فانيس"... وأنه لما حقد علـى أمازيس لسبب ما هجر خدمته وركب سفينة وهرب بها إلى "قمبيز" ولما وصل إليـه لـم يخبـره بأسـرار "أمازيس" فحسب بل وأمده بمعلومات عن كيفية عبور الصحراء، وأشار عليه بأن يوفد سفيرا من قبلـه إلـى ملك العرب، ويطلب منه أن يسلك مسلكًا وديا حياله وهو يعبر تلك المنطقة" [٢٤٥]. كما أن جميـع المراجـع التاريخية تعترف بدور "فانيس" [٢٤٦] في الغزو الفارسي لمصر، إلا أن "شوقي" يضيف إلى ذلك أنه السـبب المباشر في هذا الغزو – كما أوضحنا – وقد أراد بذلك تبرئة الأميرة المصرية "نتيتاس" ممـا نسـبه إليهـا "هيرودوت" وجعل هذا الإثم منوطًا بالقائد اليوناني المرتزق.

---

[٢٤٤] المرجع السابق: ص ٤٠٥.

[٢٤٥] هيرودوت (أمين سلامة) ص ١١٤.

[٢٤٦] راجع: مصر القديمة (سليم حسن): جـ ١٣ ص ٢، مصر والشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ٦٦٣، تاريخ إيران بـرس سايكس: جـ ١ ص ٢٠٤.

أمازيس:

من الشخصيات التاريخية التي صورها "شوقي" في مسرحيته، وهو فرعون مصر الذي بدأت المشكلة في عهده وكان مسئولاً عن هذا الغزو أيضا – كما يذكر هيرودوت – فبسبب خداعه لقمبيز وإرساله بنت سلفه "إبرياس" مكان ابنته هو ثارت المشكلة، وثار "قمبيز" لما اكتشف الخدعة وهدد بالغزو ونفذه فعلاً.

يصرح "شوقي" في أكثر من موضع أنه قاتل إبرياس الفرعون السابق، والمستولي على مكانه، تواجهه نتيتاس بهذا في قولها [٢٤٧]:

ليس بين ابنة وساقي أبيها غصة الموت من سلامٍ ورد

ويواجهها فانيس محاولاً استعداءها عليه [٢٤٨]:

فانيس: ولكن ألم يخلعْ أباك أمازيس

ويقتلْ به في ثورةٍ وقتال

ويجلسْ على كرسي مصر مكانه

ويخْلُفه في جاهٍ أفاد ومال

نتيتاس: أجلْ قد خُلعنا ملكناً وتصرفَتْ

بنا سوقةٌ من جندنا وموالي

وشوقي في تصويره لأمازيس لم يخرج عن مضمون روايات "هيرودوت" عنه إلا في مسألة واحدة وهي أنه جعله يقبل ما عرضته عليه "نتيتاس" حين عرضت عليه أن يهب لها مكان ابنته ويرسلها إلى فارس لتتزوج قمبيز فيرد عليها مرحبا بالفكرة [٢٤٩]:

فرعون:

بخ بخ بنت أخي هذا هو النبل نتيتاس

أما مسألة خلعه لسلفه "إبرياس" وقتله له بعد أن قاد المصريين في ثورتهم ضده فمذكورة أيضا عند "هيرودوت"[٢٥٠] وواضح أيضا مما جاء عند "هيرودوت" عن هذا الملك أنه كان مستغلاً أو نَهازا للفرص، وهذا ما يشير إليه شوقي أيضا من طريقة رده على "نتيتاس" بقوله: بخ بخ بنت أخي.

---

[٢٤٧] المسرحيات: ص ٣٥٦.

[٢٤٨] المرجع السابق: ص ٤١٩.

[٢٤٩] المسرحيات: ص ٣٥٧.

[٢٥٠] هيرودوت يتحدث عن مصر: ٢٩٥ – ٣٠٩.

بسماتيك:

فرعون مصر المنكوب ابن "أمازيس" الذي اضطر للحرب مع "قمبيز" بسبب وفاة والده المحنك وكان أقل منه خبرة بأمور الحرب، وقد ورد ذكره عند شوقي على النحو التالي [٢٥١]:

الرسول: بسـماتيك يـا مـولاي خانـا

قمبيـز: وكيـف؟ ومـا أتـى؟

الرسول: نقـض الأمانـا

قمبيـز: ومـا برهـانكم؟

الرسـول: كتـب ورسـل — يثيـر بهـا القُـرى آنـا فآنـا

قمبيز: وهل وجدت دعايته سميعا — وهـل حلـتْ مـن الـوادي مكانـا

الرسول: أجابتْ دعوةَ المخلوع مدن — ومـدن مـا جعلـن لـذاك شـانا

قمبيـز: وأيـن فرعـون أبسـما

الرسول: فـي منـف يغـدو ويـروح

حـرٌّ كمـا شـئتَ لـه — بـين القصـور والصـروح

قمبيز: وزرائـي ودهـاقني انظـروا — انظـروا ذاك الفرعـون أبسـما

الوزير الأكبر: يدفع القواد والجند به — وهـو فـي القيـد يجْـر الأدْهمـا

قائد: كاد فرعـون مـن اسـتكباره — أنفُـه يـدفَع فـي أنـف السـما

(فرعـون يقـف بـين يـدي قمبيـز فـي عظمـة وإبـاء واسـتكبار)

قمبيز: بسماتيك

فرعون: قمبيز

قمبيز: أتـدعو باسـمه الملكـا

فرعـون: غـدا تفقـدك القُـرس — ويخلـو عرشُـها منكـا

وملـك قـد مضـى عنـي — سيمضـي فـي غـدٍ عنكـا

قمبيـز: عفـوتُ عنـك أمـس يـا — أبسـاما فلـم تـَرْع الوفـا

فرعـون: يـا عجبـا يـا عجبـا — عبـد عـن الـرب عفـا

قمبيز (هائجـا): خـذوه بالخنـاجر — سـلوا لسـان الفـاجر

---

(٢٥١) الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٢٨ – ٤٢٩.

(في عظمة وثبات) [٢٥٢]:

هاتو سـيوفَ الفـرس هـاتوا القنـا

هاتوا المدى هـاتوا حبـالَ الحديـدْ

لا تحسـ ـ ـبوني بشـ ـ ـرا بائـ ـ ـدا

فرعـ ـون حـ ـي خالـ ـد لا يبيـ ـدْ

ثم يعفو قمبيز ثانية بعد أن يستشفع له أحد وزرائه، لكن فرعون لا يرحب بهذا العفو، ويجيـب قمبيـز بقوله:

فرعون : لا مرحبا أمس ولا اليوم بعفو الطاغية...

فيأمر "قمبيز" بقتله:

قمبيز: سنرى هلموا يا جنود أسـيركم

عودوا به من حيثُ جئـتم عـودوا

يبدو من هذا الحوار روعة أداء "شوقي" ومراعاته للبعد التاريخي والبعد النفسـي أيضـا فـي تصـوير الشخصيتين، وبعثها حية من جديد بمعتقداتها وأفكارها. فقد صور فرعون "أبسماتيك" شديد الاعتزاز بنفسـه وبلاده وبمعتقداته إلى درجة التكبر والغرور. كما أنصف "قمبيز" فصوره حليما إلى حد كبير – رغم ما قيـل عن جنونه السابق – فها هو يعفو عن فرعون المرة تلو المرة لولا أن فرعون فضل الموت على حياة الـذل. وشوقي في كل هذا لم يخرج عن مضمون ما جاء عند "هيرودوت" عن هذه الحادثة الذي يقول إن فرعـون "قمبيز" بعد سقوط الحصن بعشرة أيام عزم على أن يختبر روح الملك المصري، فأمر بوضعه فـي إحـدى الضواحي مع بعض المصريين، وعرضه للإهانة، فأرسل ابنته في ثياب أمةٍ تحمل جرة الماء، وقد رافقتهـا كثيرات من العذارى، فلما مرت أمام آبائهن أخذن في البكاء والصياح، وبكى الجميع ما عدا "أبسماتيك" فقـد طأطأ رأسه إلى الأرض. ثم جاء خلفهن ابن "أبسماتيك" ومعه ألفان من الشبان المصريين من مثل عمره وقد وضعوا اللجم في أفواههم والحبال فوق أعناقهم، وقد ساقوهم ليقتلوا، وأخذ الجميع في البكـاء علـيهم، أمـا أبسماتيك فلم تظهر عليه أي علامة للحزن، ثم جاء أحد أصدقائه السابقين، وقد صار متسولاً، وكان يستجدي الجنود بطلب صدقة عندئذ انفجر الملك المصري يبكي بصوت مرتفع، ونادى صديقه باسمه، ولطم نفسه على رأسه، ويضيف هيرودوت أن "قمبيز" أرسل رسولاً لبسماتيك يسأله عن سبب بكائه عندما رأى المتسول مـع أنه لم يفعل ذلك على ابنته ولا على ابنه، أجاب برد بليغ فقال: "كانت مصائبي أكثر من أن تخففها الدموع أما مصيبة صديقي ذاك فكانت تستحق البكاء، فعندما يقلب الدهر لأمرئ ظهر المجـن فيسـقط مـن العظمـة والرفاهية إلى التسول وهو على عتبة الشيخوخة يحق للمرء أن يبكي من أجله [٢٥٣].

---

[٢٥٢] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٣٠.

[٢٥٣] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١١٧ – ١١٨.

يقول هيرودوت إن الرسول لما عاد بهذا الرد إلى قمبيز قال إنه على حق. وبكى جميع الفارسيين الحاضرين، وتألم قمبيز نفسه أشد الألم، وأصدر أمره باستثناء ابن أبسماتيك من الإعدام، وإحضار أبسماتيك" إلى حضرته. أما ابنه فكان قد قُتل أول الجميع. وقد جاءوا "أبسماتيك" إلى حضرته، وسمح له قمبيز أن يعيش معه، ولم يعامله بخشونه بعد ذلك قط. كما لم يحرمه التدخل في شئون البلاد. وكان بوسعه – كما يذكر هيرودوت – أن يسترد مصر ويحكمها بصفته واليا عليها. فقد جرت عادة الفرس أن يعاملوا أبناء الملوك بالتبجيل لدرجة أنهم قد يهبون مملكة الأب لابنه في حالات التمرد الشبيهة بهذه الحالة [٢٥٤].

هكذا ينصف "هيرودوت" "قمبيز" هذه المرة ويصوره كريم الخلق يتعامل مع أبناء الملوك في البلاد المفتوحة بالتبجيل والاحترام، وينصفه "شوقي" أيضا بأن يصوره مستعدا للعفو عن "أبسماتيك" المرة تلو المرة، ويختلف "شوقي" مع هيرودوت، حول مصير هذا الملك، فهيرودوت لم يذكر شيئًا عن نهاية هذا الملك بعد ذلك، أما شوقي فقد أخبرنا بمقتله على يد "قمبيز" بعد ثورته عليه. وهكذا يختلف المؤرخون أيضا في مصير هذا الملك بعد أن ثار على "قمبيز" فهناك من يقول إنه قتل على يد قمبيز [٢٥٥] وهناك من يرى أنه اكتفى بنفيه إلى "شوش" [٢٥٦].

بعد أن عرضنا لأهم الأحداث والشخصيات التاريخية وبينَا الأسطورة والتاريخ فيها، ننتقل إلى تصوير شوقي لكل أمة من الأمتين الفارسية والمصرية وحتى اليونانية في مسرحيته ونبين موقف ذلك الطابع الذي طبع به هذه الأمم من الأسطورة والتاريخ أيضا ودور الشخصيات الثانوية في بعث هذا الطابع في مسرحية شوقي.

الفرس:

حرص شوقي عند تصويره للفرس أن يراعي "اللون المحلي" والمعتقدات والتقاليد والديانة أيضا.

فمن ذلك مثلاً حرصه على إطلاق أسماء فارسية على الشخصيات الثانوية من جنود الفرس ورسلهم مثل: "قباد – فيروز – ماني – بهار – خورشيد – ميجا". وكلها أسماء فارسية صميمة".

ومن الألقاب الفارسية التي استخدمها "شوقي" أيضا لقب: "دهقان" و"أسوار" و"مرازبة" وكلها ألقاب فارسية استخدمها في مواضع من المسرحية مثل:

يمدح أحدهم رئيس الوفد الفارسي بقوله [٢٥٧]:

رئيس الوفد لا زالت لمـا يرفـع يختـار
ولا سـاواك دهقـان ولا دانـاك أسـوار

[٢٥٤] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١١٨.

[٢٥٥] مصر الشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ٦٧١.

[٢٥٦] تاريخ إيران (حسن بيرنيا): جـ ١ ص ٧٤.

[٢٥٧] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٧٦.

أما الدهقان عند الفرس فهو: رئيس ومالك الأراضي والقرى والـ "سوار" لقب الفارس وله قيمة اجتماعية عالية كما يذكر كريستنسن [٢٥٨].

وفي موقع آخر يقول على لسان قمبيز لقائده [٢٥٩].

فخـذ مرازبـة الفـرس   وامـض ميجـا لشـأنِكْ

والمرازبة جمع مرزبان وهو حامي الحدود، المتولي لأمرها. أما "ميجا" فاسم أحد القـواد الـذين قـاموا بالقضاء على فتنة "برديا" المجوسي الكذاب مع داريوش [٢٦٠].

كما استخدم "شوقي" بعض الكلمات الفارسية مثل قول قمبيز لجنود النوبة [٢٦١].

زه يـــا جنـــود   زه يـــا أســـود

و"زه" كلمة فارسية بمعنى: أحسنت، بخ بخ [٢٦٢].

العادات والتقاليد الفارسية:

ومن العادات الفارسية التي أشار إليها شوقي عاداتهم فيما يخص الموتى وعدم دفنهم، وتركهم للجـوارح، تقول "نتيتاس" مستنكرة هذا الفعل منهم [٢٦٣].

هنا الميتُ تُنفض منه الأكـف   وتنْهي الشـرائع عـن دفنـه
ويطرح ناحية فـي الفضـاءِ   على سـهْلهِ أو علـى حزنِـه
يروح الحـداء علـى رأسـه   وتغـدو الـذئاب علـى بطنـه

يبدو أن "شوقي" قد أشار إلى هذه العادة بتأثير مما قرأه عند "هيرودوت" أيضا الذي يقول: "هنـاك عـادة أخرى يتكلمون عنها بتحفظ ولا يذكرونها جهرا، وتختص بموتاهم، يقولون إن جثة الفارسي الذكر لا تـدفن إطلاقًا إلا بعد أن يمزقها كلب أو طائر جارح" ويعلق على ذلك بقوله: "ولا شك أن هذه العادة معروفة لـدى الماجي (الكهنة الميدين) إذ يمارسونها علنًا دون ما إخفاء [٢٦٤]. وهذه العادة من العادات المرتبطة بـ (أهل) العقيدة الزرادشتية الذين يعتقدون أن النار والتراب والأرض والماء من العناصر المقدسـة التـي لا يصـح تلويثها، بل ويعدون تلويثها جناية كبرى؛ لهذا يحرمون حرقها في الهواء، ويعرضون موتـاهم فـي أبـراج الصمت للطيور الجارحة[٢٦٥].

---

[٢٥٨] إيران في عصر الساسانيين: ص ٩٨.

[٢٥٩] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤١٦.

[٢٦٠] هيرودوت (أمين سلامة): ص ١٣٨.

[٢٦١] الأعمال الكاملة: ص ٣٨٠.

[٢٦٢] برهان قاطع: جـ ٢ مادة زه.

[٢٦٣] الأعمال الكاملة: ص ٣٩٤.

[٢٦٤] هيرودوت (أمين سلامة): ص ٦٢.

[٢٦٥] ول ديورانت: قصة الحضارة (ترجمة محمد بدران، جـ ٢ ص ٤٣٧ ط القاهرة).

يبدو أن هذه العادة التي أشار إليها "شوقي" متأثرا بما ذكره "هيرودوت" لم تكـن معروفـة عنـد ملـوك الهخامنشيين في ذلك الوقت إذ يذكر حسن بيرنيا أنه وجدت مقابر لملوك الهخامنشيين، ويستنتج من هـذا أن ديانة ملوك الهخامنشيين كانت مختلفة عن الديانة الزرادشتية [٢٦٦]، وهذا ما يؤكده كريستنسن [٢٦٧] أيضا عند حديثه عن الديانة الزرادشتية والديانة المزدية وسوف نبرزه بالتفصيل عند الحديث عن الديانة أو المعتقـدات الفارسية في الصفحات القادمة.

من **العادات الفارسية** الأخرى التي أشار إليها شوقي عادة شق الثياب حزنًا على الميت، يقول شوقي[٢٦٨].

يا فرس يا قـوم كسـرى　　النــازلين السـحابا
كســرى مضــى للنــار　　شُــقوا عليــه الثيابــا
وحطمــوا فــي ثــراه　　ســيوفكم والحرابــا

ويقول مصورا هذه العادة أيضا على لسان أحد المصريين[٢٦٩]:

انظر أخي الفُرس وما نابهمْ　　شَقوا على المجنون أثـوابهمْ

وعادة شق الثياب من علامات حزن الفرس على ملوكهم وقادتهم، كما جـاء فـي الشـاهنامة [٢٧٠] أن "كيكاوس" عندما سمع نبأ مقتل ابنه سياوش:

- مزق ثيابه وخمش وجهه، وبدلاً من العرش افترش التراب.

أما رستم فإنه عندما سمع نفس الخبر، جلس في مأتم أسبوعا ثم:

- عندما اقترب من إيران، مزق الثياب على جسده.

وهكذا نعرف أن عادة شق الثياب حزنًا على الموتى من العادات الفارسية.

---

[٢٦٦] تاريخ إيران (حسن بيرنيا): جـ ١ ص ١٢٢.

[٢٦٧] إيران في عصر الساسانيين: ص ٢٢.

[٢٦٨] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٤٤.

[٢٦٩] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٤٤.

[٢٧٠] شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٦٦٤. الأبيات بالفارسية:

همـه جامـه بدريـد ورخ رابكنـد　　بخـاك انـدر آمـد زتخـت بلنـد
جو نزديكي شـهر إيـران رسـيد　　همــه جامــة بلهــوي بردريــد

المعتقدات:

أما عن **العقائد الفارسية،** فقد حرص شوقي على الإشارة إلى تقديس النار عند الفرس، يقول على لسان قمبيز [(٢٧١)].

أنا قمبيز بن كسرى ... أنا جبار الوجود
وأنا النار أصولي ... وبنو النار جدودي

ويقول على لسانه أيضا في موضع آخر [(٢٧٢)].

يا نار كوني لي ... أور مازد كُنْ عوني

فهو يستعين بالنار وباهورامزدا الإله الأكبر عند الفرس ويقول على لسان أحد الجنود:

النار إله لنا

وتقول نتيتاس مخاطبة الوفد الفارسي [(٢٧٣)]:

أنا إن عشتُ شِدْتُ ... للنار بيتًا مطنبا
في عيون الوهاد من ... فرس أو على الربا
كلما لاح ضوءه ... هز الأرض منكبا

وما ذكره شوقي هنا يوافق المعتقدات في الديانة الزرادشتية، ففيها كانوا ينشئون المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور أو في قلب المدن، وكانوا يوقدون النار فوقها تكريما لأهوارا – مزدا أو لغيره من صغار الآلهة، وكانوا يتخذون النار نفسها إلها يعبدونه، ويسمونها "أنار" ويعتقدون أنها ابن إله النور، وكانت الشمس نار السموات الخالدة تعبد بوصفها أقصى ما يتمثل منها أهورامزد أو مترا إله الشمس وأكبر الآلهة[(٢٧٤)].

هذه هي أهم مبادئ العقيدة الزرادشتية التي أشار إليها شوقي، وأعتقد أنها عقيدة الفرس في هذا العصر، ويبدو أنه تأثر في هذا الرأي بما جاء عند هيرودوت [(٢٧٥)] أيضا، لكن كثيرا من الدارسين لتاريخ إيران في العصر الهخامنشي يؤكدون أن الديانة الزرادشتية لم تكن قد انتشرت في الغرب بعد في هذا العصر وأنها كانت مقصورة على إقليم ميديا الذي ظهر فيه "زرادشت" وإليه ينسب الكهنة الميديون. ويقول بهذا كريستننسن الذي يوضح أنه في الوقت الذي وصف فيه هيرودوت عقائد الفرس والميدين ونحلهم لم يكن اصطلاح

[(٢٧١)] الأعمال الكاملة: ص ٤١٧.

[(٢٧٢)] نفس المرجع والصفحة.

[(٢٧٣)] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٦٩.

[(٢٧٤)] قصة الحضارة: جـ ٢ ص ٤٣٢ – ٤٣٣.

[(٢٧٥)] هيرودوت: ص ٥٦.

زرادشت قد تغلغل في الغرب بعد [٢٧٦] ويقول بهذا أيضا حسن بيرنيـا الـذي يسـتنبط أن ديانـة ملـوك الهخامنشيين كانت تختلف عن الديانة الزرادشتية – كما ذكرنا – ويقول د. عبد النعـيم حسـنين: إن الـدين الزرادشتي أصبح المصدر الروحي للأمة الفارسية منذ عهد دارا الأول [٢٧٧] أي بعد العصر الـذي نتحـدث عنه هنا.

معنى هذا أن الديانة التي كانت شائعة لدى الفرس في القرن السادس قبل الميلاد كانت الديانة المزدية التي دان بها الفرس منذ القدم، وكانوا يعبدون الحيوانات والأجداد والأرض والشمس، ودينهم هذا كان يتفـق مـع دين الهندوس في كثير من عناصره وآلهته وكان "ميثرا" إله الشمس أكبر الآلهة عندهم و"أناهيتا" إله الأرض والخصب والنماء و"هوما" الثور المقدس الذي زعموا أنه مات ثم بعث "حيا" ووهب الجنس البشـري شـرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود، وكان الإيرانيون يعبدونه بشرب عصير الهوما المسكر، وهذه المعتقـدات مهـدت لظهور الديانة الزرادشتية التي بدأت في الظهور سنة ٦٥٠ ق. م [٢٧٨]، ويضيف كريستنسن أن الزرادشـتية ظلت عدة قرون كأنها غريبة في وسط المزدية الإيرانية القديمة [٢٧٩].

على هذا لم يكن غريبا – فيما أرى – أن تسجل صور "قمبيز" على جدران المعابد المصرية وهو راكـع أمام العجل المقدس، كما أهدى له التابوت الذي دفن فيه كما تذكر النقوش المصرية.

المصريون:

فإذا أمعنا النظر عند "شوقي" لنرى كيف صور المصريين، بما لهم مـن عـادات وتقاليـد ومعتقـدات وحضارة وجيش نجده يسوق هذه الأوصاف في الغالب على ألسنة الفرس من أعضاء الوفد الفارسي الذي أرسله "قمبيز" لخطبة الأميرة أو على ألسنة جنود الفرس بعد غزو مصر، لتصبح شهادة من العدو سـواء أكانت للمصريين في الغالب أو عليهم فها هم أعضاء الوفد الفارسي يتحدثون عن المصريين بكل احتـرام، معجبين بحضارتهم وصناعاتهم وفنهم [٢٨٠]:

---

[٢٧٦] إيران في عصر الساسانيين: ص ٢٢.

[٢٧٧] الإيرانيون القدماء: ص ٥٠.

[٢٧٨] قصة الحضارة: جـ ٢ ص ٤٣٣.

[٢٧٩] إيران في عصر الساسانيين: ص ٢٢.

[٢٨٠] الأعمال الكاملة (المسرحيات) ص ٣٦١.

رئيس الوفد الفارسي:

لقد جلتم في بلادة العجـل جْولـة:	ومـا برحـتْ بـالزائرين تُجـاب
فكيـف وجـدتم قـوم فرعـون؟	
قبـــــــاد: أمـــــــة	إذا هي قيستْ بالشـعوبِ عجـاب
لهم مثلٌ ماللأسْدِ بالجنس عِزةٌ هـم	ضواري الفلا عند الأسـود كـلاب
الشهب والناس الجنادلُ والحصـى	وتبـر الثـرى والعـالمون تـراب
وكل الذي صاغوا من الفـن آيـة	وكل الذي قـالوا هـدى وصـواب

ويصورهم فارسي آخر بقوله (٢٨١):

وجدتُ وجوها عليها النعـيم	ودنيا علـى جانبيهـا الرغـدْ
وسوقًا تُفض وسـوقًا تقـام	وخلقًـا يـروح وخلقًـا يفـدْ
وشعبا على خُطة في الحياةِ	ونظم به في الشـعوب انفـرد
ولـم أر مثـلَ صـناعاتهم	سـموا وبعْـدا علـى المنتَقـدْ

وشوقي لم يكن مبالغا فيما ذكره عن مصر، فمنذ باكورة القرن السادس عشر قبل الميلاد وحتـى بدايـة القرن الحادي عشر قبل الميلاد سيطرت مصر بوجه عام – كما يذكر د. سليم حسن – علـى كـل العـالم المتمدين ونشرت علومها وحضارتها في معظم الأقطار التي كانت تدين لسلطانها أو تتصل بهـا (٢٨٢). كمـا تمتعت مصر برخاء عظيم بعد النهضة التي عاصروها – كما يذكر د. رمضان السيد – وكانوا واثقين مـن تفوقهم في جميع المجالات (٢٨٣).

حالة الجيش المصري:

أما هذه النهضة، وذلك التقدم فكان بلا حائط يستند عليه ولا جيش يحميه، يقول أحد رسل الوفد الفارسـي ردا على سؤال زميل له عن الجيش المصري (٢٨٤).

أخي ما رأيت بمصـر الجنـود	ولم يأخذ العـين مـنهم أحـد
سوى فتيةٍ من جنود القصـور	وضباطها فـي الثيـاب الجـدد
يروحون في الخوذِ اللامعـات	ويغدون فـي الـذهب المتقـد

---

(٢٨١) المرجع السابق ص ٣٦٢.

(٢٨٢) مصر القديمة (سليم حسن): جـ ١٣ ص أ.

(٢٨٣) تاريخ مصر القديمة: جـ ٢ ص ٢٨٧.

(٢٨٤) الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٦٢ – ٣٦٣.

فيجيبه زميله:

إذن هـو ملْـك بـلا حـائط رفيق الأواسي ضعيف العمـد
خلا الوكر من صرخات العقاب ونامت عن الغاب عين الأسـد

أما قائد الجيش الفارسي "ميجا" فيشرح حال الجيش المصري الذي يتكون من جنود المرتزقة، وأسـباب ضعفه بقوله [٢٨٥]:

أصـــــــبح الجـــــــيش كـالقطيع اختلفـت فيـه الجلـود
نُشــر اليونـــان فـــي رايتـــه وتراغى الـزنج وانـدس العبيـد
وغـدا كـل طريـد لـم يجـدْ سبب الرزق أتى الجـيشَ يصـيد
الملكة: والخيلُ يا ميجـا هنـاك؟ في جيش مصر قليلـةُ الفرسـان
ميجــــــا: قليلـــــــةٌ قتــلَ النعــيم حميــة الفتيـــان
الملكة: أسفًا على الفتيـان أيـن حماسهم قتل النعيم حميةَ الفتيـان

ويقول ميجا أيضا واضعا يده الخبيرة على موضع الداء مبينًا سبب ضعف الجيش المصري [٢٨٦]:

إن ورد السلم مـن كثرتـه نشبت أظفارها فيـه الأسـود
واختلاف الجند فيما بيـنهم أخذ البأس وإن أبقى الحديـد

وقد انتقد العقاد [٢٨٧] "شوقي" بشدة لما ذكره عن حال الجيش المصري إبان هذا الغزو، بينما نرى أن مـا ذكره "شوقي" على ألسنة الفرس أو "نتيتاس" هو من الحقائق التاريخية المسجلة عن هذا العصر، والتي تقـول إن عوامل الوهن والضعف والدعة أخذت تدب في أوصال الشعب المصري عندما جنح أبنـاؤه إلـى حيـاة الترف والرفاهية، ومن ثم أخذت بوادر الاضطرابات والفتن السياسية والدينية تدب في أرجاء الإمبراطوريـة مما أدى إلى انحلالها وتفكك أوصالها، أما عن استعمال الجنود المرتزقة في جيشها وكثرتهم أيضا فيقـول د. سليم حسن: إنه لم يسع الفراعنة أمام تلك الحالة المنذرة بالخطر إلا استعمال الجنود المرتزقة لقمـع الفـتن، وحماية البيت المالك نفسه، وكان من جراء هذا أن وطد الجنود المرتزقة أقدامهم في مصـر [٢٨٨]، ويؤكـد د. محمد بيومي مهران هذا الرأي بقوله إنه مما زاد الطين بلة أن جيش مصر كان يعتمد في غالبيتـه علـى المرتزقة والأغارقة [٢٨٩].

---

[٢٨٥] المرجع السابق: ص ٤١٦.

[٢٨٦] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤١٦.

[٢٨٧] رواية قمبيز في الميزان: ص ٤١٩.

[٢٨٨] مصر القديمة: جـ ١٣ ص أ. د.

[٢٨٩] مصر والشرق الأدنى القديم: جـ ٣ ص ٦٦٤.

أما أهلها فلا يرحبون بالغرباء، بل ويصل الأمر إلى الضيق بالغرباء لكنهم لا يترجمون هذا إلى أفعـال، فلا يقصرون في واجب الضيافة [٢٩٠]:

تأمل (قباد) القوم وانظر وجوههم — وجــوه عليهــا للهمــوم ســحاب
ألستَ تراهم كلما نقلـوا الخُطـى — لهـم جيئـة مـن ريبـة وذهـاب
قباد: ولكنهم ما قصروا عن ضيافة — طعــام ونــزل طيــب وشــراب

وها هو آخر يتساءل عن نفس الأمر، فيقول لزميله وكأنما هو يجيب:

كيــف وجــدت البلــد
وكيف احتقارهم للغريـب — إذا قام في شأنه أو قعـد
وكيـف عيـونُهم حولـه — إذا حملته احتمال الرّمـد

ويبدو متأثرا بهذا الرأي أيضا من تاريخ هيرودوت الذي يقول عنه د. أحمد بدوي: إن الناظر إلى تـاريخ مصر أيام هيرودوت لن يعدم الإحساس البين الصريح بما كانت تنطوي عليه صدور المصريين من سـخط ومرارة وما تفيض به قلوبهم من كره الغرباء والضيق بهم [٢٩١].

العادات والتقاليد المصرية:

من العادات المصرية التي أشار إليها شوقي والتي توضح أخلاق المصريين الفاضلة تلك العـادة التـي يذكرها على لسان أحد الفرس أيضا في قوله [٢٩٢]:

ولا مثــل أخلاقهــم مبلغًــا — من الفضل أو مـن خـلال الرشـد
إذا مــرّ يــافعهم فــي الطريــق — بشــيخ تَنَحــى لــه أو ســجدْ

هذه العادة من العادات المصرية التي أعجب بها "هيرودوت" وذكرها عن المصريين يقول: عندما يـرى الصغار الكبار في الطريق يفسحون لهم الطريق، وينتحون جانبا، وإذا أقبل شيخ كبير إلى حيث يوجد الصغار نهض هؤلاء الصغار من مجلسهم واقفين [٢٩٣].

ومن العادات المصرية التي يشير إليها "شوقي" عادة الطواف بمومياء مقادة على الضيوف في الـولائم لتذكيرهم بالموت والفناء، يشرح "شوقي" هذه العادة في المشهد التالي:

---

(٢٩٠) الأعمال الكاملة: ص ٣٦١.

(٢٩١) هيرودوت يتحدث عن مصر: ص ٢٨.

(٢٩٢) الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٦٢.

(٢٩٣) هيرودوت (أمين سلامة): ص ٨٨.

يدخل وصيف من وصفاء القصر وبيده مومياء من الذهب يعرضها على الضيفان ووراءه رجـل يقـول ويكرر (٢٩٤):

المومياء طوفوا بها واتعظوا بخطبها
لا تسألوا ما هي من نكرها طول الزمن
هيا كلوا هيا اشربوا هيا اسمعوا هيا اطربوا
تمتعوا بالفانية قبل الحياة الثانية
خذوا المدام الصافية قبل انكسار الآنية

فارسي لآخر:

خورشيد هذا هو البلاء كل أحاديثهم فناء
روايةُ الموت حيث راحوا وقصةُ الموتِ حيث جاءوا

واضح تأثر شوقي بما جاء عند "هيرودوت" بخصوص هذا التقليد الذي يقول عنه هيرودوت: إنه بعد انتهاء الولائم في الحفلات الاجتماعية لطبقة الأغنياء، يمر خادم على الزائرين وهو يحمل نعشًا به تمثال خشبي منحوت ومطلي بالألوان ليحكي جثة طبيعية لشخص ميت، ويقول الخادم وهو يقدمه لكل ضيف بدوره: تأمل في هذا التمثال، واشرب وكن مرحا فعندما تموت ستكون على هذه الصورة (٢٩٥).

ومن العادات الدينية لدى المصريين القدماء حرصهم على تحنيط جثث الموتى للحفاظ عليها من البلى والدود لاعتقادهم في البعث بعد الموت، وقد أشار "شوقي" إلى هذه العادة على لسان "قمبيز" عندما هدد فرعون "بسماتيك" بأن يدفنه في قبره بغير تحنيط (٢٩٦):

قمبيز: وتُدس في الأجداث غير محنط يلهو بهيكلك البلى والدود

أما "هيرودوت" فيشرح ميل المصريين إلى تحنيط جثث موتاهم يقول: إنه مما يتنافى مع التقاليد المصرية تقدم جثة شخص لحيوان كي يلتهمها، والحقيقة أن السبب في أنهم يحنطون جثث موتاهم ليمنعوا الديدان من أن تأكلها في القبر(٢٩٧):

أما المعبودات المصرية التي أشار إليها "شوقي" فقد أشار إلى الإله "أمون" إله الشمس والإله "رع" أيضا في قول نتيتاس تستنجد بهما لنجدة زوجها (٢٩٨):

نتيتاس: ادركه يا أمون رع

---

(٢٩٤) الأعمال الكاملة: ص ٣٧٦.
(٢٩٥) هيرودوت (أمين سلامة ٩: ص ٨٨).
(٢٩٦) الأعمال الكاملة: ص ٤٣٢.
(٢٩٧) هيرودوت: ص ١١٩.
(٢٩٨) الأعمال الكاملة: ص ٤١٨.

كما تحدث أيضا عن تقديسهم للعجل أبيس: يقول على لسان واحد من الفرس:

هم يعبدون العجل يا أز دشـر(٢٩٩)

ويقول أحد وزراء الفرس عنه لقمبيز (٣٠٠):

ترى العجل في حجرات الجلال وقـد نغمـوه وقـد رفهـوا

الثاني: وليس إلهـا ولكنمـا على الشعب كهانـه موّهـوا

وشوقي لم يخالف الحقيقة التاريخية عندما تحدث عن وجود هذه الآلهة جميعا في مصر في وقت واحد، والدليل على ذلك أن المؤرخين يذكرون أن قمبيز تلقب بألقاب مصرية منها لقب "مسوت رع" أي ابن رع.. كما ذكرنا من قبل – وهذا يدل على عبادتهم لرع. أما عن عبادتهم لأمـون أيضـا فيتضـح ممـا يرويـه "هيرودوت من أن "قمبيز" أرسل جيشًا للانتقام من كهنة معبد أمون في سيوة بسبب نبوءتهم التي تنبئوا له فيها بفشل حملته، ويذكر أيضا من مصير هذه الحملة أن جميع جنود قمبيز قد فنوا تحت رمال الصـحراء (٣٠١).

أما تقديسهم للعجل "أبيس" في هذا العصر أيضا فهي مسألة ثابتة تاريخيا، وقد سبق أن تحدثنا عن قضـية مصرعه على يد قمبيز والاختلاف حولها. أما عن صفات هذا العجل فيحدثنا هيرودوت أنه عجل تلده بقـرة يقولون إن نارا تنزل عليها من السماء فتحمل في العجل "أبيس" ويحمل العجل المسـمى بهـذا الاسـم هـذه العلامات: يكون أسود اللون ذا بقعة بيضاء مربعة الشكل في وسط جبهته أو على ظهره صورة نسر علـى لسانه خنفساء (٣٠٢).

ومن الفنون التي أشار إليها شوقي إجادة المصريين لفن السحر والتنجيم، وهما من الأمور التي برع فيها المصري القديم. **وهكذا يتضح** حرص "شوقي" على تصوير البيئتين المصرية والفارسية بمعتقداتهما وعاداتهما ودياناتهما وشخصياتهما" وفقًا لما هو معروف عنهما في التاريخ إلى حد كبير، وإن خالف ما يقوله التـاريخ في قليل من الأشياء الخاصة بالديانة الفارسية مثلاً؛ فيرجع ذلك لاعتماده على تاريخ هيرودوت الذي لم يكـن دقيقًا في كلامه عن هذه الديانة.

كما التزم شوقي بالتاريخ بالنسبة لتاريخ وقوع هذه الأحداث فذكر أن زمن هذه الأحـداث هـو القـرن السادس قبل الميلاد وهو حقيقة تاريخية، فغزو قمبيز لمصر وقع سـنة ٥٢٥ ق. م كمـا حـدد الأمـاكن التاريخية أنها:

سوس عاصمة فارس، **ممفيس** عاصمة مصر. **وصا الحجر** مقر الـبلاط. وهـي كلهـا ذات المسـميات والعواصم في ذلك الوقت.

---

(٢٩٩) المرجع السابق: ص ٤٣٨.

(٣٠٠) نفس المرجع: ص ٤٢٨.

(٣٠١) هيرودوت: ص ١٢٣ – ١٢٤.

(٣٠٢) هيرودوت (أمين سلامة): ص ١٢٤.

وواضح أيضا أن مصدر شوقي الأساسي الذي استقى منه أغلب الأحداث والمعلومات التي ذكرها هو تاريخ "هيرودوت" ولا عجب في ذلك؛ فتاريخ "هيرودوت" هو مصدر المعلومات الرئيسي عن هذه الفترة، والذي يعتمد عليه أغلب المؤرخين والدارسين لهذا العصر ولهذه الأحداث سواء أكانوا معارضين لها وناقدين أم مستقين منها مقرين بها.

وإن كان "شوقي" وهو يعتمد على "هيرودوت" يحسب له أنه لم يعتمد عليه اعتماد من يستعبده النص [٣٠٣]. وإنما اعتماد المتحرر الذي يغير فيما لا يناسبه منه مثل تغييره في الحدث الرئيسي الذي بنى عليه مسرحيته والخاص بنتيتاس وعرضها على أمازيس أن يهبها مكان ابنته، ويوافق على تزويجها من "قمبيز" كما لقبها بلقب ملكة الفرس في كثير من الأحيان، وهو ما لم يرد ذكره في كتب التواريخ ولا عند هيرودوت، وكان غرضه من ذلك إعلاء شأنها، كما هو واضح من المسرحية كلها.

وكان يلجأ إلى رأي المؤرخين الآخرين فيأخذ به في بعض التغييرات التي يجريها على مسرحيته مثل أخذه بالرأي القائل بانتحار "قمبيز" بدلاً من رأي "هيرودوت" الذي يذكر فيه أنه قتل نفسه بطريق الخطأ. كما عمل "شوقي" أيضا على استبعاد كثير من الأحداث والشخصيات لكي يحقق للعمل الفني الدرامي وحدته.

---

[٣٠٣] هاجم العقاد "شوقي" بشدة في كتابه **رواية قمبيز في الميزان**، بسبب بعض التغييرات التي أجراها في مسرحيته، مدعيا أن "شوقي" أفسد التاريخ بمثل هذه التغييرات، متجاهلاً أن دوره كمؤلف مسرحي يختلف عن دور المؤرخ، الذي ينبغي عليه أن يرتبط بالتاريخ لا يحيد عنه، أما المؤلف المسرحي أو الشاعر فلا ينبغي لهما هذا الالتزام التام إلا بقدر، وله حرية التغيير والإضافة بالقدر الذي يوافق ميوله وغايته من عمله.

الباب الثالث

الدراســـة النقدية المقــارنة

الفصل الأول : بين قمبيز وكيكاوس

الفصل الثاني : بين الفردوسي وشوقي

الفصل الأول

بين قمبيز وكيكاوس

بين قمبيز "كمبوچيا" وكيكاوس

تمهيـد:

كان من المفترض أن أكتب هذا الفصل في مستهل البحث، لأبين أوجه التشابه بين الشخصيتين التي رجحـت لدينا الاعتقاد بأنهما شخص واحد هو عند مؤرخي اليونان وأهل الغرب قمبيز أو "كمبوچيـا" كمـا هـو اسـمه بالفارسية، وهو في التاريخ الفارسي الأسطوري "كيكاوس" ومعربها "قابوس"، لكنني آثرت أن أكتب هذه المقارنة حين انتهائي من عرض قصة "قمبيز" كما جاءت عند "هيرودوت" وعند غيره من المصادر التاريخية وكذا عنـد شوقي الذي اعتمد كثيرا على "هيرودوت" – كما رأينا، وانتهائي أيضا من عرض سيرة "كيكاوس" وأهم أعمالـه كما جاءت عند الفردوسي والذي اعتمد فيها على مصادر استمدت معلوماتها من مصادر دينية قديمة مثل الأبستاق والبندهشن والدينكرت، واختلطت فيها تلك الأساطير الدينية بالخرافات الشعبية وبعض الحقائق التاريخية.

فإذا نظرنا لـ"قمبيز" وما جاء عنه في المصادر التاريخية التي تأثر بها شوقي فإننا نجد أن "قمبيـز" هـو شخصية تاريخية عاش في القرن السادس قبل الميلاد توفي سنة ٥٢١ ق. م. وهو ثاني ملوك الإكمينيـين أو الهخامشيين، وأن أغلب المعلومات التي تُذكر عنه وعن أسرته تُستمد من المصادر اليونانية وعلـى رأسـها تاريخ "هيرودوت" والذي شهد له الكثيرون بصحة أقواله، وصدقت عليها النقوش المسمارية، وقد اعتمد عليه وعلى أقواله كثير من المؤرخين المعاصرين – كما رأينا – في الباب الثاني.

أما "كيكاوس" فهو ثاني ملوك الكيانيين وهي أسرة تطغى الأسطورة على سيرة ملوكها بنسب متفاوتة وتقل الأسطورة وتزداد الحقائق التاريخية كلما اقتربنا من نهاية هذه الأسرة.

وقد خلط بعض المؤرخين بين سيرة ملوك الكيانيين وملوك الهخامنشيين، ويرجع هذا الخلط إلـى التشـابه الواقع بين سيرة بعض الملوك هنا وهناك، وقد حدث الخلط بينهما قديما وحديثًا، فقديما كان البيروني [٣٠٤] مثلاً يرى أن "كورش" مؤسس الدولة الهخامنشية (٥٥٩ – ٣٣٠ ق. م) هو كيخسرو ثالث ملوك الكيـانيين والـذي تولى الملك خلفًا لجده كيكاوس. وفي مروج الذهب أن "كورش" هو والي العراق من قبـل بهمـن [٣٠٥]. وفيـه أيضا أن دارا بن دارا هو "داريوش" [٣٠٦] وقد جاء عند الطبري أن "كيرش" (كورش) و"داريوش" و"أخشويرش" وغيرهم هم ملوك العراق وبابل من قبل "بهمن" المقيم ببلخ، ومن قبل "خماني" من بعد "بهمن" ومن قبلهم كـان هناك بختنصر من قبل "لهراسب" وابنه "بشتاسب" [٣٠٧] وقد قال المسعودي أيضا في مروج الذهب بمثـل هـذا الرأي، فقال بعد أن تحدث عن ملوك بابل من الكلدانيين: "وذهبت طائفة من الناس أن هؤلاء الملوك كانوا مـن النبط وغيرهم من الأمم، وأنه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيما ببلخ" [٣٠٨].

---

[٣٠٤] الآثار الباقية: ص ١١١.

[٣٠٥] مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٣١.

[٣٠٦] مروج الذهب: جـ ١ ص ٢٣٢.

[٣٠٧] تاريخ الطبري: جـ ١ ص ٥٤٣.

[٣٠٨] مروج الذهب: جـ ١ ص ٢١٩.

وفي العصر الحديث أيضا اختلف الباحثون في أمر ملوك الكيانيين والهخامنشيين، فذهب بعضهم مثـل د. ذبيح الله صفا وعباس بور شوشتري إلى أنهما أسرتان ملكيتان واحدة في مشرق إيـران وكـان سـلاطينها يتلقبون بلقب "كي" ويعني "ملك" وهم الكيانيون. والثانية في المغرب وكان ملوكها يتلقبون بلقب "خشاتيثّيه" أو "خشايثيه" "خشايثيانم" الذي أُبدل فيما بعد إلى "شاه" و"شاهنشاه" ويضيف إلى هذا أيضا أن الأسرة التي كانـت في مشرق إيران كانت لها الرئاسة الروحية على تلك التي كانت في المغرب (٣٠٩).

وأرى أن الذي حدا بهؤلاء المؤرخين إلى الاعتقاد بأن هناك أسرتين واحدة في المشـرق وأخـرى فـي المغرب هو هذا الخلط الذي وجد في سيرة الكيانيين مع سيرة ملوك الهخامنشيين، كما يرجع إلى أن معظـم المؤرخين المسلمين عندما أرادوا أن يكتبوا عن تاريخ الفرس راجعوا كتب التواريخ الفارسية القديمة، فوجدوا تاريخ الفرس فيها مختلفا عما جاء عند المؤرخين اليونانيين وعما جاء في التوراة، لكنهم فضلوا إثبات ما جاء عند الفرس لاعتقادهم في صحة ما يرويه الفرس عن تاريخهم، يتضح هذا من قول المسعودي معلقًا على مـا جاء عن كورش فيقول "وفي وجه آخر من الروايات أنه كان ملكًا برأسه لا من قبل بهمن" ويقول في التنبيـه والإشراف إنه ذكر في كتبه ما ذكره عن تاريخ الفرس وملوكها معتمدا على كتب الفرس دون غيـرهم مـن الأمم من إسرائيليين ويونانيين وروم، لأن الفرس في رأيه أحق أن يؤخذ عنها (٣١٠). وقد لاحـظ البيرونـي أيضا نفس الملاحظة من اختلاف ما يرويه الفرس عن ملوكهم عما جاء في المصادر الأخرى وبعد أن أثبتوا تاريخ الفرس كما جاء في المصادر الفارسية وبنفس التقسيم الذي جاء في الشاهنامة مـن ملـوك بيشـداديين وكيانيين وساسانيين، لاحظوا التشابه في سيرة بعض الملوك الكيانيين وما جاء عند اليونانيين وفي التوراة من سيرة الملوك الهخامنشيين "الإكمينيين" فخلطوا بين بعض الملوك وبعض، أو توقعوا أن تكون هناك أسـرتان واحدة في بلخ والأخرى في بابل، وأن التي في بلخ لها الرئاسة الروحية على الأسرة الأخـرى. وهـذا هـو الرأي الذي اعتنقه ذبيح الله صفا وعباس بور والذي عرضنا له منذ قليل.

وهناك كثير من المستشرقين والباحثين المعاصرين يرون أن الأسرة الكيانية هي أسرة نصف أسـطورية بمعنى أن هناك بعض الحقائق التاريخية التي ترد في سيرة هؤلاء الملوك – ومن بين الذين حاولوا التوحيـد بين الكيانيين والهخامنشيين المستشرق "هرتل" في كتابه "الهخامنشيين" و"الكيانيين" الذي صرح فيه بأن الملوك المتأخرين من الكيانيين هم في الحقيقة عبارة عن ملوك هخامنشيين، وقد تابعه في هذا الرأي أيضا المستشرق هرتسفلد (٣١١). وهناك المستشرق إدوارد براون الذي رأى أن الملك الكياني بهمن ما هو إلا الملك الهخامنشي أردشير دراز دست (طويل الذراع) (ارتخشترا) (٣١٢). وقد حاول نولدكه أيضا أن يوجد علاقة بـين ملـوك الكيانيين والإكمينيين (الهخامنشيين) فقارن بين "كورش" و"كيخسرو" وبين "استواكس" ملك الميديين وأفراسياب ملك الترك الأسطوري، وبين "هارباكوس" وزير "استواكس" و"بيران" وزير "أفراسياب" وخلص من كل هـذه المقارنات إلى وجود هذه العلاقة (٣١٣).

---

(٣٠٩) راجع حماسة سرائي: ص ٤٥٢؛ كارنامهء إيرانيان: جـ ٢ ص ٥٤ – ٥٥.

(٣١٠) التنبيه والإشراف: ص ١٠٥.

(٣١١) نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٤٥٠ – ٤٥١.

(٣١٢) تاريخ الآدب في إيران (الترجمة العربية): جـ ١ ص ١٩٧.

(٣١٣) حماسة ملي: ص ٣.

وهناك أيضا سير وليم جونز الذي حاول أن يوحد بين الكيانيين والإكمينيين (الهخامنشـيين)، ومؤرخـو الترك والفرس في العصر الحديث – كما يذكر د. عبد الوهاب عزام – يسمون كورش وكيخسرو، وقمبيـز وكيكاوس [٣١٤]، وأعتقد أنا في صحة هذه المقارنات إلى حد كبير، ولعل طريقـة جمـع الفـرس القـدامى لتاريخهم. التي خلطوا فيها بين ما توارثوه عن أسلافهم الهنود من أساطير آرية اتفقا فيها على أسماء الآلهـة وقوى الخير والشر ووقائع أحداثهم، وما تناقلوه من حكايات وقصص خرافية وشعبية، ثم انضاف إلـى هـذا المزيج ما وعوه من ذكريات عن ملوكهم التاريخيين من هخامنشيين وإشكانيين، وما وعـوه عـن أبطـالهم القوميين، وسجلوا هذا كله في كتبهم القديمة المسماة بـ"خداي نامه" أو سير الملوك بعـد أن غُلِّـف بثـوب التاريخ، وأعطى شكل وقائعه وأحداثه، وانقلب فيه الآلهة وقوى الخير والشر إلى ملوك وأبطال، وأضيف إلى كل شخصية من الشخصيات صفات وأعمال تناسب ما كان لها من رمز للخير أو الشر في الأساطير الدينية، فإذا أخذنا "كيكانس" مثلاً لنا لرأينا أن الأساطير الدينية التي رويت عنه في الأفستا وفي الفيدا الهنديـة تـربط بينه وبين الجن والشياطين، وتصفه أحيانًا باللجاجة وسوء الخلق، وعندما ألبس ثوب الملوك وصار شخصـية تاريخية احتفظ أيضا بهذه الصفات وكثير من الأعمال التي تناسب شخصيته فصـار يصـارع الجـن فـي مازندران، ويأمرهم أن يبنوا له ذلك البناء العجيب، ثم يذهب لحرب السماء بعد أن أغواه الجن بذلك. ومـن العجيب أيضا أن الملك الهخامنشي الذي انضافت سيرته لكيكاوس هذا أو الذي اختلطت سيرته وبعض أعماله بسيرة "كيكاوس" وهو قمبيز قد اشتهر أيضا بصفات مثل اللجاجة والعناد وسوء الخلق، ولعل هذا التشابه كان سببا في إلباس "كيكاوس" الشخصية الأسطورية ثوب "قمبيز بن كوروش" الشخصية التاريخية، بينمـا أُلـبس حفيده "كيخسرو" ثوب "كوروش الكبير" مؤسس الأسرة الهخامنشية ووالد "قمبيز" لتشابه الأساطير المروية عن "كيخسرو" مع السيرة الحربية والأعمال المروية عن "كورش الكبير".

ونخلص من هذه المقدمات إلى أنه توجد أوجه شبه قوية بين ملوك الكيانيين وملـوك الهخامنشـيين وأن إضافة أو خلط سيرة أي ملك هخامنشي بنظيره الكياني لا يكون منوطًا بالترتيب التاريخي بقدر ما هو منوط بالتشابه بين الشخصيتين في السير والصفات، كما سنبين في السطور التالية.

بين قمبيز وكيكاوس:

السمات الشخصية : فإذا نظرنا لصفاتهما الشخصية وسيرتهما الحربية وأهم أعمالهما نجد أن هنـاك بعـض السمات الشخصية وبعض الأعمال التي تنسب لكليهما، منها:

---

[٣١٤] مقدمة الشاهنامة العربية: جـ ١ ص ٧٣.

الحمق والجنون : إن الصفة الأساسية التي اتصف بها كلاهما هي: النزق والحمق واللجاجة وسوء الخلق، كما اتصفا بالجنون وقلة العقل أيضا. يقول هيرودوت عن "قمبيز" إنه كان مجنوناً، وإن كان لا يدري سبب جنونه هل يرجع لما فعله مع "أبيس" أو لأنه كان مصابا بداء (الصرع) منذ ولادته، وعلى هذا يعتقد أنه ليس غريبا أن يتأثر عقله بدرجة ما. ثم ذكر حوادث كثيرة ليؤكد صحة ما ذهب إليه فقال إنه قتل أخاه في نوبة جنون ثم قتل أخته، وقتل حامل كأسه، وهم بقتل أحد النبلاء من قادته لأنه نصحه ألا يسمح لنفسه بالتمادي في نزق الشباب، وحمية الطباع" وأنه دفن عددا من نبلاء فارس أحياء بلا ذنب، ويروي عنه هيرودوت أيضا ارتكابه بعض الأمور المحرمة بالنسبة للديانات سواء أكانت بالنسبة لديانته أم لديانة المصريين؛ فينسب إليه أنه أمر بحرق جثة "أمازيس" مع ما في ذلك من مخالفة لعقيدته وعقيدة المصريين أيضا، كما ذهب لمعبد ڤولكان وأخذ يرمي التمثال القائم هناك بعدد لا يحصى من السهام. كما أرسل جزءا من جيشه لمحاربة كهنة معبد أمون وتحطيمه في واحة سيوة إلا أنهم دفنوا في الصحراء (٣١٥).

كل هذه الصفات والأعمال المنسوبة لقمبيز نجد مثيلاً لكثير منها في سيرة "كيكاوس" أيضا وفي أقدم المصادر، ففي البندهشن مثلاً يوصف "كي اوس" بأنه سيئ الطبع وفي الدينكرت وصف بأنه مضطرب العقل ذو عناد ولجاجة (٣١٦).

وقد وصف بمثل هذه الصفات أيضا عند الثعالبي الذي لخص كل أحواله في قوله: "وكان كيكاوس عجيب الشأن، شديد التلون؛ فطورا ملك رشيد، وطورا جبار عنيد، وتارة ملك سديد وأخرى شيطان مريد، ومرة وقور حصيف، ومرة ركيك سخيف، وكان الأغلب عليه ركوب الهوى، واتباع المنى، والاستبداد بالآراء، وحب النساء، ورد النصيحة، والتعرض للفضيحة" (٣١٧).

وقد وصفه الفردوسي في الشاهنامة بمثل هذه الأوصاف في مناسبات عديدة، فقال عنه "زال" عندما سمع بخبر عزمه على الخروج لغزو "مازندران" ولم يستمع لنصح قواده انفعل وأخذ يقول (٣١٨):

- إن كيكاوس رجل عنيد، لم يجرب من الدنيا حرها ولا بردها.

---

(٣١٥) راجع: "هيرودوت": (ترجمة أمين سلامة)، ص ١٢٥ – ص ١٣٠.

(٣١٦) نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٤٦٩ – ٤٧٠.

(٣١٧) الغرر في أخبار ملوك الفرس: ص ١٥٤ – ١٥٥.

(٣١٨) شاهنامه فردوسي: جـ ٢ ص ٣٢٠ البيت بالفارسية:

همي گفت كاوس خود كامه مرد نه گرم آزموده زگيتي نه سرد

وعندما ذهب زال (دستان) إليه ونصحه، ولم يقبل الملك نصيحته فإنه [٣١٩]:

- عندما سمع من الملك هذا الكلام، لم ير بادرة لرجوعه عما في رأسه.

وهذا دليل على رده النصيحة مثله في هذا مثل قمبيز لكنه لم يكن في عنف "قمبيز" ولم يسفك الدماء مثل "قمبيز" الذي حاول قتل قائده الليدي عندما تجرأ وأسدى إليه نصيحة، كما قتل ابن بريكساسبيس الذي كان يقدره أكثر من جميع الفرس وهو حامل رسائل الملك، أما ابنه فهو حامل كأس الملك وقد قتله ليثبت لبريكساسبيس وللفرس أن يده ثابتة وأنها لا ترتعش من أثر تعاطيه الخمر [٣٢٠].

وإذا كان "قمبيز" قد وصف بالخروج عن تعاليم الدين سواء أكان دينه أم دين الآخرين – كما رأينا قبلاً – فإن كيكاوس أيضا وصف بهذه الصفة، ففي الأساطير القديمة أن كيكاوس سيئ الطبع صار لحرب السماء، وجاء فيها أيضا أنه أخذ جيشًا من الشياطين والسيئين للهجوم على السماء[٣٢١]. وقد وصفه الفردوسي أيضا بالخروج عن الدين، فقال على لسان رستم عندما سمع بوقوعه في ضاحية من ضواحي الصين، بعد محاولته الفاشلة للصعود إلى السماء فقال رستم[٣٢٢]:

- إنني أرى في كل يوم في الدنيا كثيرا من أرباب التاج والعرش من الملوك والعظماء.
- لكنني لم أر فيها مثل كيكاوس العنيد لا من الكبار ولا من الصغار.
- لا عقل لديه ولا دين ولا رأي، كأن رأسه فارغ من العقل وصدره خالٍ من القلب.
- كأنه بغير عقل في رأسه، ولا فكر في أعماله.

أما "جودرز" أحد قادته وأبطاله فقد واجهه بكلام أعنف من هذا أيضا عندما ذهب لإنقاذه من هذا المنقاب الذي أودى بنفسه إليه فقال له [٣٢٣]:

- إن مستشفى المرضى، أولى بك من العاصمة.
- فأنت في كل زمان تُفسح مكانك للأعداء، وكأنك شخص مجنون.
- أغرت على الأرض كلها، والآن تُغير على السماء!

مع كل هذا التقريع فقد نزهت الأساطير "كيكاوس" عن الفتك بقادته وإهلاكهم كما فعل "قمبيز".

---

[٣١٩] شاهنامه فردوسي: جـ ٢ ص ٣٢٤، البيت بالفارسية:

چو ازشاه بشـنيد زال ايـن سـخن　　　نديــد ايــچ پيــدا ســرش ازبــن

[٣٢٠] راجع هيرودوت: (ترجمة أمين سلامة): ص ١٢٤.

[٣٢١] نقلاً عن حماسه سرائي: ص ٤٦٩، ٤٧٠.

[٣٢٢] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤١٢، الأبيات بالفارسية:

همي بينم اندر جهـان تـاج وتخـت　　　كيــان وبزركــان پيــدا ربخــت
چو كاؤس خود كامـه انـدر جهـان　　　نديــدم كــس ازكهــان ومهــن
خردنيست اورانـه ديـن ونـه راي　　　نه هوسش بجايسـت ونـه دل بجـاي
تو كويي سرش انـدرون مغزنيسـت　　　يــك انديشــه او همــي نغزنيســت

- المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٢٢، سبق إيرادها.

[٣٢٣] شاهنامه فردوسي: جـ ٢ ص ٤٢٢، سبق إيرادها.

ولعل **تلك الحملة** التي أرسلها "قمبيز" على بلاد الآمونيين لتحطيم معبدا أمون هناك والانتقام من كهنتـه، والتـي دفنت تحت العاصفة الرملية التي هبت عليها، لعلها تشبه ما حدث لجنود كيكاوس الذين ذهبوا معه لحرب السـماء، فانقلبوا من فوق الجبل وأُتلفوا، وكاد هو نفسه يتعرض للهلاك؛ وقد تسبب كلاهما برعونته وطيشه في هلاك الكثير من الجنود، فقمبيز - كما يحدثنا هيرودوت - قام بحملة فاشلة على بلاد الأثيوبيين وتصرف برعونة وبجنون كمـا يصفه، فأسرع بالقيام بهذه الحملة دون أن يعد العدة لها ولا المؤونة اللازمة، ودون أن يفكر أنه سيشن حربا في آخر الدنيا، مما أدى على هلاك الكثير من جنوده من الجوع والعطش ووصل الأمر بهم أن كل عشرة من الجند كـانوا يختارون واحدا من بينهم بالقرعة ليأكلوه. ولما علم قمبيز بذلك عاد إلى مصر وهو يجر أذيال الخيبة والعار [٣٢٤].

أما "كيكاوس" فقد تسبب هو أيضا برعونته وعدم استماعه لنصح قواده في إهلاك جنـوده مـرة فـي مازندران، ومرة في بلاد هماوران (اليمن). ففي مازندران، أسرهم الجني الأبيض وأعمـاهم إلا أنـه لـم يهلكهم ليعرفوا أقدارهم، جاء ذلك في رسالته إلى ملك مازندران [٣٢٥]:

- وقال له قل للملك، لا تبحث عن خدمة أخرى من الجني الآن.
- فقد أديت ما وجب، ومرغت جيش إيران في الوحل.
- وقد أصبح كل جيش إيران وأبطاله، لا شمسا يرون ولا قمرا.
- لم نقتلهم ولكن أفزعناهم، ليعرفوا أقدارهم.

وفي بلاد "هماوران" تسبب أيضا في وقوعه في الأسر، وإهلاك جنوده وتشتتهم في البلاد، كل هذا نتيجة لرعونته وتسرعه في إجابة دعوة ملك البلاد له، رغم نصح سودابة له ألا يفعل، ثم وقع في الأسـر هـو وقادته، أما جيوشه [٣٢٦] فإنها:

- عندما حبس الملك صاحب التاج، مضت جيوشه إلى إيران.
- فعبروا البحر بالسفن والزوارق، وسلكوا طريقهم عبر الصحاري والجبال.
- وعندما وصلت جيوشه إلى إيران، تفرقت في كل البلاد.

مقتل العجل المقدس والبقرة المقدسة:

ومن الأعمال التي تُنسب لقمبيز حادثة مقتل العجل "أبيس" المقدس لدى المصريين في ذلك الوقـت علـى يديه، وقد سبق أن بينا الآراء حولها – أما عن كيكاوس فتنسب إليه المصادر البهلوية أسطورة خاصة بقتلـه للبقرة المقدسة، وتقول الأسطورة: من أعمال كيكاوس الفاسدة أنه قتل البقرة المقدسة التي خلقها – أهورامزدا – ليحفظ الحدود بين إيران وتوران، فكانت تلك البقرة إذا نشب صراع بين الإيرانيين والتـورانيين، تضـع حافرها على الحد الواقعي للبلدين فينتهي هذا النزاع على الفور، فأراد "كيكاوس" أن يهجم على توران فـأمر بطل اسمه "سريت" بقتل البقرة، فنفذ هذا البطل أمره ثم انتحر بعد ذلك [٣٢٧]. وبهذا تشترك سيرة الاثنين فـي هذه الحادثة أيضا الخاصة بمقتل البقرة المقدسة والعجل المقدس.

---

[٣٢٤] هيرودوت: (أمين سلامة): ص ١٢٠ – ١٢٣.

[٣٢٥] شاهنامة فردوسي جـ ٢ ص ٣٣٠، سبق إيرادها.

[٣٢٦] المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٩٠ – ٣٩١، وسبق إيراد الأبيات.

[٣٢٧] نقلاً عن حماسة سرائي: ص ٦٩.

مقتل برديا وأوشنر:

ومن الأمور الفاسدة التي تنسب لقمبيز أيضا إقدامه على قتل أخيه "برديا" حاكم الأقاليم الشرقية لإيران الموصوف بالعقل والحكمة، والمحبوب من الإيرانيين، ولعل هذا يتشابه أيضا مع ما نُسب لكيكاوس في "الدينكرت" من أعمال جبارة، منها: قيامه بقتل وزيره المسمى "أوشنر" والذي اشتهر بأنه رجل حكيم وعالم، كما كان عارفًا بكل اللغات، مسيطرا على الجن، حاكما للأقاليم السبعة (٣٢٨)، إلا أن كيكاوس قتله رغم هذا.

الزواج من نتيتاس والزواج من سودابة:

ومن الأمور التي تنسب إلى كل من الملكين – كما يذكر عباس پور شوستري (٣٢٩) هو رغبة كل منهما في التزوج من ابنة أحد الملوك، فقد رأينا "قمبيز" – في القصة – يرسل لملك مصر طالبا الزواج من ابنته، لكنه لم يرحب بالفكرة فأرسل ابنة سلفه "ابرياس" إليه وجهزها كما لو كانت ابنته.. إلخ.. وقد قام "كيكاوس" هو أيضا بخطبة ابنة ملك "هاماوران" الذي لم يرحب هو أيضا بالفكرة وإنما (٣٣٠):

- عندما سمع هذا الكلام، امتلأ قلبه ألما ودار رأسه.
- وقال لنفسه إن كل ما قاله الملك حق، فقد ملك العالم وانتصر وصار نافذ الأمر.
- أما أنا فليس لي في الدنيا غير هذه الابنة، وهي عندي أغلى من روحي.

وفي القصتين رغب كل من "قمبيز" و"كيكاوس" في الزواج بعد أن قام شخص آخر بترغيبهما في ذلك. ففي قصة "قمبيز" مثلاً قام الطبيب المصري الذي كان "أمازيس" قد أرسله لبلاط "كوروش" بترغيب "قمبيز" في الزواج من ابنة "أمازيس" وبالنسبة "لكيكاوس" أيضا قام أحدهم بوصف ابنة ملك "هاماوران" له ورغبه في الزواج منها كما يقول الفردوسي (٣٣١):

- وبعد ذلك قال قائل لكيكاوس، إن وراء ستوره بنت.
- قامتها أجمل من السرو الممشوق، يزين تاج من المسك الأسود رأسها.
- فخفق قلب كيكاوس، وأجاب إنه لمن الرأي.
- أن أطلبها من والدها، وأزين حرمنا بتلك الفاتنة.

---

(٣٢٨) نفس المرجع والصفحة.

(٣٢٩) كارنامه إيرانيات: جـ ٢ ص ١٢٢.

(٣٣٠) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٥، سبق إيرادها.

(٣٣١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٨٤ الأبيات بالفارسية:

وزان پس بكاؤس كوينده كفت — كه او دختري دارد اندر نهفت

كه ازسرو بالاش زيباتر است — زمشك سيه برسرش افسراست

بجنبيد كاؤوسرا دل زجاي — چنين داد پاسخ كه نيكست راي

من اورا كنم ازبدر خواستار — كه زيبد بمشكوي ما آن نگار

وقد شن "قمبيز" حربه على مصر بسبب هذه الزيجة – كما يذكر هيرودوت – وبسبب الخدعة التي قام بها ملك مصر عندما زف إليه ابنة سلفه على أنها ابنته – كما أوضحنا قبلاً – أما كيكاوس، فقد وقع هو نفسه ضحية هذه الزيجة، فقد حقد عليه ملك هاماوران نتيجة لذلك، وأخذ يتحين الفرصة إلى أن أوقع به أسيرا وشتت شمل جيوشه.

السيرة الحربية:

تتشابه السيرة الحربية أيضا عند "قمبيز" و"كيكاوس" بل إن السيرة الحربية بين الهخامنشيين والكيانيين تتشابه عموما. فإذا نظرنا لسيرة الهخامنشيين الحربية منذ تولي "كوروش" (٥٥٩ – ٥٢٩ ق. م) نرى أن الطابع الحربي هو الغالب على أعمال كوروش فقد قام أولاً بكثير من العمليات الحربية بسط فيها نفوذه على جميع ولايات إيران، ثم قام بتوسيع ملكه وبسط سلطانه خارج حدود إيران فقامت حروب بينه وبين مملكة "ليديا" التي استولى عليها، ثم استولى على المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى، ثم اتجه إلى الشرق حتى وصل إلى السند، ثم رجع واستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق. م. وأصبحت كل الدول التي كانت خاضعة لبابل تحت سيطرته هو من بلاد الشام وفينيقيا وفلسطين، ثم أخذ يعد العدة للاستيلاء على مصر، لكنه مات قبل أن تتحقق هذه الأمنية، ثم جاء بعده ولده "قمبيز" الذي أكمل فتوحات أبيه ووصل إلى مصر وأثيوبيا وليبيا – وفي عهد خلفه "دار يوش" بلغت الإمبراطورية الفارسية أقصى اتساع لها، وسيطرت على ممالك العالم القديم تقريبا [٣٣٢]، ومن هذا العرض يتضح أن السيرة الحربية كانت سمة مميزة لملوك الهخامنشيين، ونفس هذا الشيء تقريبا لاحظته على السيرة الحربية لملوك الكيانيين عموما فقد كانت الأعمال التي تُنسب لملوك البيشداديين يدور أغلبها حول الصراع مع الجن والاكتشافات الطبيعية والصناعات البدائية، أما عند ملوك الكيانيين فقد تطور الصراع مع الجن إلى صراع مع الجيران على الحدود، وإلى فتح وسيطرة على الممالك الأخرى، فينسب إلى "كيقباد" أول ملوكهم أنه حمى بلاده من غارة الترك عليها. وينسب إلى "كيخسرو" ثالث ملوكهم كثير من وقائع البطولة والحروب التي شنها على الترك للانتقام لأبيه سياوش، ووصوله إلى بلاد السند والصين – وغيرها[٣٣٣].

وهكذا نلاحظ أن السمة الحربية هي سمة مشتركة بين الأسرتين عموما. فإذا رجعنا إلى "قمبيز" و"كيكاوس" لنقارن بين ما نُسب إليهما من سيرة حربية في الوقائع التاريخية والأسطورية نلاحظ شبها أيضا بين السيرتين:

أما عند "قمبيز" فقد ذكرنا قبلاً أنه عندما تولى الملك سنة ٥٢٥ ق. م. خلفًا لأبيه "كوروش" انشغل لمدة ثلاث سنوات في القضاء على العصيان الداخلي الذي حدث في الولايات الإيرانية، وبعد ذلك جهز حملته على مصر، وسار إليها عن طريق البر ليفاجئ عدوه الذي توقع قدومه من البحر، ثم جهز حملة على بلاد السودان وأثيوبيا، وقد أعلنت ليبيا الخضوع له [٣٣٤].

---

[٣٣٢] راجع تاريخ إيران: حسن پيرنيا: جـ ١ ص ١٩ – ٢٧.

[٣٣٣] لمزيد من التفصيل راجع: تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي لصاحبة البحث: ص ٤٠ – ٥٩ ط الإسكندرية سنة ١٩٩٣ م.

[٣٣٤] هيرودوت: (أمين سلامة): ص ؟؟؟ .

وسيرة "قمبيز" الحربية هذه تتشابه مع ما ينسب إلى "كيكاوس" من كثرة الحروب بحيث يتغلب الطابع العسكري على سيرته، فقد رأينا حربه في مازندران بعد أن تولى الملك مباشرة، وبعد ذلك ذهب إلى "بربرستان" وقد أوضحنا قبلاً أن المقصود ببربرستان هذه: مكان في الهند أو قريب منه، فيقول الفردوسي[٣٣٥]:

- فمضى من إيران إلى توران والصين، وعبرها إلى مكران.
- وقد قبل الجميع دفع الجزية والخراج، ولم يجربوا قوة الأسد الهصور.
- وهكذا وصلوا متبخترين إلى البربر، مع الملك الفاتح ذي التاج والإكليل.

وبعد أن انتهى من أمر ملك البربر هذا عطف إلى زابلستان وقضى شهرا في ضيافة رستم.

ويحدثنا الفردوسي بعد ذلك على حملته على بلاد "هاماوران" والبربر ومصر. وهذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها اسم (مصر) عند الفردوسي بحيث تصبح مركزا للصراع مع الفرس، وهذه الحملة التي تحدثنا عنها الشاهنامة تشبه تلك الحملة البربرية التي قام بها قمبيز على مصر، ولعل المقصود ببلاد البربر المذكورة هنا هي بلاد الحبشة والسودان المذكورة في حملة "قمبيز" أما بلاد هاماوران (اليمن) المذكورة في هذه الحملة، فأعتقد أن الشاهنامة قد خلطت فيها سيرة "وهرز" القائد الفارسي الذي أرسله "أنوشروان" لمساعدة سيف بن ذي يزن الذي طلب منه مساعدته في إجلاء الأحباش عن بلاده.

وإذا كان قمبيز قد قام بحملة برية ليفاجئ المصريين، فإن "كيكاوس" على عكسه قد اختار طريق البحر لأنه أقرب وحتى يتحقق له عنصر المفاجأة نفسه، يقول الفردوسي [٣٣٦]:

- وقد عبر بالجيش من الصحراء إلى البحر، حتى لا يراه العدو.
- وأخذ يسرع إلى أن وصل إلى مدينة بين ثلاثة مدن.
- عن اليسار مصر، والبربر عن اليمين، وبحر زره أمامه على النحو الذي يريده. ولا يهمنا هذه المدينة العجيبة التي تجاور هذه الممالك المترامية البعيدة، بقدر ما يهمنا أسماء تلك الممالك التي جاءت فيها، والتي جعلتنا نظن أنها تتشابه مع حملة قمبيز، العسكرية على مصر.

وهكذا نرى أن سيرة هذين الملكين تتشابه ويشتركان في كثير من الأشياء مثل السمات الشخصية، وبعض الأعمال التي قاما بها، وكذا السيرة الحربية، مما يقوي لدينا الاعتقاد بأن يكونا شخصا واحدا وأن يكون المقصود بكيكاوس في التاريخ الأسطوري أو النصف أسطوري للكيانيين هو "قمبيز" في التاريخ الواقعي للهخامنشيين. وإن كانت سيرة "قمبيز" كما رأينا تاريخًا مختلطًا ببعض القصص أو الأساطير، فإن سيرة "كيكاوس" أساطير ممتزجة ببعض التاريخ.

---

[٣٣٥] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٠، سبق إيرادها.

[٣٣٦] المرجع السابق: جـ ٢ ص ٣٨٢، سبق إيرادها.

الفصل الثاني

بين الفـــردوســـي وشــــوقي

بين الفردوسي وشوقي

فإذا وصلنا في ختام المطاف إلى المقارنة بين الشاعرين اللذين نظما قصة "قمبيـز" و"كيكـاوس" فـي أشعارهما لنبين أوجه الاختلاف بينهما وأوجه التشابه فإننا نرى:

أولاً: أوجه الاختلاف:

أن الفردوسي قد نظم قصته ضمن وقائع ملحمته المشهورة "الشاهنامة" التي تحوي تاريخ إيران وما داخله من قصص وأساطير في مختلف أدواره منذ عهد أول ملوك البيشداديين "كيومرث" إلى نهاية الدولة الساسانية في القرن السادس الميلادي على يد المسلمين والملحمة كلها تقع في نحو ستين ألف بيت، أما قصة "كيكاوس" وما يتعلق بها من وقائع وأحداث فتقع في حوالي سبعة آلاف بيت.

أما شوقي فقد تناول قصة "قمبيز" في مسرحيته المسماة بذات الاسم.

وعلى هذا يكون **أول الفروق** بين هذين العملين الأدبيين هو فارق القالب الفني، فالفردوسي اختار لعملـه قالب الملحمة وهو قالب واسع عريض، يتيح للشاعر الكثير من الحرية في التصوير والخيال والمبالغة، كمـا تتيح له الانتقال من قصة على قصة نحو الاستطراد إلى موضوعات جانبية، هذا إلى جانب التفصـيل فـي الأحداث التي يستحبها، والنفخ في كل حكاية يريد أن يبرزها. فالملحمة – كما يذكر د. محمد غنيمي هلال – هي قصة بطولة تروى شعرا، تحتوي على أفعال عجيبة أي خارقة للعادة، وفيها أيضا يتجاور الوصف مـع الحوار وصور الشخصيات كما لا تخلو من الاستطرادات وعوارض الأحداث [٣٣٧].

من هنا فقد رأينا الفردوسي وقد أفاض في تفصيل وقائع القصة "كيكاوس"، وانتقل مـن قصـة لأخـرى، فاستطرد إلى تفصيل وقائع قصة رستم واسفنديار، وزواج كيكاوس من أم "سياوش" ثم انتقل لتفصيل قصـة "سياوش" وما أصابه بسبب سودابة، ولجوئه إلى أفراسياب ومقتله هناك، وفي كلتـا القصـتين نـراه يتتبـع الأشخاص منذ ولادتهم حتى شبوا وترعرعوا وقُتلوا وأدرك ثأرهم أيضا. كما انتقل من مكان لآخـر، فمـن غزو مازندران إلى توران والصين ومكران، ومن مكوث في زابلستان إلى مضي لحرب هاماوران ومصـر وبربرستان – ومن مغامرة خارقة مثل محاولته الصعود إلى السماء، وعبور رستم المنـازل السـبعة، إلـى صراع مع الجن، أو بناء عجيب تبنيه الجن له.

كل هذه الأحداث وغيرها وكثير من التفاصيل والمبالغات والقصص الطويلة كانت مضمون هذه القصـة "كيكاوس" في الشاهنامة وقد أتاح له القالب الملحمي الذي اختاره أن يفصل في هذه القصص، ويبـالغ فيهـا ليغطي مدة حكم "كيكاوس" التي تبلغ مائة وخمسين عاما.

---

[٣٣٧] د. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن: ص ١٤١ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ م.

أما "شوقي" فقد اختار "المسرحية" لتكون قالبا لعمله الفني، والمسرحية تفترق عن الملحمة افتراقًا جوهريـا وهو عنصر التركيز، فالمسرحية – كما يذكر محمود حامد شوكت – تقدم صورة تمثل الحياة صـافية مـن شوائبها وتفاصيلها [٣٣٨]. وعلى المؤلف المسرحي بناء على هـذا أن يبتعـد عـن التفاصـيل والاسـتطراد والأحداث العارضة، وعليه أيضا أن يختار عناصر ذات مدلول في مسرحيته ويؤلف بينها في فكره ويحركها في خياله إلى نهاية محتومة. وعلى هذا رأينا شوقي يختار من كل ما ذكر عن "قمبيز" حدثًا معينًا وهو غـزو قمبيز لمصر الذي استغرق حوالي ثلاث سنوات من سنة ٥٢٥ ق. م – سنة ٥٢٢ ق. م أو سـنة ٥٢١ ق. م في بعض الآراء – كما تخير من بين القصص التي ذكرها "هيرودوت" عن سبب غزو مصر قصة واحـدة، وهي قصة رغبة قمبيز في الزواج من ابنة ملك مصر "أمازيس"... إلخ وتخير من الأشخاص الكثيرين الذين ذُكروا عند "هيرودوت" بعض شخوص مسرحيته فاختار "قمبيز" و"نتيتاس" لبطولة المسرحية واختار بجـانبهم "فانيس" القائد اليوناني المرتزق، و"أمازيس" فرعون مصر وابنه أبسماتيك، وهكذا اختار بعض الشخصـيات الضرورية فقط لمسرحيته، وقد أضاف إليها بعض الشخصيات الخيالية ليكمل الصورة وينطقها بآرائه هـو. وهكذا فرض القالب الفني المسرحي على شوقي تركيز الأحداث وتخير الشخصيات.

---

[٣٣٨] محمود حامد شوكت: المسرحية في شعر شوقي: ص ٩.

ثاني هذه الفروق بين الفردوسي وشوقي أنه في الملحمة يتجاور الوصف مع السرد والحوار أحيانًا، من أمثلة ذلك: وصفه لحملة "كيكاوس" على بلاد "هاماوران"، فقال [(٣٣٩)]:

- عندما وصلهم خبر أن كيكاوس قد جاء مع جيشه من بحر زره.
- وأخذوا يتصايحون، ومن ناحية البربر كان معبر الجيش.
- وأخذ الأبطال المحاربون، يجتمعون في بربرستان.
- وصاروا جيشًا ضاق من نعال خيوله البر والبحر والجبال.
- وضاق المكان بالأسد الضواري، وضاقت الصحراء بحمر الوحش المغضبة.
- حتى السماء أفزعوا فيها السحاب، وأفزعوا الفهود في النجاد والسمك في البحار.

---

(٣٣٩) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٢ – ٣٨٤، الأبيات بالفارسية:

(٣٣٩) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٢ – ٣٨٤، الأبيات بالفارسية:

خبر شد بد يشان كه كاؤس شاه
هم آوا ز كشتند با يكد يگر
سپه بود چندان بل تيغ زن
سپاهي كه دريا وصحرا وكوه
نبد شير درنده راجايگاه
پلنك ازبرسنك وما هي درآب
همي راه جستند وكي بود راه
چون كاؤس لشكر بخشكي كشيد
چهان كفتي ازدرع وجوشن كشيد
برآمد زايران سپه بوق وكوس
وزان سوكه گودرز گشواد بود
فگندند بريال اسپاه عنان
بجنبيد كاؤس در قلب گاه
زچشم سنان آتش آمد برون
سه لشكر چنان شد از ايرانيان
نخستين سپهدار هاماوران
غمين كشت وازشاه زنهار وخواست
ببيمان كه ازشهر هاماوران
زاسپ وسليح زتخت وكلاه
چو اين داده باشد ازو بگذرد
زگونيده بشنيد كاؤس كي
فرستاده آمد زهاماوران
زبرجد بياورد وگنج وگهر
همه چاكر وخاكيايى توييم
همه ساله پيروز بادي وشاد
چو آن گفته شد خاكرا داد بوس
بسي زر وگوهر بياورد پيش

برآمد زآب زره باسپاه
سپه راسوى بربر آمد گذر
ببربستان برشدنذ انجمن
شد از نعل اسپان ايشان ستوه
نه گور زيان يافت بردشت راه
هم اندر هوا ابر ويران عقاب
دد ودام را بر چنان جايگاه
كس اندر جهان كوه و هامون نديد
ستاره زنوك سنان روشن است
برون رفت بهرام وگرگين وطوس
چو گيو وچو شيدوش وفرهاد بود
بزهر آب دادند نوك سنان
سپاه اندر آمد بپيشن سپاه
زمين شد بكردار درياي خون
كه سرباز نشناختند ازميان
بيفگند شمشير وگرز گران
بدانست كان روز روز بلاست
سپهبد دهد ساو وبار گران
فراوان فرستد بكاؤس شاه
سپاهش برو بوم او نسپرد
برين گفتهاپا سخ افكند پي
بياورد گنج وسليح گران
چنين گفت أي مهتر دادگر
اكر مهترا نيم اگر كهتريم
سرو بخت دشمن نگونسار باد
بيامد بپش سپهدار طوس
ببخشيد وهركس كم وبيش

- وتخبط الجميع يبحثون عن طريق، وجاء الملك وقد استولى على مكان الجميع.
- عندما وصل جيش كيكاوس إلى البر، لم ير أحد جبلاً ولا صحرا.
- فكأن الدنيا مطبقة بالدروع والجواشن، وكأن النجوم مضيئة من أسنة الرماح.
- ومن جيش الإيرانيين تعالى نفير البوق وقرعت الطبول، وبرز بهرام وجرجين وطوس.
- ومن جانب آخر برز جودرز وجشواد، وكان هناك جيووشيدوش وفرهاد.
- وقد أرخوا الأعنة على الخيول، وأشرعوا الأسنة بالسم المميت.
- وتقدم كيكاوس إلى قلب الميدان، وتلاقى الجيشان.
- فتطاير الشرر من قراع السيوف، وصارت الأرض كبحر الدماء.
- ولم تعد الجيوش الثلاثة تعرف من بين الإيرانيين من هو البطل.
- وفي البداية ألقى ملك هاماوران السيف والجرز الثقيل.
- ثم طلب الأمان من الملك وهو مغموم، وقد عرف أن هذا هو يوم البلاء.
- وتعهد بدفع الخراج والجزية الثقيلة عن مدينة هاماوران.
- وقد أرسل لكيكاوس الكثير من الخيل والسلاح والتخت والتاج.
- وقد أعطاه هذه العطايا، على أن يخلي بلاده من جيشه.
- وعندما سمع كيكاوس هذا الكلام، وافق عليه.
- وقد أرسل وأحضر الكنوز من هاماوران والسلاح الثقيل.
- وأحضر الزبرجد والكنوز والجواهر، وقال أيها السيد العادل.
- نحن جميعا عبيدك وتحت أقدامك، من الكبار ومن الصغار.
- لتسعد دوما وتكون منتصرا، ولينقلب حظ ورأس عدوك.
- وعندما انتهى من الكلام قَبلَ الأرض، وجاء أمام طوس القائد.
- وقد أحضر إليه الكثير من الذهب والجواهر، وأعطى الجميع كبيرا وصغيرا.

ويتضح من شعر الفردوسي أيضا ميله للمبالغة الشديدة، وهذا يتفق أيضا مع طبيعـة الشـعر الملحمـي، فحيثما اتجه جيش إيران ملأ الأرض، واختفت سهولها وحزنها تحته، ويصير العالم كأنه مصنوع من الحديد والفولاذ، ومن أسنة الرماح تضاء النجوم إلى غير هذه المبالغات.

أما بالنسبة للمسرحية فإن "شوقي" كان مقيدا بالحدود المرسومة لهذا الفن، فاتخـذ مـن الحـوار وسـيلته الأساسية في الإفصاح عن مكنون الشخصيات، وابتعد أيضا عن المبالغات إذ أنها من الأمور المعيبة بالنسـبة للفن المسرحي.

وعليه أيضا أن يستعين بالوصف من خلال المناظر ومن خلال ما يجيء على لسان الشخصيات، فعندما أراد مثلاً أن يصف ما أصاب مصر والمصريين على يد قمبيز وجنوده لجأ إلى الحوار بين بعض المصريين كوسيلة للإفصاح عن هذا الحدث ووصفه، وعندما أراد وصف المصريين وحضارتهم أتى بهـذا الوصـف أيضا على شكل حوار بين رسل "قمبيز" في مصر على النحو التالي:

- رئيس الوفد الفارسي [٣٤٠]:

لقد جلتم فـي بلـدة العجـل جوْلـة

ومـــا برحـــت بـــالزائرين تُجـــاب

فكيـــف وجـــدتم قـــوم فرعـــون؟

قباد: أمة

إذا هـي قيسـت بالشـعوب عجـاب

لهم مثل ما للأسـد بـالجنس عـزة

ضواري الفلا عنـد الأسـود كـلاب

ويقول فارسي آخر عنهم [٣٤١]:

وجدت وجوها عليها النعم ودنيا على جانبيهـا الرغَـدْ

وسوقا تُفض وسوقًا تُقـام وخلقًا يـروح وخلقًـا يفـدْ

... إلخ.

وكلها أمور بعيدة عن المبالغات، وأقرب إلى الواقع، وهو إن لجأ إلى بعض المبالغة على المسرح عيـب عليه ذلك، فعندما لجأ في الفصل الأخير مثلاً إلى الإكثار من مناظر القتل والانتحار، فـأظهر قتـل قمبيـز لفانيس، ولأحد جنوده، وطعنه عجل أبيس ثم طعنه نفسه قال عنه النقاد إنه ملأ المسرح بمناظر القتلى والدماء دون داع، فالمسرح يجب أن ينزه عن هذه المناظر.

---

[٣٤٠] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٦١.

[٣٤١] المرجع السابق: ص ٣٦٢.

تصوير الشخصيات:

كيف صور كل من الشاعرين شخصياته؟

إذا نظرنا إلى صور الشخصيات عند الفردوس نجدها واضحة صريحة يوصف البطل فيها بصفات تلازمه باستمرار؛ فرستم مثلاً يوصف دائما بصفة تهتمن، (البطل) و"پيلتن" (شبيه الفيل)، فإذا قال تهمـتن وحـده فهو رستم، وكيكاوس مثلاً يوصف دوما بخفة العقل والحماقة، يقول قادة إيران لرستم مسترضين له عندما أغضبه كيكاوس [٣٤٢]:

- أنت تعلم أن كيكاوس بلا عقل، وأنه يحتد فيقول كلاما بلا تروٍ.
- يقول ما يندم عليه، ثم يعود لأحسن مما كان عليه.
- وإذا كان البطل قد غضب من الملك، فما ذنب الإيرانيين!
- فأجاب البطل (رستم): إنني غير محتاج لكيكاوس.
- أيليق أن يقال لي مثل هذا الكلام غير اللائق، الذي احتد به الملك علي.

---

(٣٤٢) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٤٧٠ – ٤٧٢، الأبيات بالفارسية:

تو داني كه كاؤس رامغزنيست *** بتيزى سخن كفتش نُغزنيست
بكويد همانكه بشيمان شود *** بخوبي زسر باز پيمان شود
تهمتن كر آزرده كردد زشاه *** مرا يرنيانرا نباشد كناه
تهمتن چنين پاسخ آورد باز *** كه هستم زكاؤس كى بى نياز
سزايم بدين كفتن ناسزا *** كه كويد بتندى مرا پادشا
كه اورا ز بند آوريدم برون *** بسوى تاج وتختش بدم رهنمون
كهي رزم ديوان مازندران *** كهي جنك باشاه هاماوران
زبند وزسختي رها نيدمش *** چو دردست دشمن چنان ديدمش
سرم كشت سير ودلم كردبس *** جز از پاك يزدان نترسم زكس
زكفتار چون سيرشد تهمتن *** چنين كفت كودرز باپيلتن
كه شاه ودليران كردنكشان *** تابديكر سخنها برند اين كمان
كزين ترك ترسنده شد سرفراز *** همى كويد اين كونه هركس براز
زآشفتن شاه وپيكار اوي *** بد يدم بد ركاه پر كفتكوي
زسهراب يل رفت بكسر سخسن *** چنين مشت برشاه إيران
چنين برشده نامت اندر جهان *** بدين باز كشتن مكردان نهان
وديكر كه تنك اندر آمد سپاه *** مكن تيره برخيره اين تاج وكاه
برستم براين داستانها بخواند *** تهمتن چو بشنيد خيره بماند
بدو كفت اكربيم دارد دلم *** نخواهم بتن جان ازو بكسلم
تو داني كه نكر يزم از كنار زار *** وليكن سبك داردم شهريار
چنين ديد رستم ازان كاراوي *** كه بر كردد آيد بدربار اوي
ازان تنك بركشت وآمد براه *** خرامان بشد پيش كاؤس شاه
چو از دور شه ديد برپاي خاست *** بسى پوزش اندر كذشته بخواست
كه تندى مرا كوهرست وشرشت *** جنان رست بايد كه يزدان بكشت
وزين بد سكا ليده بدخواه نو *** دلم كشت باريك چون ماه نو
بدين چاره جستن ترا خواستم *** چو دير آمدي تندي آراستم
چوا ارزده كشتن تواى پيلتن *** پشيمان شدم خاكم اندر دهن

- ألم أخلصه من الأسر ثم، وجهته صوب العرش والتاج.
- وهو حينا يذهب لحرب شياطين مازندران، وحينًا لحرب ملك هاماوران.
- لقد خلصته من الأسر ومن الشدة، عندما رأيته في أيدي الأعداء.
- لقد مللت وضاق صدري، ولا أخاف إلا من خالقي.
- وعندما تعب البطل (رستم) من الكلام، قال كودرز لشبيه الفيل.
- إن الملك والأبطال الفرسان، يحملون هذا على محمل آخر.
- ويقولون إن البطل قد خاف من هذا التركي، وهم يتقولون مثل هذا الكلام.
- وقد رأيت البلاط امتلأ لغوا، من إثارة الملك ومجادلته.
- وكل ما جرى فهو من سهراب، فلا تول الملك ظهرك.
- ولا تمح برجوعك هذا شهرتك في الدنيا.
- كما أن العدو قد ضيق علينا، فلا تُنكس العرش بسبب العناد.
- وظل يقول لرستم مثل هذا الكلام، وقد ظل رستم البطل متحيرا لسماعه.
- وقال له إن قلبي إن داخله الخوف، فسوف أنزع منه الروح.
- وأنت تعلم أنني لم أفر من الحرب، ولكن من أسلوب الملك.
- وعندما رأى رستم عاقبة أمره، عاد إلى بلاط الملك.
- وقد تخلص من ذلك الضيق، ومضى سعيدا نحو كيكاوس.
- وعندما رآه الملك من بعيد نهض لاستقباله، وأخذ يعتذر له عما مضى.
- وقال إن الله خلقني ضيق الخلق شرس الطباع، وهكذا ينبت الشجر كما زرعه الخالق.
- وقد ضاق قلبي وصار كالهلال الوليد، من هذا التركي القذر.
- وقد أردتك لتكفيني شره، فلما تأخرت علي ضقت بهذا.
- وعندما آتيك أيها البطل (بيلتن)، صرت خجلاً، وامتلأ فمي بالتراب.

وهكذا نرى تكرار الصفات الملازمة لكل شخصية؛ فرستم هو دوما البطل (تهمتن) وشبيه الفيل (بيلـتن). وكيكاوس دائما بلا عقل حاد الطباع، حتى أنه يعترف لرستم أن الله قد خلقه هكذا، وهذا هو المفروض فـي الملاحم أن تصور الشخوص – كما يذكر محمد غنيمي هلال – بصورة بسيطة وصريحة وملازمة لها.

أما بالنسبة لفن الشعر المسرحي فالمفترض من الشاعر المسرحي أن يجعل شخصياته تعبر عن الموضوع وتتحرك في مجاله، وتؤثر فيه، وأن يكسوها أيضا بالحياة، ويقابل فيما بينها، وعليه أيضا أن يتوخى الإيجاز في تحليلها ويركز مستعينًا بالتلميح تارة والإشارة والإيحاء بدلاً مـن الإطنـاب، وعليـه أيضـا أن يجعـل شخصياته تبدو منسجمة الأقوال والأفعال صادقة التصوير.

وهذا ما حاول شوقي – في رأيي – أن ينفذه وهو يصور شخصياته وإن كان لم يوفق في رأي النقاد فـي تعميق الصراع في نفوس شخصياته، فحسب أنه حاول هذه المحاولات الجادة في هذا الوقت المبكر وعـذره أن هذا الفن كان جديدا على الشعر العربي، وإليه يعود الفضل في إدخاله إلى الأدب العربي.

فإذا نظرنا مثلاً لطريقة تصويره لشخصية "قمبيز" فإننا نراه قد حاول أن يكون معتدلاً إلى حد مـا فـي تصوير الشخصية، فصوره حينًا ذا جِنة تتناوبه نوبات من الصرع والجنون، فتفقده عقله ووعيه، فيقتل من يلقى، فتقول عنه نفريت إنه [٣٤٣]:

وحشٌ في إهـابٍ بشـر يقتـلُ مـنْ يلقـى

وتقول عنه نتيتاس [٣٤٤]:

نمر الفـرس الخشـن

وتقول عنه الوصيفة إنه:

آدم بظفـر ونـاب

ويصفه أحيانًا على لسان نفس الشخصيات بصفات حسنه مثل قول الوصيفة عنه [٣٤٥]:

ولـم لا؟ وقمبيـز لا بـالقبيح ولا بالـدميم ولا بـالغبي
ولا هـو بالملـك البربـري ولا الوحش ذي الناب والمخلبِ
ولكن فتـى خيـر كالسـحاب وضـيء البشاشـة كالكوكـب
يـزين السـرير إذا احتلـه وإن سار كان حلـى الموكـب

وقد عاب النقاد على شوقي مثل هذا التناقض في تصوير شخصياته وعابوا عليه أيضا أنه لم يتعمق فـي تحليل شخصية قمبيز ولم يعطنا سببا مقنعا لجنونه، بدلاً من الإسراف في نوبـات صـرعه وجنونـه [٣٤٦]. وأعتقد أن الشاعر قد تأثر بما وجده من تناقض عن شخصية "قمبيز" في المصادر التاريخية التي رجع إليها، فبعضها مثل هيرودوت مثلاً وصفه بالجنون والحمق والنزق والرغبة في إسـالة الـدماء، وبعضـها مثـل المصادر المصرية كانت منصفة: له، فأراد أن يظهر الجانبين في الشخصية الحسن والقبـيح لتكـون أكثـر اعتدالاً.

كما حاول "شوقي" أيضا – فيما أرى – أن يعمق الصراع في نفس بطلته "نتيتاس" فجعلها تقبل التضـحية بنفسها فداء لوطنها، رغم ما يعتمل في داخلها من ألم وحقد على "أمازيس" قاتل أبيها أبرياس، وعلـى ابنتـه التي سلبتها حبيبها "تاسو" وإن كان كثير من النقاد يرون أنه بهذا قد قلل من قيمـة تضـحيتها، وأعتقـد أن الشاعر قد حاول محاولة جيدة وحسبه هذا.

---

[٣٤٣] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٥١.

[٣٤٤] المرجع السابق: ص ٣٩١.

[٣٤٥] الأعمال الكاملة: ص ٤٠٩.

[٣٤٦] راجع الأعمال الكاملة لشوقي (المسرحيات) ص ٩٦.

موقف الشاعرين من قمبيز:

اختلف موقف الشاعرين الوجداني والقيمي من شخصية الملك الفارسي، فأحدهما وهو "الفردوسي" كان يتحدث من موقف الفخر والاعتزاز بهذه الشخصية، فعلى الرغم من كل الصفات السابقة التي رددها عنهـا من قلة عقل وتسرع وحمق... إلخ، فهو في نظره وفي نظر الإيرانيين جميعا هو الملك الفاتح الذي يـدين له الجميع بالولاء والطاعة والعبودية، جاء على لسان زال قوله (٣٤٧):

- إنك أنت الملك، ونحن العبيد الناصحون لك.
- ويجب علينا اتباع ما تأمر به، سواء أكنت على حق أم على باطل.

حتى رستم يقول له بعد الموقف السابق الذي عرضنا فيه للخلاف الذي وقع بينهما، يقول رستم (٣٤٨):

- العالم لك، وكلنا عبيدك ومطيعون لك –

ومهما تجرعت من الذلة والمهانة، فما أنـا إلا خـادم علـى بابـك

- وقد جئت الآن امتثالاً لأوامرك، فأنت ملك العالم وأنا العبد.

وها هو كيكاوس يقول عن نفسه (٣٤٩):

- الشمس تستمد نورها من تاجي، والأرض قاعدة لسرير ملكي العاجي.
- وكل من يحتمي في ظلي، لا يفقد عرشه أبدا.

حتى أعداؤه يقرون له بمثل هذه الصفات، فيقول عنه ملك اليمن (٣٥٠):

- قال في نفسه إن كل ما قاله الملك حق، فهو ملك العالم المنتصر ذو الأمر المطاع.

ومهما فعل (الملك)، وسار في البلاد، وترك عرش البلاد خاليا. أو وقع في أسر الأعـداء، فعلـيهم أن يسعوا لتخليصه وإعادته إلى هذا العرش، فالأمور لا تستقيم بدون وجود الملك، ولم يحـاول أحـد هـؤلاء القادة أن يستولي على العرش في غيابه مثلاً، وإن كانت الشاهنامة تذكر لنا أن رستم ذهب إلى بلاد توران انتقاما لسياوش وأخذًا بثأره، فحطم جيوشها وأغار عليها وجلس على عرشها مدة سبع سنوات (٣٥١):

---

(٣٤٧) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٢٤ الأبيات بالفارسية:

بدو گفت شـاهي و مـا بنـده ايـم   بدلسـوزكي بـاتو كونيـده ايـم
اكـرداد كـوئي همـي يـا سـتم   بـراي تـو بايـد زدن كـام ودم

(٣٤٨) المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٧٢، الأبيات بالفارسية:

بدو گفت رسم كـه كيهـان تراسـت   همه كهتـرانيم وفرمـان تـرا اسـت
همـان بـردر تـو يكـى كهتـرم   گـر كهتـرى راخـود انـدر خـورم
كنـون آمـدم تاچـه فرمـان دهـي   تـو شـاه جهانـدارى ومـن رهـي

(٣٤٩) المرجع نفسه: جـ ٢ ص ٣٨٠، وسبق إيرادها.

(٣٥٠) نفس المرجع والجزء والصفحة، وسبق إيراده.

(٣٥١) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٧٠٤، الأبيات بالفارسية:

- وقد استولى على كل بلاد الصين وخطا وختن، أخذها كلها بقوة السيف.
- وجلس البطل على عرشه، ومرغ حظه (أفراسياب) في التراب.

ومع ذلك لم يفكر مطلقًا في الاستيلاء على عرش كيكاوس، بدلاً من ملاقاة الصعاب في فك أسره المـرة تلو الأخرى.

أما "شوقي" فيمثل "قمبيز" له عدوا لبلاده قضى على استقلالها، وجعلها تابعة للإمبراطورية الفارسية قرنين من الزمان تقريبا، وحطم مكانة بلاده التي كانت قد وصلت إليها. لذا كان من الطبيعي أن تكون عاطفته عاطفة عدائية تجاهه، وهو في النهاية لا يجد فيه إلا مجنونًا لا يستحق الرثاء يقول على لسان المصريين [٣٥٢]:

انظر أخي الفُرْس وما نابهمْ   شَقّوا على المجنون أثـوابهمْ

فيبدو أن العاطفة العدائية للشاعر قد تغلبت في النهاية على محاولاته السابقة التي حاول فيهـا أن يكـون معتدلاً في تصوير الشخصية.

كما أجرى شوقي على ألسنة شخوصه من الفرس بعض الأحاديث التي تبين عدم ولائهم للملك، وطموح بعضهم لعرض الملك، ويتضح هذا من الحوار التالي بين بعض أعضاء الوفد الفارسي [٣٥٣]:

الثاني: خلنا بالله من سا   س ودعنا مـن يسـوس
لم نظلُ الـدهر مـرْءو   سـين والغيـر الـرئيس
لِـم "مـاني" لا أنـا رذْ   لٌ ولا أنــت خسـيس

الأول: كل ما أعجبت كسـرى   فهو في الفُرس نفـيس
كــل حــين حــاكم يمشــي علينــا ويــدوس
هكــذا يختلــفُ الحــظ ســعودٌ ونحــوس
إن بعض النـاس أذنـا   ب لـبعض هـمْ رؤوس

الأول: لم يا "مـاني" يسـودو   ن ونبقــى لا نسـود
ونقــاد الــدهر والآخــر يــا "مــاني" يقــود

آخر: أنا يا "مـاني" طمـوح   أنــا لا أكــتم عنكــا
أنــا فــي الــدنيا وفــي زينتهــا أرغــب منكــا

همـه مـرز چـين باخطـا وخـتن   گفــتش ببــازوي شمشــيرزن
تهمــتن نشســت از برتخــت اوي   بخــاك انــدر آمــد ســربخت وي

(٣٥٢) الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٤٤٤.

(٣٥٣) المرجع السابق: ص ٣٧٤.

وأعتقد أن "شوقي" قد ساق مثل هذه الأفكار على ألسنة الوفد الفارسي؛ إما بسبب ضيقه بهذا الملك وكرهه له، وضيقه عموما بمثل هؤلاء الحكام الجبابرة، وإما لأنه اطلع على الشاهنامة وقرأ فيها مثل هذه الأحاديث التي دارت حول "كيكاوس" والتي يبدو فيها ضيق قادته به وبأخلاقه، فأخذها على هذا المحمل، بغض النظر عن اعتناق الفرس لفكرة الحق الإلهي للملوك في الحكم، وكانت فكرتهم في هذا – كما يذكر د. طه ندا – أن الملك منحة إلهية خصت بها الآلهة فئة معينة من الناس هم الملوك، ومن ينتمون إليهم، فمن كان من أصل ملكي حق له أن يملك، ومن لم يكن كذلك، فلا حق له في الملك مهما تكن مزاياه ومقدرته، وها هو رستم يرسل لكيكاوس خفية وهو في محبسه بهاماوران يبين له أن سلامة الملك الشخصية هي هدفه الأساسي، فيقول (٣٥٤):

- لقد اجتمع ثلاثة ملوك، واتجهوا لمحاربتي.
- وإذا نهضت أنا لمحاربتهم، فلن أبقي منهم أحدا.
- لكنني لا أريد أن يصاب الملك بسوء من هذا، فمن أهل السوء يأتي السوء.
- وماذا أصنع أنا بعرش البربر، إذا أصاب الملك ضرر.

من هنا يتضح أن إجراء مثل هذه الأحاديث على ألسنة الوفد الفارسي خروج على هذا المعتقد الذي اعتقد فيه الفرس منذ القديم.

المصادر التي اعتمدا عليها:

اختلفت مصادر الشاعرين التي اعتمد عليها كل منهما، واستمدا منها مادتهما الشعرية، فقد اعتمد الفردوسي – كما ذكرنا آنفًا – على الشاهنامة المنصورية اعتمادا مباشرا واستمد منها معظم مادة ملحمته، وقد اعتمدت هذه الشاهنامة كما ذكرنا قبلاً على كتب "خداي نامه" سير الملوك التي اختلطت فيها الأساطير الدينية المستمدة من الأفستا وغيرها من المصادر الدينية بالقصص الشعبي وقصص الأبطال القوميين، واختلطت سيرتهم بسيرة ملوك الهخامنشيين - كما رأينا في قصة كيكاوس - ويزيد هذا الاختلاط كلما اقترب هذا العهد من نهايته فتتوحد سيرة الهخامنشيين المتأخرين بسيرة ملوك الكيانيين. وتتسم هذه الشاهنامة أيضا بالاحتفال بسيرة الأبطال القوميين والشعبيين والتفصيل في سيرتهم بحيث تصبح هذه السمة مميزة لها أكثر من باقي الشاهنامات، والدليل على ذلك أننا نجد مزيدا من تفاصيل سير هؤلاء الأبطال في الشاهنامات التي اعتمدت عليها مثل شاهنامة الفردوسي وشاهنامة الثعالبي، وقد صرح هو أيضا باعتماده على الشاهنامة المنصورية، ويضيف "براون" أنه قد برزت سلسلة من الأحداث والبطولات القومية التي لا وجود لها في الأفستا، أحداث وبطولات تتصل بمجموعة من الأبطال والمحاربين الذين ينتمون لإحدى الأسر الكبيرة في سيستان وزابلستان، ومن الأسماء التي تلفت النظر أكثر من سواها: نريمان وسام وزال ورستم وسهراب، وأهم شخص من بينها هو رستم (٣٥٥)، ولعل هذا هو سبب تردد اسم رستم على الدوام في قصة "كيكاوس" كما هو واضح في الأشعار السابقة.

---

(٣٥٤) شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٩٧، سبق إيرادها.

(٣٥٥) تاريخ الأدب في إيران: جـ ١ ص ١٩٦.

أما "شوقي" فقد اعتمد اعتمادا أساسيا – مثلما رأينا قبلاً – على كتاب تاريخ هيرودوت المؤلف حوالي سنة ٤٤٧ ق. م، ويعد من أهم المصادر التي يعتمد عليها في تسجيل سيرة ملوك الهخامنشيين (٥٥٩ – ٣٣٠ق.م) ويعد أيضا مصدرا رئيسيا لتاريخ مصر إبان فترة الغزو الفارسي، وقد شهد له الكثير من الباحثين بصحة الأخبار التي أوردها، وشهدت النقوش المسمارية بصحتها من جهة أخرى. كما يذكر براون[٣٥٦]، وعلى الرغم من هذا فقد اختلط تاريخه ببعض القصص والأساطير - شأنه في هذا شأن التواريخ القديمة كلها - ومع ذلك يبقى الطابع التاريخي هو الغالب على هذا الكتاب، فإن كانت مصادر الفردوسي أساطير مختلطة بالتاريخ، فإن مصادر "شوقي" هي تاريخ تشوبه بعض الأساطير.

وقد اعتمد "شوقي" أيضا – كما رأينا قبلاً – على مصادر أخرى غير تاريخ هيرودوت استمد منها معلومات عن بعض عادات الفرس وتقاليدهم ومعتقداتهم ومسمياتهم إلى غير ذلك، قد تكون الشاهنامة من بينها أو من أهمها – وأعتقد أن "شوقي" قرأ الشاهنامة في إحدى ترجماتها إما إلى العربية وهي الترجمة المشهورة بترجمة أبي الفتح البنداري، وهي ترجمة نثرية مختصرة للشاهنامة قام بها سنة ٦٢٠ هـ أو سنة ٦٢١ هـ - كما يذكر د. عبد الوهاب عزام [٣٥٧] – الذي نشر هذه الترجمة مع دراسة لها سنة ١٩٣٢ م أو يكون "شوقي" قد قرأ إحدى الترجمات لهذه الشاهنامة باللغة التركية التي كان يجيدها، فيحدثنا د. طه ندا أن هناك ترجمة شعرية كاملة للشاهنامة إلى اللغة التركية قام بها علي أفندي سنة ٩١٦ هـ. وهناك ترجمة نثرية أيضا قام بها أحد رجال البلاط في عهد السلطان عثماني، ثاني سلاطين العثمانيين سنة ١٠٣٠ هـ، وفي سنة ١٠٦٢ هـ قام توكل بك بتلخيص الشاهنامة، وترجمها إلى النثر التركي باسم "منتخب التواريخ" وقد تُرجمت الشاهنامة، أيضا إلى اللغة الفرنسية ترجمها إليها مول سنة ١٨٣٨ م وهي ترجمة تقع في سبعة مجلدات من الحجم الكبير، ومصدرة بمقدمات قيمة [٣٥٨].

أقول إن شاعرا مثقفًا مثل "أحمد شوقي" لن يفوته أن يطلع على مثل هذا التراث عندما يريد أن يكتب عن ملك فارسي، خاصة وأن هذا التراث كان في متناول يده بلغات ثلاث يجيدها خير إجادة وهي العربية والتركية والفرنسية.

المعلومات الجغرافية:

اختلف موقف الشاعرين أيضا من المعلومات الجغرافية، فأحدهما وهو الفردوسي كانت المعلومات الجغرافية عنده فيها خلط ولبس وأخطاء جغرافية، تتلاشى عنده المسافات الشاسعة بين الدول البعيدة، وتصبح كأنها بلاد متلاصقة، يقول عن مصر واليمن وبلاد البربر (ربما يقصد بها الحبشة أو السودان)[٣٥٩]:

- وأخذ يحث الخطى إلى أن وصل إلى مدينة بين ثلاث مدن.
- عن اليسار مصر، والبربر عن اليمين، وأمامه بحر زره كما يريد.
- وهذا بالقرب من مدينة هاماوران، وقد جاء جيش جرار من كل إقليم.

---

[٣٥٦] تاريخ الأدب في إيران: (الترجمة العربية): جـ ١ ص ٥٩.

[٣٥٧] مقدمة الشاهنامة العربية: ص ٩٦.

[٣٥٨] دراسات في الشاهنامة: ص ١١٢ – ١١٥.

[٣٥٩] شاهنامة فردوسي: جـ ٢ ص ٣٨٢، سبق إيرادها.

فجعل مصر واليمن وبلاد البربر متجاورة متلاصقة كأنها مدن في مملكة واحدة، لا دول تفصـل بينهـا آلاف الأميال.

ويقول عن مسير الملك إلى بلاد توران [٣٦٠]:

- ولما فرغ من فرض الجزية على توران والصين، عبر إلى مكران.

يعلق د. طه ندا على هذا البيت بقوله: "إن الشاعر يجعل مكران على حدود الصين، وهي تقع إلى الجنوب تماما من بلادته" [٣٦١].

أما شوقي فمعلوماته الجغرافية صحيحة وسليمة، فقد ذكر أن وقائع قصته تدور في "سوس" عاصمة إيران وهذا صحيح وأن منفيس عاصمة مصر في القرن السادس ق. م وأن صا الحجر مقر البلاط الملكـي [٣٦٢]، وهذا كله صحيح من الناحية الجغرافية والتاريخية.

ثانيا: نواحي التشابه بين الشاعرين:

من نواحي التشابه بين الشاعرين موقف كل منهما من مصادره، فكان الفردوسي - بشهادة جميع دارسـيه - أمينًا تجاه المصادر التي نقل منها، فلم يغير في قليل أو كثير من المادة التي ينقل عنها، يقول براون: إنـه اتضح له بعد أن قارن بين النسخة پهلوية المسماة باسم "كارنامك ارتخشتر بابكان" وبين ما جاء في الشاهنامة عن "أردشير بابكان" أن الفردوسي كان أمينًا تجاه مصادره التي ينقل عنها [٣٦٣]. ويذكر نولدكه أيضا أنه قابل قصة مقتل زرير كما جاءت عند الفردوسي وبين النسخة البهلوية فوجده أيضا لم يغير شيئًا عما جـاء فـي الأصل [٣٦٤]، ويذكر د. ذبيح الله صفا أن تصرف الفردوسي كان في بيان الغرض، وإضافة قـوة التخييـل والتعبير عن المضامين الشعرية [٣٦٥]، كما كان يتصرف في ترتيب القصة – كما رأينا في قصة كيكاوس – ويقول عنه د. طه ندا: إنه مما يؤيد أمانة الشاعر في النقل مطابقة الصفات التي تخلعهـا الشـاهنامة علـى أبطالها مثل جمشيد وفريدون ومنوچهر للصفات التي تضفيها الكتب الدينية على هؤلاء الأبطـال [٣٦٦]، وقـد اتضح لنا أيضا مطابقة ما جاء عند الفردوسي من صفات ملازمة لكيكاوس لما جاء عن "كيكاوس" في أقـدم المصادر البهلوية، وما ذُكر عنه أيضا في مصادر التاريخ الإسلامي، ولو كان الشاعر قد غير في منظومتـه لكان حريا به أن يغير في تلك الصفات التي تصف "كيكاوس" بالنزق والحمق وغيرها مـن الصـفات غيـر اللائقة، لكنه أثبتها له كما جاءت؛ مما يدل على أمانته.

---

[٣٦٠] المرجع نفسه: جـ ٢، ص ٣٨١، سبق إيرادها.

[٣٦١] دراسات في الشاهنامة: ص ٣٠٣.

[٣٦٢] الأعمال الكاملة: ص ٣٤٩.

[٣٦٣] تاريخ الأدب في إيران: جـ ١ ص ٢٠٣.

[٣٦٤] حماسة ملي إيران: ص ٨.

[٣٦٥] حماسة سرائي: ص ١٨٤.

[٣٦٦] دراسات في الشاهنامة: ص ٢٨٥.

أما ما تضمنته الشاهنامة عن التورانيين واحتقارهم وعن العداء للعرب فهي من النزعات الموجودة في النصوص التي نظم عنها الفردوسي – كما يذكر د. طه ندا – وأعتقد أن الشاعر لعب دورا في إبراز بعض الصور أو التقليل من شأن البعض عن طريق الإلحاح على هذه الصور وإبرازها من خلال التطويل فيهـا، والتكرار في المناسبات المختلفة، مثلما فعل في قصة "سودابة" ابنة ملك اليمن العربي فهي ساحرة مـاكرة ابنة ماكر محتال، تسبب أبوها بمكره في الإيقاع بكيكاوس في أسره، كما تسببت هـي بمكرهـا ودهائهـا ورغبتها المحرمة في مقتل "سياوش" بن "كيكاوس" الذي يمثل نموذج الرجولة الحقة عند الإيـرانيين، ولا ينسى الفردوسي في كل موقف أن "سودابة" ابنة ملك هاماوران العربي، ولا بد أن يعيد ويزيد في أنها سبب بلاء "سياوش" وكلما ضاقت السبل على "سياوش" يذكر سودابة ومعاناته بسببها، ليشعل نار الحقد من جديد ضدها، ولا يرتاح إلا بعد أن تُقتل على يد رستم. يقول عنها في أحد المواقف التي أرادت فيها أن توقع بين سياوش وأبيه فلم تفلح، فأخذت تبحث عن حيلة أخرى (٣٦٧):

- لما علمت سودابة أنها صارت ذليلة، ولم يتعلق بها قلب الملك.
- بحثت عن حيلة قذرة، من الحقد الذي زرعه بنوها في شجرتها.

فهو هنا لا ينسى أن ينسب الحقد إلى بنيها كلهم، وأنهم قد زرعوا فيها بذرة هذا الحقد.

حتى "كيكاوس" الذي كان عاشقًا لها لا ينسى أبدا أنها ابنة عدوه ملك "هاماوران" فنـراه ينصـح ابنـه "سياوش" عندما أراده أن يتزوج أن يختار واحدة من بنات عميه "كي ارش" أو "كي پشين" ولا يختار واحدة من بنات سودابة يقول (٣٦٨):

- إني علمت من كلام أصحاب النجوم، والموابذة.
- أنه سيأتي من عقبك، ملك يذيع صيته في الدنيا.
- والآن عليك أن تختار من بنات العظماء، فاختر إحدى بنات كي پشين.
- وهناك أخرى من بنات كي أرش، وغيرهن مزدانات في كل ناحية.

---

(٣٦٧) شاهنامة فردوسي: جـ ٣ ص ٥٤٥، الأبيات بالفارسية:

چو دانست سوادبه كو گشت خـوار	**نيـــا ويخـــت بـــاوي دل شـــهريار**
يكي چاره جست انـدران كارزشـت	**زكينـــه ينـــوي درختـــي بكشـــت**

(٣٦٨) المرجع السابق: جـ ٣ ص ٥٣٧، الأبيات بالفارسية:

چنـين يـا فـتم اخترتـوا نشـاني	**زگفـــت ســـتاره شـــمر موبـــدان**
كـه ازيشـت تـو شـهرياري بـود	**كـه انـدر جهـان يـاد گـاري بـود**
كنـــون زبزرگـــان زنـــي بركـــزين	**نگـــه كـــن پـــس پـــردة كـــي پشـــين**
بخـــان كـــي آرش دگـــر نيزهســـت	**زهـــر ســـو بيـــاراي وبگشـــاي دســـت**
بـدو گفـت مـن شـاه را بنـده ام	**بفرمـــان ورايـــش ســـر افگنـــده ام**
مبـادا كـه سـودابة ايـن بشـنود	**دگـــر گونـــه گويـــد بـــدين نگـــرود**

فأجابه سياوش:

- إنني عبد الملك، وأحني رأسي لأمره ورأيه.
- ولكن ينبغي ألا تعلم سودابة بذلك، فإنها لن ترضى به.

فكأن الملك عندما علم من المنجمين أن ابنه سينجب ولدا يصبح ملكًا مشهورا ضن بهذا الملك المشهور أن تكون أمه بنتًا من بنات "سودابة" وأن تجري في عروقه الدماء العربية.

أقول إن الشاعر وإن كان قد لعب دورا مهما في التخييل وإبراز المضامين الشعرية، إلى جانب إظهار بعض الصور عن طريق الإلحاح عليها إلا أنه كان مقيدا بما لديه من نصوص، ولعل هذا يرجع إلى عصبية الشاعر لما اعتقد أنه تاريخ قديم لأجداده، فنظر إليه نظرة التقديس والاحترام، ولم يرض لنفسه أن يغَير فيه حرفًا كما قلنا من قبل.

أما شوقي فكان أمينًا هو أيضا بالنسبة لمصادره التي نقل عنها، فلم يغير الأحداث التاريخية الأساسية، فجعل "قمبيز" مثلاً يغزو مصر، وينتصر على ملكها – كما هو مثبت في المصادر التاريخية، وجعله يقتل أخاه وأخته. كما اختار من الروايات التاريخية تلك الرواية التي تقول إنه انتحر، واختار أيضا الرواية التي تقول إنه طعن عجل "أبيس"، وبهذا يكون "شوقي" قد حقق روح التاريخ العامة، ولم يتقيد بالتفاصيل، وهذا من حقه كشاعر، وإن كان العقاد قد غبنه هذا الحق وأنكره عليه في نقده لهذه الرواية إلا أن "شوقي" كان واعيا بحقوقه في التصرف في القصص والأساطير التي لا تغير من حوادث التاريخ، فتصرف معها على هذا الأساس، و لم يتصرف معها كأنها نصوص مقدسة لا يحق له تغييرها مثلما فعل الفردوسي، لكنه تصرف معها بحرية أكثر، من ذلك تغييره في قصة نتيتاس بحيث جعلها هي التي تضحي بنفسها وتسعى للزواج من قمبيز فداء لوطنها، وهذا غير ما ذكره "هيرودوت" الذي جعل "نتيتاس" هي التي تستعدي "قمبيز" على فرعون مصر. فشوقي كان عارفًا أن هذا ضرب من القصص ومن حقه أن يتصرف فيه وفقًا لمقتضيات فنه، وألقى بالمسئولية على فانيس القائد اليوناني المرتزق، وجعله هو الذي يشي بنتيتاس عند قمبيز. وقد أضاف "شوقي" هذه التغييرات والمعاني؛ استجابة لدواعٍ فنية وفكرية، فقد أراد أن يجعل من الأميرة المصرية "نتيتاس" بطلة وطنية ليبث عن طريقها الحماسة والوعي في مواطنيه، إيمانًا منه بحريته كأديب في الاختيار والتغيير بحيث لا يؤثر على مجريات التاريخ ذاته.

الغاية من العمل الفني:

وأخيرا اتفقت غاية الشاعرين من تقديم عمله الفني هذا، **فالفردوسي** الشاعر الفارسي نظم ملحمته الشاهنامة بالفارسية مخاطبا بها جمهور الفرس دون غيرهم، وقد أخذ على عاتقه بث الروح في الحدث، وحشده بطاقة تصويرية وشعورية لغاية قومية؛ إذ كان يهدف إلى إيقاظ الروح القومية الفارسية لدى مواطنيه، ويقول د. طه ندا إن للشاهنامة فضلاً على الإيرانيين في هذه الناحية، فقد كان الشعور الوطني والعصبية الوطنية ضعيفين عند الإيرانيين بعد الفتح الإسلامي، وعملت الحكومات العربية على إخماد الروح الوطنية عندهم، ولم يعد للإيراني علم بتاريخ بلاده القديم، ولا بحضارتها التليدة، فلما جاءت الشاهنامة وتداولها

الإيرانيون، سرت فيهم روح جديدة وأحسوا بشخصيتهم وكيانهم ومقوماتهم الذاتية، وأخذوا يصلون حاضرهم بماضيهم بعد أن كانت الصلة بينهما منقطعة. وقد اتخذ الفردوسي كل الوسائل المتاحة له كفنان للوصول إلى هدفه من تخييل ولغة سهلة واضحة وجمل قصيرة، ومن مبالغات وعبارات جذابة ومن تشويق فـي القصـة وتصيل في حوادثها. كل الوسائل استخدمها الشاعر عدا تزييف الحقائق أو تغييرها [٣٦٩].

وكان "شوقي" أيضا شاعرا متقد الوعي مشبوب العاطفة بالروح الوطنية، وقد أخذ على عاتقـه أن يـوقظ إحساس مواطنيه ووعي أمته العربية، فأخذ يلح على التاريخ يستمد منه موضوعات معظم مسرحياته لغايـة قومية وطنية أيضا، بث من خلالها آراءه في مجتمعه وفي آفاقه وقضاياه التي عاصرها من خلال مسرحياته. وقد سئل "شوقي" عن سبب اختياره لفترات الضعف التاريخية فأجاب: لأنها تُشبه ما نجتازه من فترة. وفـي هذا ما يدعم أنه قصد أن يبث بعض آرائه الجريئة في تلك المسرحيات (وهو)ما لم يكن يستطيع أن يفضـي بها صراحة في الشعر الغنائي [٣٧٠]. ويتضح هذا من مسرحية "قمبيز" حيث جعل "نتيتاس" البطلـة الحقيقيـة لمسرحيته، وصورها مثال التضحية والفداء في حبها لوطنها وجعلها إيجابية في هذا الحب تنضـم للمقاومـة الشعبية في طيبة، كما انتقد نواحي الضعف في الجيش المصري، مثل عدم اهتمام مصر بجيشها، وجاء ذلـك على لسان أحد الفرس حيث يقول [٣٧١]:

أخي ما رأيت بمصر الجنـود	**ولم يأخذ العـين مـنهم أحـد**
سوى فتية من جنود القصور	**وضباطها فـي الثيـاب الجـدد**
يروحون في الخوذ اللامعـات	**ويغدون فـي الـذهب المتقـد**

فيعقب الفارسي على ذلك بقوله:

إذن هو ملـك بـلا حـائط	**رفيق الأساس ضـعيف العمـد**
خلا الوكر من صرخات العقا	**ب ونامتْ عن الغاب عين الأسد**
أولئك لا فـي حمـاة الـديا	**ر ولا في العديد ولا في العـدد**

وتلك هي العبرة المستخلصة من هذا الدرس الوطني، فشوقي لم يقصد أبدا الحط من شأن مصر وجيشـها – كما ذكر العقاد [٣٧٢] – بقدر ما قصد التنبيه على بعض نواحي الضعف المعاصرة له وحث همم المصريين على الاهتمام بجيشها فالملك بلا جيش "هو ملك بلا حائط" يحميه ويدافع عنه.

---

(٣٦٩) دراسات في الشاهنامة: ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

(٣٧٠) د. محمد غنيمي هلال: في النقد المسرحي: ص ٩٤. بيروت سنة ١٩٧٥ م.

(٣٧١) الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٦٣.

(٣٧٢) راجع قمبيز في الميزان: ص ٤٢٠.

كما انتقد "شوقي" أيضا وجود الجنود المرتزقة في صفوف الجيش فيقول [٣٧٣]:

أصـــبح الجــــيش كالقطيع اختلفت فيه الجلـود
حشر اليونان فـي رايتـه وتراغى الزنج واندسّ العبيد

وهنا أيضا مشاكلة بين الماضي وحاضر شوقي حيث كان الجيش المصري خليطًا من الأتراك والشراكسة وكان المصري فيه محتقرا.

ولم يقتصر شوقي على ذكر نواحي الضعف في الجيش المصري والتنبيه لها فقط فـي تنبيـه الـوعي المصري، وإنما رغب أيضا في بث الحماسة في نفوس المصريين عن طريق بيان ما كان عليه أجـدادهم من تقدم، وتحضر وسبق حضاري، وجعل الاعتراف لهم بهذا الفضل يأتي على ألسنة أعدائهم من الفـرس ليكون هذا الفضل والإعجاب مضاعفًا، يقول على لسان أحد الفرس [٣٧٤]:

وجدت وجوها عليها النعيم ودنيا على جانبيهـا الرغـدْ
وسوقًا تفض وسوقًا تُقـام وخلقًا يـروح وخلقًـا يفـدْ
وشعبا على خطةٍ في الحياةِ ونظام به في الشعوب انفـردْ
ولـم أر مثـل صـناعاتهم سموا وبعدا علـى المنتقـدْ

كل هذه المعاني والآراء بثها شوقي في لغة رقيقة راقية، وأسلوب عذب، وأخيلة جميلة ومعـانٍ مبدعـة وموسيقى متنوعة تناسب الشعر الغنائي فلجأ إلى تنويع البحور الشعرية والاستعانة بها مجزوءة في كثير من الأحيان لتناسب الحوار وسرعته.

وهكذا نرى أنه على الرغم من اختلاف انتماء كل من الشاعرين؛ فأحدهما فارسي ينتمـي إلـى القوميـة الإيرانية، والآخر مصري ينتمي إلى الوطنية المصرية والقومية العربية - فإن كلاً منهما كان محبـا لأمتـه منتميا لها، محاولاً تنبيه وعيها واستثارة حماسها عن طريق عمله الفني هذا.

---

[٣٧٣] المسرحيات: ص ٤١٦.

[٣٧٤] الأعمال الكاملة (المسرحيات): ص ٣٦٢.

الخـــاتمـــة

خاتمة البحث

بعد أن عرضنا لقصة قمبيز (كيكاوس) كما جاءت في شاهنامة الفردوسي وفي مسرحية شوقي، يمكننا القول أن كل شاعر من الشاعرين اعتمد في نظمهما لهذه القصة على منابع غير التي اعتمد عليها الآخر.

أما "**الفردوسي**" فقد اعتمد على منابع شفاهية ومكتوبة، أما المنابع الشفاهية فقد تمثلت في "**المأثور الشعبي**" من حكايات وقصص وأحداث قديمة تناقلتها الأجيال المتتابعة عن طريق التوارث الشفاهي، وأهم ما يميز هذا الموروث أنه جمعي، أي ليس مقصورا على فئة دون فئة أو طبقة دون طبقة من الشعب، بل كان ميراثًا شعبيا يملكه الشعب كله ويتوارثه وهو بهذه الصفة الجمعية لا يعنَى برصد الأحداث التاريخية وتسجيلها بدقة وأمانة وإنما يعنَى في المقام الأول بتجسيد موقف الأمة الوجداني والقيمي من الحياة والتاريخ. إن وظيفته الأولى هي الحفاظ على الوحدة القومية واستمراريتها عبر الأزمنة والأحداث سواء في الداخل أو الخارج.

وبهذه الوظيفة المميزة لهذا الموروث الشعبي يكون:

أولاً : انتقائيا، أي: يأخذون من التاريخ فقط الأحداث التي تخدم الغرض منه، وقد يبدع الخيال الشعبي أحداثًا لم تقع أصلاً لتسهم في إثراء هنا الموروث دون أن يتوقف أحد للتمحيص أو التحقيق في هذا البحث أو ذاك بموضوعية تاريخية.

وثانيا : تكون الأحداث التاريخية بأبطالها وشخوصها مجرد رموز ينسج حولها الخيال الشعبي صورا أسطورية فيها من الخيال قدر أكبر بكثير من الواقع. ومن ثم يمتزج التاريخ بالأسطورة بصورة يصعب الفصل بينهما.

وثالثًا : لا يمتنع الوجدان الجمعي للشعب عن اقتراض صور أو مادة خيالية أسطورية من الأمم الأخرى وإدخالها في مأثوراتهم الشعبية الأسطورية بغرض الإثراء والتوسيع.

ورابعا : ليس ثمة إجماع على ذكر الحدث التاريخي بصورة واحدة وإنما يأتي الحدث التاريخي في صور عديدة وروايات متعددة تتفق في الجوهر وتختلف في التفاصيل تبعا لتعدد الخيالات التي أنتجتها والأجيال التي حفظتها. وهكذا جاء تاريخ الفرس القديم مزيجا من التاريخ والأسطورة الشعبية والدينية في هذا التراث الذي احتفظ به الفرس لقرون طويلة ممتدة امتداد تاريخهم، وقد انضاف لهذا المزيج أساطير دينية سجلت في مصادرهم القديمة وكُتب عباداتهم، وقد أخذ هذا المزيج بعد أن ألبس ثوب التاريخ وأعطى شكل وقائعه وأحداثه، وانقلب فيه الآلهة وقوى الخير والشر إلى ملوك وأبطال، وأُضيف إلى كل شخصية من الشخصيات صفات وأعمال تناسب ما كان لها من رمز للخير أو الشر في الأساطير الدينية. **فكيكاوس** مثلاً هو في الأساطير الدينية ذو صلة وثيقة بالشياطين، فهو في الڤيدا الهندية صاحب المقمعة التي قضى بها الإله (اندرا) على الشيطان (ڤرترا) وهو في الأبستاق صاحب القلعة العجيبة التي كان يتحكم بواسطتها في شياطين مازندران كما كان متحكما في جميع الممالك وما فيها من إنس وجن؛ وتحدثنا الأساطير الدينية أيضا عن سوء خلقه وعناده ولجاجته وقد احتفظ بهذه السمات نفسها في الروايات التاريخية الفارسية، فنُسب إليه فيها مضيه لحرب شياطين مازندران وذهابه لحرب السماء ووصف فيها بالحمق والنزق وقلة العقل إلى غير هذه الأوصاف.

وهكذا رأينا القصة عند الفردوسي تتأثر بالمصادر التي استمدت منها مادتها فتأتي خرافية في أغلبها تاريخية في شكلها العام، تتغلب الأسطورة الدينية والشعبية لتصبح هي العنصر المسيطر على ما عداه من العناصر، يصعب فيها إلى حد كبير تمييز ما هو أسطوري عما هو تاريخي؛ لأن العنصر التاريخي هو أقل العناصر الموجودة فيها. كما كانت مرتعا لأساطير الأمم الآرية والإسرائيلية واليونانية والمصرية التي امتزجت معا لتكون نسيج هذه الأسطورة.

وأما "**شوقي**" فقد استقى مادته في أغلبها من تاريخ هيرودوت ويعد أوثق المصادر التي كتبت عن "قمبيز" وغزوه لمصر، وهو كتاب في التاريخ حتى وإن مازجت أحداثه بعض القصص والأساطير إلا أن العنصر التاريخي يبقى هو العنصر المسيطر على باقي العناصر. ومن ثم انطبعت مسرحية "قمبيز" عند "شوقي" بهذا الطابع. فأصبح التاريخ هو العنصر السائد حتى وإن اختلطت به بعض القصص والأساطير، وأصبحت الشخصية بما تأتيه من أعمال وما يصدر عنها من أفعال أقرب لعالم الواقع من عالم الخيال.

فإذا انتقلنا إلى المقارنة بين الملكين فإننا نلاحظ أن الشخصية الأسطورية "كيكاوس" لها نفس ملامح الشخصية التاريخية "قمبيز" ونفس الصفات، كما انضافت بعض أعمال الشخصية، التاريخية إلى الأسطورية، فأصبحت الشخصية الأسطورية تتسم بالطابع الحربي الذي غلب على سيرة "قمبيز" وقامت بحملات كثيرة تشبه تلك الحملات التاريخية التي قام بها في الداخل والخارج، كما اشتركا في رغبتهما في الزواج من ابنة أحد الملوك المعادين لهما، واشتركا فيما نسب إليهما من مقتل العجل المقدس والبقرة المقدسة، ومقتل "برديا" وأوشنر.

أما عن المقارنة بين الشاعرين فيتضح منها:

أولاً : اختلاف القالب الفني الذي اختاره كل منهما لعمله الفني. وقد أدى هذا إلى فروق في تناول العملين وطريقة التصوير لطبيعة الشخصيات، والاعتماد على الوصف أو السرد أو الحوار، وفقًا لمقتضيات الفن الملحمي أو المسرحي ومن تركيز للأحداث أو تفصيل واستطراد. وانتقال لقصص جانبية.

ثانيا : اختلاف موقف الشاعرين الوجداني والقيمي من شخصية قمبيز الملك الفارسي، فـ "الفردوسي" يتحدث من موقف الفخر والاعتزاز بهذا التاريخ وهذه الشخصية، أما "شوقي" فيتحدث عن عدو لبلاده قضى على استقلالها وجعلها تابعة للإمبراطورية الفارسية؛ لذا كانت مشاعره عدائية تجاهه، وإن كان قد حاول التوسط والاعتدال في تصويره.

ثالثًا : اختلاف موقف الشاعرين بالنسبة للمعلومات الجغرافية، فكان الفردوسي كثيرا ما يقع في الخطأ بالنسبة لمواقع البلاد، أما شوقي فقد تميزت معلوماته بالدقة والصحة.

رابعا : اتفق موقف الشاعرين من مصادرهما، فكان الفردوسي أمينًا تجاه المصادر التي تقل نقل عنها لم يغير شيئًا مما جاء بها، واقتصر دوره على التصوير والتخييل والمضامين الشعرية، أضف إلى هذا إبراز بعض المعاني عن طريق تطويل القصة والإلحاح عليها، ولعل تقيد الفردوسي الشديد بما جاء في هذه المصادر نبع من تعصبه لهذا التراث ونظرة الاحترام والتقديس التي كان يكنها له.

أما **شوقي** فكانت نظرته لهذه الأمور أكثر وعيا وفهما لدوره كمؤلف وحقوقه ككاتب فالتزم بروح التاريخ ومعناه العام وإن لم يتقيد كثيرا بالتفاصيل. كما غير الأحداث التي قد تدخل في عداد الأساطير والقصص حتى تتفق مع غايته من عمله الفني بينما تقيد بالأحداث التاريخية القاطعة والثابتة.

خامسا : اتفقت غاية الشاعرين من تقديم عملهما الفني وإن كانت توجهاتهما قد اختلفت، فكل منهما تقدم بعمله لأمته بهدف إيقاظ الوعي القومي لديها، وإن كان أحدهما وهو **الفردوسي** يتقدم بملحمته من أجل إيقاظ الروح القومية الإيرانية لدى مواطنيه، أما **شوقي** فيتقدم بمسرحيته لمواطنيه من المصريين لينبه على عوامل الضعف والوهن التي أدت إلى وقوع بلاده فريسة للاحتلال أمس، (وما أشبه البارحة باليوم) وهدفَ أيضا إلى ضرب المثل بتضحية الأميرة المصرية بنفسها؛ ليثير فيهم الحماسة والحمية الوطنية.

قائمة بأهم المصادر والمراجع العربية والفارسية

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١- **الآثار الباقية**: أبو ريحان البيروني، مكتبة المتنبي، بغداد.

٢- **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**: د. علي الشابي – تونس سنة ١٩٦٢ م.

٣- **الأدب المقارن**: د. محمد غنيمي هلال – الطبعة الثالثة – الأنجلو سنة ١٩٦٣ م.

٤- **الأعمال الكاملة (المسرحيات)**: أحمد شوقي – الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ م.

٥- **إيران في عهد الساسانيين**: آرثر كريستنسن – ترجمة د. يحيى الخشاب – ط لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة سنة ١٩٥٧ م.

٦- **الإيرانيون القدماء**: د. عبد النعيم حسنين – دار الرائد العربي – القاهرة سنة ١٩٧٤ م.

٧- **تاريخ الأدب في إيران**: إدوارد براون – ترجمة د. أحمد كمال الدين حلمي، الجزء الأول – ط جامعة الكويت، سنة ١٩٨٤ م.

٨- **تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق محمد أبوالفضل – الجزء الأول – دار المعارف – الطبعة الرابعة.

٩- **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**: حمزة بن الحسن الأصفهاني. مطبعة كاوياني – برلين.

١٠- **تاريخ مصر القديمة**: د. رمضان السيد – الجزء الثاني – ط هيئة الآثار المصرية.

١١- **التنبيه والإشراف**: أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي – مطبعة بريل ليون سنة ١٨٦٣ م.

١٢- **جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر**: جمع وتعليق د. نور الدين آل علي: - القاهرة ١٩٧٥ م.

١٣- **دراسات في الشاهنامة**: د. طه ندا – الدار المصرية للطباعة سنة ١٩٥٤ م.

١٤- **رواية "قمبيز" في الميزان**: عباس محمود العقاد، القاهرة، سنة ١٩٣٢ م.

١٥- **الشاهنامه العربية**: ترجمة الفتح بن علي البنداري – صححها وقدم لها د. عبد الوهاب عزام – دار الكتب المصرية – الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ م.

١٦- **شعر شوقي الغنائي والمسرحي**: د. طه وادي – الطبعة الثالثة – دار المعارف سنة ١٩٨٥ م.

١٧- **الشعر المسرحي في الأدب المصري المعاصر**: د. كمال محمد إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ م.

١٨- **الغرر في أخبار ملوك الفرس**: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي – زوتنبرج – باريس.

١٩- **الفهرست**: ابن النديم – المطبعة الرحمانية – مصر، سنة ١٣٤٨ هـ.

٢٠- **في النقد المسرحي**: د. محمد غنيمي هلال – بيروت سنة ١٩٧٥ م.

٢١- **قصة الحضارة**: ول ديورانت – ترجمة محمد بدران – الجزء الثاني – ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٢- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي. تحقيق محمد محيي عبد الحميد – المكتبة الإسلامية بيروت.

٢٣- **المسرح**: د. محمد مندور – الطبعة الثالثة – دار المعارف.

٢٤- **المسرح الشعري بين شوقي وأباظة**: د. سعد عبدالمقصود ظلام – الطبعة الأولى، دار المنار للنشر، سنة ١٩٨٨ م.

٢٥- **مسرحيات شوقي**: د. محمد مندور القاهرة – سنة ١٩٨٢ م.

٢٦- **المسرحية في شعر شوقي**: محمود حامد شوكت – مطبعة المؤلف سنة ١٩٤٧ م.

٢٧- **مصر القديمة**: د. سليم حسن – الجزء (١٣) الثالث عشر – ط القاهرة.

٢٨- **مصر والشرق الأدنى القديم**: د. محمد بيومي مهران، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٨٨ م.

٢٩- **هيرودوت**: أ ج إيفانز – ترجمة: أمين سلامة.

٣٠- هيرودوت يتحدث عن مصر: ترجمة – محمد صقر خفاجة – دار القلم سنة ١٩٦٦ م.

ثانيا: المصادر والمراجع الفارسية:

١- **إيران نامه** (كارنامه إيرانيان): عباس پور محمد شوشتري – فاروس تهران سنة ١٣٣١ س.

٢- **تاريخ إيران**: سيرپرس سايكس – ترجمة محمد تقي فخر كيلاني.

٣- **تاريخ إيران**: حسن پيرانيا، عباس إقبال أشتياني – انتشارات كتابخانه خيام – تهران.

٤- **چهار مقاله**: نظامي عروضي سمرقندي – تحقيق د. محمد معين – انتشارات كتابفروشي، تهران.

٥- **حماسة سرائي درإيران**: د. ذبيح الله صفا – ط خودكار – إيران سنة ١٣٢٤ س.

٦- **حماسة ملي إيران**: تيودور نولدكه – ترجمة بزرگ علوي – انتشار اند اشنگاه تهران.

٧- **شاهنامة فردوسي**: أبو القاسم فردوسي – كتابخانه ومطبعة بروخيم طهران سنة ١٣١٣ س.

٨- **هزار سال نثرپارسي**: كريم كشاورزي – چاپ شركت سهامي إيفست – تهران سنة ١٣٤٥ هـ.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

HERODUTS: The Histories. Book ٣. Translated by Aubrey.

***